جامعة الخليل

عمادة الدراسات العليا

برنامج اللغة العربية وآدابها

صورة الرجل في الرواية النسوية الفلسطينية

"سحر خليفة أنموذجاً"

إعداد

ماجدولين ماجد عبد الهادي السويطي

إشراف

الدكتور نادر قاسم

أستاذ الأدب الحديث المشارك

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بعمادة

الدراسات العليا في جامعة الخليل

العام الدراسي

1433هـ/ 2012م

جامعة الخليل

كلية الدراسات العليا

" صورة الرجل في الرواية النسوية الفلسطينية – سحر خليفة أنموذجا "

إعداد :

ماجدولين ماجد عبد الهادي السويطي

إشراف :

د. نادر قاسم

أستاذ الأدب الحديث المشارك

قدمت هذه الرسالة بتاريخ 4 / 10 / 2012م، استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الخليل.

حزيران 2012

"صورة الرجل في الرواية النسوية الفلسطينية – سحر خليفة أنموذجا"

إعداد :

ماجدولين ماجد عبد الهادي السويطي

نوقشت هذه الرسالة يوم الخميس بتاريخ 2012/10/4م الموافق 18 ذو القعدة لسنة 1433هـ

وأجيزت

أعضاء لجنة المناقشة:

		التوقيع
▪ د. نادر القاسم	مشرفاً ورئيساً	
▪ د. عدوان عدوان	عضواً خارجياً	
▪ د. ياسر أبو عليان	عضواً داخلياً	

الإهداء :

إلى والدتي – رحمها الله – التي لطالما أطرت الابتسامة على شفتيّ.

إلى والدي المتواضع.

إلى زوجي الذي ساندني حتى اللحظة.

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر للمشرف الذي منحني ثقته لإنجاز هذا البحث المتواضع أ . د . نادر قاسم، وللهيئة الأكاديمية في قسم اللغة العربية بجامعة الخليل، خاصة الدكتور حسام التميمي الذي أومض لي بعنوان البحث وأمدني ثقة وأملا لإنجازه، ولأصدقائي وعائلتي على دعمهم المتواصل .

لهم مني جميعا جزيل الشكر والعرفان .

الملخص

فهذا البحث يتناول بالدراسة موضوع " صورة الرجل في الرواية النسوية الفلسطينية : سحر خليفة أنموذجا . "

فالرواية تتناول مختلف مناحي الحياة وميادينها الفسيحة ، كما أنها تعطي صورا حية تجسد الواقع المعاش ، فضلا عن منحها المتلقي فرصة للتغلغل بين ثنايا صفحاتها وأحداثها والانفعال معها ؛ الأمر الذي يؤهلها لتكون محط إقبال القراء والنقاد والباحثين ، لا لشيء سوى أنهم باطلاعهم على الفن الروائي فإنهم يطوفون في معرض ظواهر النشاط الإنساني ومجالات الحياة البشرية .

وأما هدف هذا البحث فيتمثل في تسليط الضوء على زاوية قلما تطرف إليها الباحثون بصورة منفردة ألا وهي نظرة المرأة للرجل من خلال الفن الروائي ، فهذا البحث محاولة لاستقراء صورة الرجل في روايات الكاتبة الفلسطينية سحر خليفة التي اعتمدت الصورة المشهدية طالباً للحديث عن الرجل في تركيباته وأبعاده وانطباعاته المختلفة ، فالنتاج الروائي لسحر خليفة يشمل المراحل المفصلية في تاريخ الشعب الفلسطيني ونضالاته وقضيته؛ مما جعله سجلا مصوراً لتحولات القضية الفلسطينية والممارسات الإسرائيلية بحق الفلسطينيين ، وما يترتب عليها من ظروف وتحولات في المجتمع الفلسطيني الذي لا يغيب عنه الرجل ، فهو مجتمع ذكوري إن لم تكن السيادة المطلقة فيه الرجل ولو ظاهريا .

وأما منهج البحث فقد تمثل في المنهج الاجتماعي مع الإفادة من المنهج النفسي ، ففي أثناء استعراض صورة الرجل ورسم أبعادها كانت الدراسة تتبع المنهج الأول بينما كانت تستعين بالثاني في تعمقها ورصد بعض الصور وتحليلها من وجهة نفسية .

ويكشف الفصل الأول عن الصورة الإيجابية للرجل من مناضل ومطارد ومحب وشهيد وأسير مع رسم صورة واضحة لكل من هؤلاء .

ويأتي الفصل الثاني ليرصد نقيض ما جاء في الفصل الأول ؛ إذ يكشف عن الصورة السلبية للرجل من مثل العميل والشهواني والانتهازي.

ويكشف الفصل الثالث عن الصورة النمطية للرجل كما هو في شخصية الأب والزوج والمثقف والأخ والفقيه فهي أنماط تكاد تكون واحدة في المجتمعات كافة .

ويأتي الفصل الرابع من البحث للحديث عن صورة الآخر في روايات سحر خليفة من زاويتين: الآخر اليهودي الذي كان دائم الحضور لظروف الاحتلال كالصهيوني والمستوطن ورجل السلام والجندي ....الخ ، والآخر العربي الذي كان قليل الحضور للحصار الواقع على فلسطين من مثل رجل المخابرات الأردني والمعتقل السوري ...الخ .

ومن أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة -:

- لم تمثل روايات سحر خليفة شرائح المجتمع الفلسطيني على اختلافها ، وذلك بتكثيفها الحديث عن أبناء المدن بصورة عامة وعن سكان نابلس بصورة خاصة وا ٕهمال الحديث عن أبناء القرى والمخيمات والشتات .
- أهملت الكاتبة سحر خليفة الحديث عن الفصائل الفلسطينية ودورها الوطني في النضال الفلسطيني ، الأمر الذي بدا واضحا من خلال تناولها بعض المواقف السياسية بطريقة باهتة وباردة دون أدني تعمق .
- قولبت سحر خليفة صورة المثقف فجعلته متحررا من قيم المجتمع الفلسطيني وعاداته فهو مكب على شرب الخمور والعلاقات غير الشرعية والتخلق بأخلاق غريبة عن تركيبة المجتمع الفلسطيني .
- كانت سحر خليفة جريئة في تلميحها إلى بعض الصور السلبية للرجل كما يظهر في حديثها عن الرجل الشهواني وأفعاله غير المقبولة أخلاقيا .

وفي ضوء النتائج السابقة أوصت الباحثة بما يأتي:

- دراسة صورة الرجل في الرواية الفلسطينية في الأدب النسوي.
- إجراء دراسة مقارنة لصورة الرجل في الرواية الفلسطينية لدى أحد الروائيين الفلسطينيين المعروفين.
- إجراء دراسة مقارنة لصورة المرأة في الرواية النسوية الفلسطينية عند سحر خليفة وروائية فلسطينية أخرى.
- تسليط الضوء على إحدى صور الرجل الواردة في الرواية الفلسطينية النسوية ودراستها دراسة تحليلية مقارنة.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين، وسيدنا ونبينا وحبيب نفوسنا محمد صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

أما بعد :

فهذا البحث يتناول بالدراسة موضوع "صورة الرجل في الرواية النسوية الفلسطينية سحر خليفة أنموذجاً"، وقد جاء اختيار الدراسة لهذا الموضوع من منطلق شغفها بالرواية، فلطالما رأت في الفن الروائي اللون الأدبي المثالي من بين سائر الألوان الأدبية، فالرواية تتناول مختلف مناحي الحياة وميادينها، كما أنها تعطي صورا حية تجسد الواقع المعيش، فضلا عن منحها المتلقي فرصة للتغلغل بين ثنايا صفحاتها وأحداثها والانفعال معها الأمر الذي أهلها لتكون محط إقبال القراء، والنقاد والباحثين، لا لشيء سوى أنهم باطلاعهم على الفن الروائي فإنهم يجدون مَعرضا لظواهر النشاط الإنساني ومجالات الحياة البشرية.

ولما كانت الدراسة تحمل مثل هذه الرؤية إلى الفن الروائي ، فلا غرو أن تحاول البحث فيه متناولة زاوية قلما تطرق إليها الباحثون بصورة منفردة،فالدراسات – فيما تحسب – غالبا ما تتناول الرواية بالبحث من حيث النشأة، والعناصر، والبناء الدرامي، وصورة المرأة ، أما هذه الدراسة فهي محاولة لاستقراء صورة الرجل في الرواية النسوية الفلسطينية وتحديدا في روايات الكاتبة الفلسطينية (سحر خليفة)؛ فالدارسة تؤمن بأن المجتمع الفلسطيني مجتمع ذكوري بل إن السيادة المطلقة فيه للرجل ولو ظاهريا، وانطلاقا من هذا المنظور حاولت الدارسة أن تسلط الضوء على صورة الرجل وليس هذا فحسب، بل جعلت ميدان دراستها روايات الكاتبة الفلسطينية (سحر خليفة)

التي تمثل معرضا فوتوغر افيا يظهر فيه الرجل في تركيباته، وأبعاده، وانطباعاته المختلفة، فالنتاج الروائي لهذه الكاتبة يشمل المراحل المفصلية، في تاريخ الشعب الفلسطيني، ونضالاته، وقضيته، مما جعلها سجلا تاريخيا ووثائقيا لتحولات القضية الفلسطينية والممارسات الإسرائيلية بحق الفلسطينيين، وما يترتب عليها من ظروف وتحولات في المجتمع الفلسطيني الذي لا يغيب عنه الرجل.

ولعل التركيبة الذكورية للمجتمع الفلسطيني هي التي دفعت (سحر خليفة) لأن تجعل الرجل شخصية دائمة الحضور في رواياتها، من مثل حديثها عن الأب والابن والمناضل والعامل والعميل....الخ.

وهكذا، فقد عنيت الدارسة بالتوجه إلى روايات سحر خليفة؛ لاستقراء صورة الرجل والوقوف عليها وتحليلها والغوص فما وراءها؛ لرسم تصور مبدئي للرجل يكاد يكون دقيقا لتركيز الدراسة على هذا الجانب وتعمقها فيه،وا ٍهمالها في تصوير زوايا أخرى من شأنها أن تقلل من عمق الدراسة ونتائجها.

وبناء عليه، فقد عادت الدارسة إلى النتاج الروائي لسحر خليفة فقرأت ما كتبته من روايات حتى بداية إعداد هذه البحث وبلغ عددها ثماني روايات، تناولتها بالقراءة المتعمقة لاستعراض صورة الرجل، وتحديد معالمها وملامحها ، فكانت روايات سحر خليفة المصادر الأساسية لهذا البحث، ويقف إلى جانبها عدد من المصادر والمراجع من أهمها : المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية لحسين المناصرة، والشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة الغربية وقطاع غزة1993-1967، رسالة ماجستير للباحث محمد أيوب أبو هدروس، والبطل في الرواية الفلسطينية والأردنية 1978-1948، أطروحة دكتوراه للباحث فخري طميلة.

ومن خلال البحث وجدت الدارسة، أن هناك دراسات سابقة تناولت موضوع الرجل فالباحثة السعودية (منال عبد العزيز العيسى) لها دراسة بعنوان " صورة الرجل في القصة القصيرة، في المملكة العربية السعودية " غير أن هذه الدراسة لم تعد بأية فائدة للدارسة، لا لشيء سوى المفارقات الكبيرة بين المجتمع السعودي والمجتمع الفلسطيني، فصورة الرجل في المجتمعين مختلفة كليا لاختلاف مؤثرات الحياة وتركيبة المجتمع.

وفضلا عن هذا البحث فقد وجدت الدارسة بحثا آخر بعنوان " صورة الرجل في القصص النسائي " (لسوسن ناجي) ، يبحث في نظرة المرأة للرجل من خلال كتابات نسائية مصرية تعنى برصد تجربة المرأة الكاتبة في حيز علاقتها مع الرجل، وقد أفاد هذا البحث الدارسة في تحديد بعض الصور النمطية للرجل كما هو الحال في صورة الرجل، الأب، والأخ.

أما المنهج الذي سارت عليه الدارسة، فهو المنهج الوصفي التحليلي وأفادت من المنهج النفسي، ففي أثناء استعراض صورة الرجل ورسم أبعادها كان يظهر المنهج الأول، بينما كانت تستعين بالمنهج الثاني في تعمقها في رصد بعض الصور وتحليلها من وجهة نفسية.

ويأتي هذا البحث في مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة.

يكشف الفصل الأول عن الصورة الإيجابية للرجل، من مناضل ومطارد ومحب وشهيد وأسير ، ورسم صورة واضحة المعالم لكل من هؤلاء.

ويأتي الفصل الثاني، ليرصد نقيض الفصل الأول فيكشف عن الصورة السلبية للرجل من مثل العميل، والشهواني، والانتهازي.

أما الفصل الثالث، فقد أفردته الدارسة للحديث عن الصورة النمطية للرجل الأب، والزوج، والمثقف، والأخ، والفقيه فهي أنماط تكاد تكون واحدة في المجتمعات كافة.

ويأتي الفصل الرابع للحديث عن صورة الآخر في روايات (سحر خليفة) من زاويتين: الآخر اليهودي من مثل : الصهيوني، والمستوطن، ورجل السلام، والجندي...الخ، والآخر العربي –وإن كان قليل الحضور في الروايات – من مثل: رجل المخابرات الأردني، والمعتقل السوري....الخ.

أما الخاتمة فقد جعلتها الدارسة ثمار بحثها وخلاصته، وضمنتها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها بعد بحثها ودراستها.

وفي الختام فإن الدارسة مدينة بالشكر الجزيل والعرفان للأستاذ الفاضل الدكتور (نادر قاسم) الذي لم يضن عليها بالوقت والجهد، ولم يتوان عن إسداء النصح ومد يد العون لها، فله ولكل من ساهم في إغناء البحث في مناقشته جزيل الشكر والامتنان.

الفصل الأول

الصورة الإيجابية للرجل

صورة المناضل

منذ قيام دولة الاحتلال الإسرائيلي بالهيمنة على فلسطين، انطلقت المقاومة الفلسطينية التي أوجدت واقعا فلسطينيا جديدا، وكان للمنظمات الفلسطينية دور رائد في استقطاب أعداد كبيرة من الفلسطينيين للعمل من أجل تحرير الأرض والإنسان،وا إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة واسترداد الحقوق المسلوبة.

وبعد مضي سنوات طويلة على النكبة،كانت معالم الحياة الفلسطينية قد توضّحت، وكان للكفاح المسلح انعكاسات واضحة في جميع ميادين الحياة الفلسطينية عامة، والأدب الفلسطيني خاصة، ويمكن القول إن البداية الحقيقية للرواية الفلسطينية هي انعكاس مباشر لانطلاقة المقاومة المسلحة، وقد ازداد النتاج الروائي وسعى الروائيون إلى تطوير أدواتهم الفنية، بحيث تكون أقدر على كشف الواقع الروائي، واهتم الروائيون من خلال كتاباتهم عن الواقع والتعبير عنه، فتحدثوا عن الهمّ الفلسطيني العام محاولين رصد الثوابت والمتغيرات في مسيرة النضال الفلسطيني، ورصد الأحداث الهامة في التاريخ الفلسطيني المعاصر، فوقفوا على الأحداث التي أدت إلى النكبة أو أعقبتها، وبينوا حياة الفلسطيني في الداخل قبل الكفاح المسلح وبعده، وقدموا أبطالا روائيين يتّسمون بسمات جديدة تحمل ملامح الزمن الذي يعيشونه والمكان المتواجدين عليه [1].

ونتيجة لهذا فقد قدموا بطلا مغايرا للبطل الكلاسيكي في الرواية الأوروبية والعربية والذي يواجه العالم ليحقق ذاته، بل قدموا بطلا فلسطينيا يدرك " أن تحقق الذات الفلسطينية لا يتم إلا بنفي هذه الذات، وتحولها إلى علاقة مساومة توائم بين الفردي والجماعي في النضال الوطني العام"[2].

---

(1) ينظر : القاضي إيمان، **البطل في الرواية الفلسطينية 1965 –1990**، رسالة دكتوراة، 48.

(2) دراج، فيصل، **دراسة في رواية سحر خليفة،** قول الرواية وأقوال الواقع، شؤون فلسطينية، ع112.

وستعرض الباحثة في هذا الفصل صورة الرجل الإيجابية كما أظهرتها الروائية الفلسطينية سحر خليفة، وسيلحظ القارئ أن الباحثة لن تتبع في اختيارها للنماذج الروائية في هذا الفصل والفصول اللاحقة التقدم الزمني لكتابة الرواية، بل ستختار الصورة الإيجابية حسب أهميتها كما وردت في روايات سحر خليفة.

أسهمت الرواية الفلسطينية في صياغة التاريخ النضالي للشعب الفلسطينيفأر ّخت تصدي الفلسطيني للاحتلال من خلال تنفيذ عمليات تستهدف جنودهم، أو مواجهة مواقع إستراتيجية لهم، كما صورته وهو يقاوم الاحتلال بالحجارة، ويصفي العملاء حتى داخل السجون.

وتعتبر خليفة رائدة الروائيات الفلسطينيات في تصوير نضال الفلسطينيين من عدة زوايا، بـَ يـْ د أنها اهتمت بالحديث عن المناضل العادي متجاهلة المناضل القائد الذي همشته في رواياتها، ولم تلتفت لوجوده في كثير من الأحيان، ومع هذا فقد استطاعت أن تصور المناضل الفلسطيني في مواقف عدة، كان لها عظيم الأثر في الساحة الفلسطينية.

رصدت خليفة في روايتها " الصبار " تفاصيل الحياة اليومية لفلسطينيين في الضفة الغربية بعد خمس سنوات من هزيمة حزيران، والتي أدت إلى احتلال ما تبقى من الأراضي الفلسطينية، وفي الرواية تطالعنا صورة المناضل " أسامة الكرمي " العائد إلى وطنه فلسطين بعد خمس سنوات من اغترابه في الدول العربية، عاد حاملا مهمة أوكلها إليه تنظيمه السياسي المقيم خارج الأرض المحتلة، سعيا منهم في تنظيم الفلسطينيين للدفاع عن أرضهم واستردادها، ومنذ اللحظة الأولى التي يصل فيها أسامة جسر العبور إلى الضفة يساق إلى التحقيق من قبل جندي إسرائيلي أظهر له رصد المخابرات الإسرائيلية لتحركات الفلسطينيين في الخارج، وفي أثناء التحقيق معه يرى أصنافا مختلفة من إساءة المجندات الإسرائيليات للناس الذين لم يحركوا ساكنا، فتأثر كثيرا من هذا الوضع الذي آلوا إليه.

" ولماذا عدت الآن وليس قبل سنتين ؟ ارفع صوتك.

- كنت بانتظار لم الشمل.

وتوقف صوت البولدوزر ،استراحت أسارير البولندي وعاد يسأل وهو ما زال واقفا وراء الطاولة الصغيرة وكوب برتقال في يده.

- وماذا ستعمل في شخيم ؟

- سأبحث في نابلس عن وظيفة.

وارتفع صوت الصراخ ثانية، وبدأت الفتاة تشهق والجندية الإسرائيلية تصيح.

- افتخ رجليك، افتخ رجليك، لازم أشوف جوه، لازم أشوف جوه، افتخ رجليك.

وتلاحقت الفرقعات. يا كلاب يا كلاب... آ... أ..

ونزل حاجبا الضابط نحو أنفه. ومسح شاربه الأشقر وعاد يسأل.

- وماذا فعلت خلال تلك المدة ؟

تماسك قليلا وأجاب بإعياء :

- كنت أعمل في شركة تأمين. هذه أوراقي.

- وأين ذهبت خلال السنوات الخمس ؟ هل ذهبت إلى الجزائر ؟

- نعم.

- ولماذا ذهبت إلى الجزائر ؟

- وتجمركون الجزائر أيضا ؟

- ماذا قلت ؟

- لا شيء." [1]

---

(1) خليفة، سحر، **الصبار**، ص 16.

ولأن أسامة عاد إلى الوطن في مهمة حاول تنفيذها منذ اللحظة الأولى التي وصل فيها ليفاجأ بتغير كثير من المعالم منذ الاحتلال،فالأرض هُجرت واستبدل بها المصنع الذي بات حلم كل عامل فلسطيني،شعر أسامة بسذاجة الناس واعتقادهم أنَّ التحرير آت لا محالة، فشعر بالهم مضاعفا وأنّ المهمة التي أوكلت إليه ليست سهلة كما كان يعتقد.

"– لا تكفر يا أسامة الله يرضى عليك.ألا تؤمن بقدرة الله جلّ وعلا ؟

– والبلد يا أمي ؟

– قلت لك البلد بخير. وبكره يحلها الحلال. ويمكن الصحفيين الأجانب الذين يزورون خالك يؤثرون على أمريكا. وأمريكا تقول لإسرائيل انسحبي فتنسحب.

أرأيت كيف أن الأمور ليست صعبة كما تتصور ؟

ألم أقل لك بكره يحلها الحلال ؟"[1]

قرر أسامة تنظيم المقربين إليه من أبناء جيله، لكنه أصيب بخيبة أمل عندما عرف أنهم هجروا أراضيهم وباتوا عمالا يبنون في دولة إسرائيل دون أن يدركوا ذلك، فقرر أن ينظم طلاب المدارس، فقد وجد فيهم الحماسة، ووجد عندهم الوعي لأهداف الاحتلال الإسرائيلي الرامية إلى تشجيع هجرة الشبابفشعر أنّ الحلم بات قريب التحقيق بالاعتماد على هذه الفئة من المجتمع.

"هزّ أسامة رأسه بذهول.. هذه هو الجيل الجديد. هذا هو الأمل. ومن هنا تنطلق الشرارة.

وتنفس بارتياح وتمتم :

ما زالت الدنيا بخير."

قرر أسامة خوض معركة نضال حقيقية، تعبث بالاقتصاد الإسرائيلي من جهة، وتضع حداً للفلسطينيين الذين يعملون في إسرائيل، فقرر نسف باصات (إيجيد) التي تقل العمال إلى إسرائيل،

---

(1)خليفة، سحر، **الصبار**، ص 37.

ولكنه عاش في صراع عنيف فأحد العمال هو ابن خاله ولا بد أن يحذره من خطر الذهاب إلى إسرائيل، لكنه حسم الأمر، إذ رأى أن الجزء فداء للكل، ولو قتل ابن خاله فهو فداء لفلسطين، قرر نسف الباصات بمن فيها.

"فهو يؤمن إيماناً لا جدال فيه بأن باصات إيجيد يجب أن تنسف جميعها، وأن على العمال أن يكفوا عن القيام بدورهم المشؤوم ذاك، لكن وجود عادل غير متوقع بين تلك الفئة الضائعة جعله يكون في حالة صراع لا يرحم، وكان يحاول جاهداً إقناع نفسه بأن عادل ليس إلا واحد من ألوف، وأن احتمال إصابته خلال العملية المقررة، هو جزء من عملية التضحية الكبرى، التي أخذها على عاتقه، فهو إنسان ملتزم، والعواطف أياً كان نوعها مرفوضة في حالات كهذه، فماذا لو مات عادل؟ وماذا لو مات عشرة مثله؟ لا أهمية للفرد في سبيل المجموع، وعادل نفسه لا أكثر من فرد"[1].

وينتج أسامة في تنظيم فئة الشباب، ويمكن من قتل ضابط إسرائيلي وسط مدينة نابلس، ثم يفر هارباً من المكان بمساعدة أحد مساعديه، ويرحل عن المدينة واضعاً نصب عينيه حلمه المتمثل بتفجير باصات إيجيد الإسرائيلية.

"وفجأة، كأنما انشقت الأرض عنه، قفز شاب ملثم الرأس بكوفية بيضاء، ورفع يده اللامعة كالبرق وهوى بها على مؤخرة رأس الضابط، فغاص الخنجر في العنق حتى النصاب، وأطلق الضابط آهة عميقة وهوى على صندوق الأسكدنيا والدم يتدفق كالنافورة"[2].

وبعد نجاح العملية الأولى يقرر أسامة مهاجمة باصات العمال، ويوقع بينهم الإصابات، ويتغيب عادل عن الذهاب إلى عمله صدفة، وتنسف الباصات ويحاول أسامة الانسحاب مع

---

(1) خليفة، سحر، **الصبار**، ص 95.

(2) **السابق**، ص 171.

مجموعته فيكتشف أن أحد العمال قد تعر ّف عليه، ويتساءل العامل عن عادل وعن مصيره لو كان معهم، لكن يقرر أنهم فدا القضية.

"أنت يا أسامة؟ أنت يا قواد؟ ماذا لو كان ابن خالك معنا، وأبو صابر؟ وأنا! ووقف على صخرة مرتفعة وصاح بأعلى صوته:

§ يا أسامة، عرفتك يا أسامة.

وتلفت أسامة وقد هزته المفاجأة، ذلك زهدي. آه. وربما كان عادل معه. لا بأس فدا الأرض. فدا القضية"(1).

باسل الكرمي قدمته خليفة في رواية " الصبار " طفلا يشارك في الفعل الثوري، يتظاهر مع أبناء جيله ضد الاحتلال ويهتف بأعلى صوته " احنا رجال أبو عمار، ثورة ثورة حتى النصر " فيعتقله الجنود ويلبسونه كيسا من الخيش في رأسه ويضعونه في سيارة الدورية، وفي السجن يلقبونه " بأبي العز " فيبدأ بسرد القصص من نسج الخيال بعد خروجه من السجن، فقد اعتدى على ضابط وجندي وأنه قلع عين الضابط بالكرباج،ثم ّ يخرج من سجنه ليجد أسامة بانتظاره لتنظيمه، ويشارك باسل أسامة في أعماله الفدائية،ثم ّ يطارد ويسجن،إلا أن ّها في رواية " عباد الشمس " جعلته يرفض الاستمرار في الهروب فيطلب من " خضرون " الوقوف في منتصف الطريق ليعود إلى نابلس حيث تأجج الوضع من جديد بسبب مصادرة الأراضي، فيقرر متابعة النضال مع النساء والأطفال فلم يعد هناك ما يخشاه، السجن قد ألفه واعتاد عليه، والأرض صودرت،والبيت ن ُسف، فلم يعد هناك ما يخشاه.

"قال أبو العز لخضرون :

– أنزلني عند المفرق، لن آتي معك.

---

(1) خليفة، سحر، **الصبار**، ص194–195.

- تنزل في منتصف الطريق. وأين تذهب ؟
- لن احلم أكثر، سأعود إلى القرية والناس.
- وتتركني ؟
- وجهتك هناك، وأنا سأعود إلى القرية.
- وصالح ومشروع الغد ؟
- اليوم أعود إلى القرية وغدا نعود إلى صالح.
- ولكن !
- لن أحلم أكثر، ولن أسبق الزمن بوعود الغد." [1]

والملاحظ أنّ خليفة أرادت لشخصية أبي العز أن تكون شخصية نامية متطورة تمر في مراحل تخدم القضية الفلسطينية، ويرى الدكتور محمد معتصم في كتابه النزعة الإنسانية في أعمال سحر خليفة، أن الكاتبة لا تقبل بأنصاف الحلول ولا ترضخ للأماني البعيدة، فالاستقلال والحرية يبدأ من الداخل،لهذا كان لا بدّ أن يعود من منتصف الطريق من أجل النضال[2].

في رواية ربيع حار قدّمت خليفة صورة جديدة لم نعهدها من قبل، تمثلت في التحول المفاجئ العفوي في صورة المقاوم الفلسطيني، فقد حولته من شخص لا يهتم بالأمور النضالية إلى قائد يدلي بتصريحات خطيرة،والتساؤل الذي يُطرح هنا هل ينعم المتسلقون في هذه الحياة على حساب الشرفاء ؟

---

(1) خليفة، سحر، **الصبار**، 350

(2) **ينظر**، 177

أم أنّها تدين في هذه الصورة فئة من الناس، عاشت في فترة زمنية لها أبعادها على المجتمع الفلسطيني خاصة وأنّ الكاتبة لم تعاصر ما جرى من أحداث عن كثب، ولكنها رصدت مقولات مختلفة من هنا وهناك، واعتمدت عليها حقائق ثابتة.

مجيد فضل القسام طالب جامعي يتيم الأم، صاحب صوت عذب، يطمح أن يصل إلى القمة سريعا، يتحين الفرص المناسبة ليصل إلى مبتغاه، فقاده القدر نحو فتاة من طبقة برجوازية، أحبها وبادلته الشعور نفسه، علاقته جيدة مع الآخرين فهو لبق يعرف كيف يتعامل معهم.

" فقد بات الجميع يعرفون أنه " لعوب " و " أونطجي " ويحب الضحك. الجدة تعرف هذا وتستظرفه، والخدم يعرفون هذا ويتسلون به، والبنت تعرف وتشك وتغار عليه "[1].

"جاءت سعاد لزيارتهم، جاءت مع شاب من الفرقة، دخلوا الغرفة وانغلق الباب، ارتفع صوت أخيه يصيح : أنا واحد حرّ ، ثم جاء أبوه ودخل الغرفة ترك الدكان وجاء فجأة واتجه مباشرة حيث الشاب. وسمع الصراخ أكثر من قبل. أبوه يصيح، وأخوه يصيح وسعاد تقول بعثة روما !

انفتح الباب بارتداد عنيف وخرج أبوه يصيح " من ورا ظهري ؟ بدر الوشمي ؟ يا ابن الكلب "

التفت مجيد وقال : أنا حر. وحمل الجيتار وجاكيت الجلد وخرج من الدار، خرجت سعاد ووقفت على الدرج وصاحت بذعر : ارجع يا مجيد، لكن مجيد ركب سيارة أجرة وانطلق بعيدا عن الأنظار "[2].

وعندما يقف الإنسان في وجه التيار، مصمما متحديا ثم يعود، ليعلن وبصورة مبطنة أنه مع التيار وا ٍن سحقه، تعكس لنا هذه الحالة تخبط الإنسان وانهزامه أمام قرار ما، ولكن كيف يمكن

---

(1) خليفة، سحر، **ربيع حار**، 48.
(2) **السابق**، 66

للإنسان أن يزرع قيما في نفوس صغاره؟ ثم يعود لينسفها وكأنه يعلن أمامهم، أن الغاية تبرر الوسيلة، أية غاية هذه وأية وسيلة تلك التي تجعل والدا متحديا لأمور كثيرة، يرفض ارتباط ابنه بابنة عميل، وفي الوقت نفسه يطلب من ابنه أن يستنجد بهذا العميل لمساعدة القابع في سجون الاحتلال بتهمة هو منها براء، " وسمع من الراديو والتلفزيون أن أخاه وقريبه عيسى قاما بعملية جريئة وضبطا وهما يحاولان التسلل وزرع الألغام في مستوطنة كريات شيفع وا ٍنهما الآن في أحد السجون الإسرائيلية يتعرضان لشتى أنواع الاعتصار والتعذيب "، اتصل الوالد وقال لمجيد:" إن المسؤول عن متابعة قضية أحمد، لن يتمكن من تحقيق أي شيء يذكر، ولن يتمكن من إنقاذ أخيه؛ لأنه عديم الكفاية والاتصالات ولا يعرف كيف يصول ويجول بين العملاء والوسطاء وقوات الجيش. وأتبع ذلك بصوت يائس وقنوط وشديد : وصيتك أخوك. أنت تحرك[1].

وعندما تتضارب مصالح الإنسان مع الآخرين تزول الغشاوة عن الأعين، ويصبح بمقدور الإنسان أن يرى الأمور بوضوح اكبر، وكأنه كان فاقدا للبصر، وهذا ما حدث مع مجيد القسام الذي تحدى الجميع في علاقته مع عائلة الوشمي، نراه قد اتخذ موقفا آخر تجاه العائلة، فقد رفض الوشمي مساعدة أخيه السجين، ولم يكتف بهذا بل ألصق به تهما لا أساس لها من الصحة، تذهبه وراء الشمس، فزالت الغشاوة عن عينيه، وأصبح يرى الصورة ببعدها الحقيقي، فلأول مرة يراهم كلابا وذ َورا.

"انتفض مجيد وأحس بكوب ماء بارد ينسكب عليه، وأخذ يتنفس بصعوبة. نظر إليه الوشمي ثانية من فوق لتحت، وعاد يردد بملل وقرف : لما تتوفر معلومات أنا ببعثلك.

---

(1) خليفة، سحر، **ربيع حار**،78.

دار مجيد على عقبيه بحركة سريعة، ومشى خطوات ثم أسرع، أسرع، أسرع حتى اصطدم بلودا الوشمي ففاجأته بكلمة (أهلا) طويلة عريضة مثل الموال، فزاحها عن طريقه وقال بعنف : زيحي بلا أهلا ولا سهلا، أما أولاد كلب ! أما مساطر !.

وخرج من الفيلا ورأى شابا يسقي الورد، ويرش العنب بمضخة مبيدات حشرية، فتأمله بنظرة غاضبة مشحونة فابتسم ذاك، لكن مجيد استدار فجأة، ووقف مقابل باب الفيلا وعاد يشتم: أخ تفو يا نور، قال بن لادن!!" [1].

وبحركة سريعةجعل خليفة، من مجيد القسّام شخصا آخر، غير الذي اعتدنا عليه، فمن شاب عاشق للموسيقا كل تفكيره مُنصب نحو هدف محدد، إلى مطارد يحاول الهرب من مصير مجهول ينتظره، وهي بذلك تبالغ في هذا التحول، إذ لا يمكن أن يأتي التحول من النقيض إلى النقيض بصورة مفاجئة، بل يحتاج إلى مقدمات قد تأخذ وقتا طويلا نسبيا لحدوثه، ومع ذلك فهي ترى أن الظروف المحيطة بالإنسان، قادرة على صقله من جديد، حسب ما أوردت في رواية ربيع حار، إذ ترى سحر خليفة أن أعمالها " تقوم برصد التحولات التي يعيشها الإنسان الفلسطيني تحت الاحتلال "[2].

"وسمع كلمة " قتلوه،قتلوه ! " ثم سمع السيارات وعويل زامور الأمبولانس، يهدر في الليل. ورأى الشرطة وقوات الأمن، وعددا لا يقل عن العشرة يقفزون من الجيبات، وبأيديهم الرشاشات. " طوقوا المكان، طوقوا المكان " سمع النداء فلمع الخاطر كلمع البرق في رأسه أنه سيكون أول مشبوه وخصوصا بعد اللقاء القبيح بالوشمي قبل ساعات، ودفعه للبنت وهو يشتم ووقوفه في الباب وهو يبصق وأخوه عيسى وبن لادن. ودون تفكير، وبردة فعل تلقائية، دخل الغرفة وسحب ملابسه

---

(1) خليفة، سحر، **ربيع حار**، 81

(2) نشوان، حسين، **الفردوس المفقود والحب الضائع** / مقال انترنت / http://www.worldcelebrities.net

وخرج بالشبشب، يتعثر حتى وصل أشجار الكرز فخلع جاكيت البيجاما ولبس القميص، لكنه سمع الأقدام نحوه، فقفز عن السور بحلاوة الروح وما درى إلا وأيد مجهولة تتلقفه وتشد به نحو سيارة خصوصية وشاب يقول " هـُس ولا كلمة "[1].

ولم تكتف خليفة بإحداث تغيرات جذرية لملامح شخصيات روايتها، بل جعلت القارئ يقع في تناقضات كثيرة، فلم يعد الفلسطيني يقاوم المحتل فحسب، بل قاوم أيضا رجال الأمن الفلسطيني، ولم يعد مطاردا من قبل الاحتلال، بل من قبل السلطة الفلسطينية، وكأن القانون مهمش في حياتنا وكأننا نعيش في مجتمع يأكل فيه القوي ضعيفه، لا وجود لسلطة ولا قانون، وهذا يعكس رفض الكاتبة لوجود السلطة الوطنية بقادتها ومؤسساتها، إذا لا يعقل أن يكون مصير الإنسان البريء مجهولا؛ لأن الكاتبة أرادت له أن يكون مطاردا يدفع ثمن فعلة لم يقترفها، لأنها تريد إدانة السلطة والقائمين عليها عن طريق تشويه الحقائق أو تضخيمها، إذ ترى أن الفلسطيني بات داعيا وحاميا للمحتل على حساب أبناء هذا الشعب الفلسطيني، وهذا الأمر فيه مبالغة واضحة.

"حاول الخروج من الموضوع وتغيير النقاش. كان يريد كلمة حلوة، نهفة مرحة، ذكرى سعيدة تجعله يحس بأنه إنسان، فالاختباء طوال النهار، والتسلل أثناء الليل، جعلاه يحس بأنه يحيا حياة الخفافيش، فهو مطارد من قبل اليهود، ومطلوب أيضا للسلطة. ومع أن التنظيم أعلن مسؤوليته عن الحادث وقتل العملاء بمن فيهم بدر الوشمي، إلا أن اندماجه في العمليات جعل ظهوره في وضح النهار، أمرا محفوفا بالويلات، فكتبت عليه حياة الخفافيش" [2].

(1) خليفة، سحر، **ربيع حار**، 82.

(2) **السابق**، 95

وبحركة سريعة جدا، ومرة أخرى يتحول مجيد إلى مناضل يطارد دون سابق إنذار، فوجوده مع المناضلين، جعله ينخرط بهم ويحمل نفس مصيرهم، وترى الدارسة أن سحر خليفة أثقلت على شخصياتها بأن جعلتهم يحملون أعباء أكثر مما يستطيعون، فقد حولت مجيد القسام من إنسان عادي لا يهتم سوى بالموسيقا، إلى مطارد يحاول الهرب من قصف طائرات الأباتشي، يحمل روحه على راحته، ويسير بها في الوديان والجبال، التي لم يعتدها من قبل لتكون نهايته مجهولة.

"اختبأوا في الكهف ثم انتشروا. واختفى هو تحت الزيتون وظلال التين، لكن الأباتشي ظلت تحوم فوق رأسه ورؤوس الشباب، أحيانا ترش، وأحيانا تقذف، وهو يقفز من واد إلى واد وبين الأشجار وبين الأنقاض حتى واجه جرفا خطرا عميق البؤرة. ولكن الخطر من قصف السماء أكثر خطرا فقفز وتدحرج بين الشوك وهبط في الجرف واختفى أثره "[1].

ويصاب مجيد إصابة بالغة في رأسه تفقده الوعي، ورغم الحصار تستطيع جدته بمساعدة أخيه وصديق من نقله من نابلس إلى رام الله لتلقي العلاج، والسؤال الذي يطرح هنا لماذا أرادت سحر خليفة نقل المصاب إلى رام الله ؟ ألا توجد مراكز علاجية في نابلس ؟ أم أنها تريد أن تحبك قصتها بدخول مجيد إلى المقاطعة حيث يقبع الرئيس ياسر عرفات، فقد خاطر الجميع بحياة مجيد أثناء نقله، وبات يكشف أمره،واقترحوا وضعه في منزل الوشمي، لكنهم لم يجدوا مكانا أشد أمنا من المقاطعة، هل بحثت سحر عن مكان آمن لشخصيتها ؟ أم بحثت عن مكان تستطيع الانطلاق من خلاله لمهاجمة القيادة الفلسطينية في داخل المقاطعة، مع أن مجيد رفض بداية التوجه إلى المقاطعة، إلا أنها كانت في النهاية بداية عهد جديد بالنسبة له.

"وبعد أخذ ورد واستشارة سعاد اتفق الجميع على أن المكان الوحيد المناسب له هو عند الرئيس، فهناك جنود، وحراسة، ورجال تمريض، ومطافئ عند أبي عمار. فتح عينيه وأغمض

---

(1) خليفة، سحر، **ربيع حار**، 95.

عينيه وتمتم بقنوط : لأ أبو عمار ! لكن أحدا لم يسمعه، إذ كان الجميع في دوامة والراديو يصيح والتلفزيون والسيارات وقوات الأمن، والسماعات تهتف وتقول : اجتياح قريب. وشباب وبنادق ورشاشات حول الدوار والمنارة ومداخل الشوارع والعمارات ومقر الرئيس"[(1)].

ويصحو مجيد من غيبوبته، ويعيش لحظات عصيبة داخل المقاطعة ومرة أخرى نرى سحر خليفة تحدث تغيرا جذريا على شخصية مجيد، فبعد أن كان رافضا الدخول إلى المقاطعة، نراها تخطط له كيف يتسلق ليصبح رمزا من رموز السلطة، فقد أصبح يفكر أن الاقتراب من القائد يعني سلطة ومنصب، وبدأت الأحلام، وسرعان ما تحولت إلى حقيقة إذ استعان بلودا الوشمي التي مهدت له الطريق لإجراء لقاء حي لإحدى القنوات، الأمر الذي جعله قائدا له وزنه.

والسؤال المطروح مرة أخرى هنا هل يستطيع إنسان عادي لا علاقة له بالنضال، أو العمل السياسي، أن يصبح قائد تنظيم في ليلة وضحاها؟ هل بإمكان أي شخص الإدلاء بحديث لقناة عالمية في مكان رسمي كالمقاطعة دون تنسيق مسبق؟ أرى أن الكاتبة جعلت من هذه الأحداث نقطة انطلاق للحديث عن سلبيات القيادة الفلسطينية، والتي اختلفت معها في المنهج، لهذا جاءت هذه الأحداث لتخدم أفكار الكاتبة التي تؤمن بها.

فبدل الكاكي لبست البدلة، وبدل السلاح حملت القلم ألوح به وأنا أحكي وأشرح وأقول بملء الفم ديموقراطية وهموم الشعب وا ٍعادة هيكلة الحكومة حتى صدقت ما أدلي به من تصريحات " [(2)].

ويتابع مجيد أحلامه ولكن هذه المرة الحلم تغير، فقد بات يحلم بالوزارة، فالوزراء ليسوا أفضل منه منزلةفقد حقق إنجازات رائعة بدخوله التلفزيون وا ٍصدار التصريحات المختلفة، وكان

(1) خليفة، سحر، **ربيع حار**، 128.

(2) **السابق**، 170.

المعيار بالنسبة للكاتبة لا يعدو شكلا مقبولا وصدفة، قد يحصل عليها كل إنسان على وجه الأرض.

"وبدأت الصعود إلى القمة حيث تدرجت في المناصب وسباق الخيل، وبت أحلم بوزارة؛ لأن الوزراء ليسوا أفضل، فأنا بدخولي التلفزيون، حققت إنجازا على كل صعيد، فشكلي مقبول، وقولي معقول، وعندي خبرة بفنون القتال أفادتني حين تدرجت، ولدي أب يشرح ويفسر عسير، فلماذا لا أصلح لوزارة ومعالي الوزير ؟ ولماذا لا أعلو وأتطاول، وأنا معقول وشكلي مقبول وبمنطق ؟ أهناك شك ؟ ما عاد هناك "[(1)].

وترى الدارسة أن خليفة، بالغت حين صورت التحول غير المنطقي في شخصية مجيد وكأنها تلمح لتصريح خطير، وهو أن كل إنسان بإمكانه أن يكون قائدا وإن كان بعيدا عن دائرة النضال، المهم الشكل الحسن والأسلوب الجيد في الحديث.

وهناك صورة أخرى من صور النضال التي ظهرت بشكل واضح في أثناء الانتفاضة، هي صورة المطارد الذي ينام ليلا في خارج منزله؛ خوفا من اقتحامه من قبل جنود الاحتلال ويعود إليه في ساعات النهار، ليرتاح من عناء الليل، وسهره، فينام قليلا، وتعود الدائرة من جديد، هذه هي إحدى صوره.

"من الجبل تبدو نابلس كانون نار، والمصابيح تألقت كحبات الدق، لكن العتمة والآهات ونداءات الشباب. وحسام المطارد أين ينام ؟ يجيء مع شقشقات الفجر، وآذان الصبح، ينقر شباك العلية ويقول وهو ما زال خلف القواطع : " صباح الخير عمتي " " يسعد صباحك ويطلق جناحك

(1) خليفة، سحر، **ربيع حار**، 171.

ويجعل نهارك نور وسرور، فوت يا عمتي فوت خذلك غفوة، وتقوم من فراشها فيندس فيه، وينام حتى قبل الظهر "[1].

ويحمل المطارد روحه على راحته، لا يعرف متى أو أين أو كيف تكون نهايته؟ فها هي سحر خليفة تصور لنا مطاردا دخل بيته مع صديقه حيا، تناولا الطعام واستراحا، بعده دخله مصابا برصاصة دمدم وخرج منه شهيدا وشيع ودفن دون علم أهله، هذه هي حياة المطارد، يهرب من العدو فيجد الموت يقف له بالمرصاد.

" وذات يوم جاءها برفيق له. كانا جائعين كالقطط الضالة، فأكلا الخبزات واستقرضت المزيد. وبعدها بأيام جاءها بالرفيق نفسه وفي صدره صلية دمدم. ومات الشاب بين يديها، وحسام يبكي في العتمة. وقف على السطح وصفر، وجاءوا كالجن من الليل. حملوه ودفنوه في لحظات دون أن تعلم أمه "[2].

ومما لا شك فيه أن الظروف الصعبة، التي عاشها الشعب الفلسطيني خاصة أثناء الانتفاضة وما كان فيها من إسقاطات، وانتهاكات لحرمات كثيرة، هذه الأمور جعلت الفلسطيني المناضل يتخبط في مواقفه أحيانا، فيكون القاضي والجلاد في آن واحد وقد يعتصره ألم الندم لاحقا إن كان متسرعا في حكمه.

وقد رصدت لنا خليفة صورة لرجل كان القاضي، والجلاد في آن واحد، كان " حسام " من الشخصيات النضالية في حارة "باب الساحة" في مدينة نابلس وقام بالمشاركة في التحقيق مع سكينة، وابنتها نزهة للاشتباه بهما بالتعاون وبدفع سلطات الإحتلال، وكانت نتيجة التحقيق قتل الأم بطعنة سكين أمام ابنتها، أما الابنة فقد بقيت تجتر المآسي والحسرات، وحاولت رؤية " حسام " –

---

(1) خليفة، سحر، **باب الساحة**، 14.

(2) **السابق**، 14- 15.

الذي يمثل أحد رموز النضال في المكان – إيمانا منها أنه سينصفها، ولكنه كان سلبيا إذ رفض الذهاب وتهرب من الأمر بدبلوماسية واضحة، لكنه عندما أصيب في أحد الاشتباكات لم يجد مكانا يختبئ به أشد أمنا من بيت سكينة المشبوه، ولم يجد يدا ترعاه إلا يد نزهة، فهل بعد الإساءة التي نالتها نزهة من حسام ورفاقه يجدر بها أن تقدم له مساعدة وهي كما يدعون متعاونة ؟!!.

" قال بحزم لم تعهد فيه :

حو ّمت الكلمة في رأسها ودارت: سمعناها. سمعناها.

سمعتوها؟ أنت ومن؟ أنت وهم؟ هم من نطوا عن سطحها وضربوها؟ هم من أغمدوا السكين في صدر أمها حتى المقبض؟ أنت فيهم؟"(1)

وبدخول حسام بيت نزهة، يتعاطف معها بعد أن احتمى بمنزلهم المشبوه، وكأنّه نظر إلى إنسانيتها عن قرب فاكتشف الرؤية الإنسانية، التي تنظر من خلالها نزهة إلى العالم من حولها(2).

وترى الدارسة أن خليفة، جعلت من شخصية حسام، شخصية نامية متطورة خاصة فيما يتعلق بموقفه من نزهة وقد يعني هذا التحول في شخصية رمز من رموز النضال الشيء الكثير، فهي بذلك تلمح بإمكانية التطور في وعي نفسه "هذا الوعي الذي كان عليه إن يفهم منذ البداية ضرورة المحافظة على سكينة بدل أن يقتلها "(3).

صورة أخرى من صور النضال كما عرفت تبرزها سحر خليفة، من خلال روايتها باب الساحة، فقد صورت "أحمد" شقيق نزهة، الذي يصغرها بعشر سنوات، قد هجر البيت من منطلق نضالي، بل ساهم في قتل أمّه،وحاول قتل أخته ليثبت لرفاق الدرب، أنه رجل من جهة، وغسل عاره من جهة أخرى وأصبح مطاردا مع المطاردين، والسؤال الذي يطرح هنا، هل أرادت سحر أن

---

(1) خليفة، سحر، **باب الساحة**، 43.

(2) ينظر: مناصرة حسين، **المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية**، 354.

(3) **السابق**، 354.

تسلط الضوء على شخصية أحمد، من خلال قيامه بواجبه تجاه العملاء والمتعاونين حتى لو كانت الضحية أمه أو أخته؟ أم أنها أرادت، أن تعكس قسوة الرجل الذي ينسى ما قدمته الأم والأخت؟ أين الآلام التي عاشتها سكينة ليرى أحمد النور ليكون أداة لزجها في ظلام دائم قد تكون فيه ضحية مؤامرة لا علاقة لها بها.

ويستشهد أحمد، وبموته هذا يمحى عار سكينة ونزهة، وأصبحت دار نزهة التي عرفت بـ "دار التعريص" دار وطنية ؛ لأنها غسلت بدم أحمد العار فبعد أن كانت مهجورة، لا يقترب منها أحد أصبحت تجمعا وطنيا " الدار المشبوهة ما عادت تنأى عن الحي. انفتحت مصاريع الأبواب والشبابيك وامتلأت الحاكورة بالفتيات عن آخرها"[1].

وترى الدارسة أن موقف خليفة من هذه الأحداث، ما هو إلا تأكيد على عدم وعي الشعب الفلسطيني تجاه الكثير من الأمور، فقد قتلوا سكينة وهجروا نزهة ثم عادوا من جديد باحتضانها دون أن يفكروا مرة بحقيقة الأمر بعقلانية، وكأن العاطفة هي التي تسيرهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، هناك تصريح واضح أن الرجل هو من يقرر حقيقة هذه الأمور، والمرأة مغيبة فمقتل سكينة، والرضا عن نزهة كان بقرار ذكوري، مطلق بل إن الكاتبة تصرخ وبأعلى صوتها مؤكدة أن قتل سكينة خطأ ومحاولة قتل نزهة خطأ أكبر" إذ بإمكان سكينة أن تكون في خدمة الصورة مثلما ابتذلت اجتماعيا، فهي أسقطت عندما غابت عن المجتمع في بنية الكفاح الشعبي، وهي بدأت تنزع عنها ثوب السقوط، بعد بداية الانتفاضة، كما أخبرت نزهة عن أمها "[2].

(1) خليفة، سحر، **باب الساحة**، 2.

(2) مناصرة حسين، **المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية**،355.

ومما لا شك فيه، أن خليفة في طرحها هذا تحاول أن تؤكد لنا، وجهة نظرها التي باتت جزءا من شخصيتها، تجاه الرجل أن البيئة الذكورية هي بيئة ظالمة، خاصة فيما يتعلق بالمرأة فهي تكيل بمكيالها الأرجح منها لصالح الرجل دوما.

صورة أخرى من صور النضال تعرضها سحر خليفة، من خلال شخصية أحمد القدّام، شخصية جعلتها تنمو بطريقة غير منطقية، فقد بدت ملامح هذه الشخصية مهزومة مهزوزة،شخصية تعاني من مشكلات نفسية متعددة منذ نعومة أظفاره، رغم أنه رقيق حساس كما يراه كل من حوله " اهزت عضلة في صدعه، وانحرفت نظرة من عينيه جهة اليمين، وظل الجفنان مرخيين بشبه نعاس،لكن النظرة المورّوبة كشفت سره: ولد رقيق،ولد حساس،ولد ناعم وهذا بالذات ما فسره أستاذ الرسم لوالده بياع الكتب.....لكن الولد قال بحيرة : سع ساع ساعة ؟وأخذ يقلبها ويشقلبها وينظر إليها بطرف عينه تلك النظرة التي تجعل من وجهه شبة معاق – فقال الوالد: ساعة سويسرية معتبرة. ساعة ديجيتال. قال الولد وهو مطأطئ: عن عن عندي سع ساع ساعة[1].

هذه الصورة كانت قبل اجتياح القوات الإسرائيلية للمدن والقرى الفلسطينية، ولكن الكاتبة جعلت من أحمد الحالم الذي لا يقوى على لفظ جمل وكلمات تامة دون تأتأة. حولته إلى رجل قاس تشبع من رائحة الموت ولون الدم، فمن رسام يلهو ويلعب بين الحقول،يمارس موهبة الرسم والتصوير وكأنها عمدت إلى جعل عجلة الحياة تدور به مسرعة ليتغير قلبا وقالبا، ولعل الهدف من ذلك بيان قسوة الاحتلال بعد الاجتياح مع أنه ابن الاحتلال عاش وترعرع في أسرة عانت من الاحتلال ولم يكن يأبه، ولكن فجأة وبدون سابق إنذار نراه تغير من النقيض إلى النقيض " نظرت إليه ورأت شعره طويلا منفوشا مثل ريش الديك،ورأت شعرات متناثرة فوق ذقنه طالت وتلوت في حلقات مثيرة للحزن. أما عيناه فعيون الضبع أفضل منها. ما هذا الشكل ؟ أما زال هناك قتلى

---

(1) خليفة، سحر، **ربيع حار**، 7.

وجرحى في هذا المنع؟ أيام طويلة فقد مرت وهم محبوسون في هذا الخم، في هذا السجن، في هذا المنع أما زالوا يقتلون ؟ أما شبعوا"[1].

وترى الدارسة أن الأحداث التي تعرض لها الشعب الفلسطيني، بعد أوسلو خاصة كانت أشد قوة إذا ما قيست بما عاشه الناس قبل أوسلو، هذه الأحداث من مثل الاجتياح، مثلا كانت قمة في القسوة جعلتهم يفقدون الثقة بكل شيء فمرهف الإحساس الذي كان يصور بأحاسيسه، لا بعدسة الكاميرا نراه قد تحول إلى شخص لا يملك من الإحساس شيئا، إنسان يسير كالآلة لم يعد يهزه منظر الدم واللحم، فأحاسيسه مصابة بصدمة كما هو طفل لم ير من الحياة شيئا يقذف بين الأشلاء قذفا، إصابات،شلالات من الدماء، شيء لا يتصوره عقل بشري، وكأن هذا النزيف الدموي كان بمثابة المحرك الرئيس في شخصية أحمد، فلم يعد الطفل البسيط صاحب الشخصية المهزومة الذي لا يعرف كيف يتحدث من دون أن يتأتئ، لقد ذاب من أجل الآخرين، وذابت معه سلبياته الماضية، فلم يخطط لمثل هذا الأمر لكنه كان.

"حسن استفاق أخذ يبكي، لكن الطبيب صاح ينبهه: " يا الله يا بطل، اليوم يومك، الناس بتموت ". فقام ببطء، ثم بسرعة وأغمض عينيه في البداية، وهو يمسك شابا مصابا بشظية بترت ساقه، واضطروا لبتر ساقه الأخرى من غير بنج. أمسك به بقوة وشراسة وأغمض عينيه. ثم مع الوقت فتح عينيه وأخذ يعالج، يقطب جرحاينظف جرحا، يربط ويضمّد ويغزّ الإبر، فقد الإحساس، صار يمشي مثل الآلة، ويسمع الصراخ ولا تهتز له شعرة.

أصبح همه، كل همه أن يعطي شيئا لهؤلاء الناس، يعطيهم شيئا من قلبه أو من دمه، ولقد قدر أيضا على روحه لأعطاهم روحه أو أكثر، فهؤلاء الناس مثل الأيتام بلا مأوى، وبلا طعام (وبلا إله يرعاهم). فماذا فعلوا حتى ينالوا كل هذا ؟ ماذا فعلوا ؟ سرقوا ؟ نهبوا ؟ قتلوا ؟ حرقوا ؟ ألا

---

(1)خليفة، سحر، **ربيع حار**، 160.

يكفيهم ما هم فيه؟ مرض وفقر وبطالة وعري في البرد، وتجيء أمريكاوإسرائيل بكل هذا. لماذا يا رب ؟ أين عيونك "[1].

هذه الكلمات جاءت على لسان أحمد الفتى الصغير، الذي لم تعركه الحياة بعد، ولكن الدارسة ترى أن سحر خليفة عبرت من خلدها من نقمة عن الواقع الذي تعيشه، بل الذي عاشته، ولا زالت بلسان أحمد الذي وصل في عناية إلى الذات الإلهية، فأحمد لم يعاصر الحرق، والنهب، والقتل والسرقة التي تحدثت عنها الكاتبة ولكنها تتمرد على واقع عاصرته، ولم يقو أحد على تغييره، فجاءت هذه العبارات الأكبر من قائلها لتكشف حالة اليأس، التي تعيشها الكاتبة من جراء الوضع الذي آل إليه الناس بعد أوسلو.

صورة المحب

سحر خليفة كسائر الروائيين الفلسطينيين، وحتى تحافظ على توازن بين الحياة العادية للإنسان الفلسطيني بما فيها من آمال، وآلام، وتطلعات من جهة، وما فيها من صراع مع عدوّ سلب كل شيء[2]، كان لا بد لها من أن تتحدث عن المشاعر العاطفية بما لا يتنافى مع معتقداتها فجاءت عدة صور للحب في رواياتها.

تطالعنا صورة عبد الرحمن الميثلوني، إنسان مرهف الإحساس من طبقة كادحة أحب فتاة من طبقة برجوازية؛ لكنها في أول موقف تخلت عنه، فقد سجن بسبب فكره الثوري؛ ونظرتها البرجوازية فتزوجت من ثري، وعاشت في أمريكا، فصدم نتيجة لذلك في مشاعره وأحاسيسه ومبادئه، فبات لا يؤمن بالنساء، وعزف عن الزواج، رغم حب النساء له.

(1) خليفة، سحر، **ربيع حار**، 148.
(2) الراعي، علي، **الرواية في الوطن العربي**، 260.

" كان يعتقد بأن الحبّ نوع من الاستعباد، نوع من الذل هو في غنى عنه ! ثم إنه ما من امرأة تستحق أن تنال قلبه وفكره. لقد أحب مرة وتركته حبيبته في أمس الحاجة إليها. تركته وراء القضبان وتزوجت ثريا، مغتربا طارت معه إلى أمريكا.. ولا بدّ أنها كانت في بحر من السعادة، حين كان هو في أعمق أعماق الشقاء !.. حسنا إن كانت هذه هي طبيعة المرأة، فما من داع لدخولها حياته ثانية. واحتياجات الجسد قد تلبى، فالمعجبات كثيرات وهو لا يحاول الاصطياد. كل ما عليه هو أن يلبي دعوة ملحة منشوقة !" [1].

ونتيجة لهروب سامية من المواجهة ؛ ولأنها تخلّت عنه في أزمته فقد اتخذ عبد الرحمن موقفا من المرأة، فاتجه نحو الفن ولم يعد يهتم بالنساء وكأنه بهذا أصيب بصدمة نفسية جعلته ينطوي على ذاته، أصبح أكثر غموضا وكأن ما تبقى له من أحاسيس وجهه نحو الفن فعن طريقه استطاع أن يعبر عما يريد، فالإبداع ينبع من الإنسان ولا يحتاج إلى ملهم كي يكون مبدعا وهو بذلك يناقض النظريات التي تعتبر المرأة مصدر إلهام وإبداع لأي فنان.

" أنا أحبّ المرأة المرحة بدون ابتذال. وهذه من هذا النوع. كنت أتمنى لو التقيت بمثلها يوم كنت أفكر في النساء. يوم كانت المرأة تمثل عاملا حيويا في حياتي "،" المرأة إنسان قبل أن تكون أنثى، بيد أني ما عدت أعبأ بهن كثيرا فالفن يملأ كل وقتي، ولا أريد توزيع طاقاتي "[2].

" الفنان الذي يؤمن بقدسية فنه، ويؤمن بأن الأصالة هي منبع التخلف والإبداع هذا الفنان الأصيل الملهم، ليس في حاجة لامرأة توقظ منه فقد يكون العكس هو الصحيح، فقد تشغله وبحبها الفردي عن حبه الجماعي للإنسانية والفن طاقة إنتاجية، حرارة تستعر في أعماق الفنان ولا يبرد أوارها إلا بعد ترجمتها إلى لوحة أو شعر أو نغم. الفن عصير روحي، إفراز جمالي، خفقات قلب

(1) خليفة، سحر، **لم نعد جواري لكم**، 22.
(2) **السابق**، 35.

مفعم بالحب والرحمة ونكرات الذات، وقد يمر الفنان بحب يعتصر روحه وقلبه وجمالياته فيصبح قشرة فارغة أو زهرة بدون شذى. هذا هو رأيي بعد التجربة"[1].

وعندما التقيا بعد عشر سنوات لم يشعر عبد الرحمن بأن سامية ما زالت محبوبتة، فقد بات عاشقا محطما تمنى لو أنه ظفر بها حينها، لانهال عليها دون رحمة، فقد طعنته شر طعنة، فأصبح يجتر الذكريات ويعيش على أنقاضها.

"عندما وجدتها أمامي لم أجد إلا حلما مملا.... وذكرى كالحة....فأين تلك اللهفة التي كانت تصيبني عندما كنت أجالسها ؟ أين ذاك السيل الفياض من الكلام الذي لا ينقطع! كنا نتكلم ساعات وساعات....نناقش الأدب والسياسة والمجتمع،والفن.... نحلم بالمستقبل.... نضع المشاريع والخطط "[2].

والسؤال الذي يمكن أن يطرح هنا، يتعلق بموقف الكاتبة من الرجل فهي تبدي تعاطفا واضحا مع عبد الرحمن، على عكس ما يمكن توقعه من موقفها المسبق عن الرجل، فلا موقف عدواني يظهر من خلال طرحها تجاه عبد الرحمن، وهذا يبدو من خلال صورة الرجل كذكر حين يغيب في الحاضر، أو لمعنى آخر حين تمضي الأيام الحلوة، ولا يبقى من الزمن الجميل سوى الذكريات[3].

ومع هذا نرى أن عبد الرحمن، عاشقا رومنسيا، يعتبر المرأة العنصر الأضعف، فيأبى على نفسه الاعتراف بأن امرأة سببت له الألم في حياته، فهي مخلوق ضعيف في نظره، حزين والحزن أساسه الضعف وهو يدل عليه، فيأبى على نفسه، أن يكون ضحية لمخلوق غريب ألا وهو المرأة.

---

(1) خليفة، سحر، **لم نعد جواري لكم**، 35- 36.

(2) **السابق**، 37.

(3) ينظر : ناجي، سوسن، **صورة الرجل في القصص النسائي**، 202.

" تبدو أكثر جمالا من الماضي ! أم أنني سكران ؟ حزن عينيها يزيد من جاذبيتها إذن فصحيح أن ّ الحزن يزيد من جاذبية المرأة بالنسبة للرجل. لماذا ؟ ألأنها تشعره بأنه الأقوى ؟ ألأن الحزن يذكر الرجل بأنه الجاني ؟ وعندئذ يكون حب ّ ◌ ّ الرجل كما يكون حب الجاني للضحية ؟! مسكين أيها الإنسان ما أعقدك !... ومسكين أنا ما أبلهني !... رجولتي وعزتي تأبيان لي أن أكون في وضع المجني عليه من قبل هذه المرأة، فتحاول مخيلتي أن تخلف لها وضعا حزينا، لتبدو في دور الأضعف حتى أكون أنا في دور الأقوى!... سلسة من العبث : فمن الذي يعبث ؟ نحن بأنفسنا، أم أنفسنا بنا ؟! "[1].

وتطالعنا صورة أخرى من صور المحبين، ترسمها سحر خليفة بطلها حسام في رواية (باب الساحة) فقد أحب ّ حسام فتاة فاعلة في جمعية المرأة تدعى "سحاب" أحبها من طرف واحد،كان لا يزال صغيرا عندما رآها أول مرة، وتحركت مشاعره تجاهها، فباتت حلمه الدائم، ثم ما لبث أن حطم الحواجز، فلم يعد يؤمن بالحب من طرف واحد، ولم يعد يخاف النظر في عينيها، وقرر ألا يكون وحيدا يحلم بفتاته وكأنه بذلك خرج من اللاشعور إلى الشعور، فلم يعد يفكر بعقله الباطن بل صوب تفكيره، وخلجاته نحو عقله الواعي، وبهذا أصبح إدراكه للأشياء أعمق، وقد انعكس هذا على تفكيره فأصبح يفهم ما يقرأه ويعي حقائق، الأمور فاشتد عوده وقويت إرادته.

"ما عاد يخجل من النظر مباشرة في عيني البنات. ما عاد يشعر أن النظر خيانة. وأهم من هذا وذاك، ما عاد مقتنعا بهذا الحب، الحب من طرف واحد، حب الأحلام حب يجيء من الصفحات والرغبة المكبوتة في الأعماق، والعقل الواعي صمام أمان. بدأت قراءاته تجدي. الآن يفهم ما يقرأ ويحلل ويعلل ويتأمل"[2].

---

(1) خليفة، سحر، **لم نعد جواري لكم**، 47

(2) خليفة، سحر، **باب الساحة**، 54.

وبعد خمس سنوات يكسر حسام حاجز الصمت، ويخاطب من كان يفعل في خياله وأحلامه،الآن يقف أمامها، يتحدث إليها، فلم يعد ذاك الطفل الصغير، الذي عرفته من بعيد ولم تعد هي ذلك الحلم الذي غزا قلبه وعقله سنين طويلة.

"ورآها في معرض للكتب.اللباس الأنيق نفسه، والكعب العالي، والقدّ الملفوف، ما زالت حلما، والقلب يخفق بهدوء مشوب، اقترب من الطاولة حيث تقف وهي تقلب كتابا جديدا قال بتحد : " أي بلد هذه ! خمس سنوات أو أكثر وأنا أعرفك ولا أعرفك ! التفت بسرعة واضطرت إلى أن ترفع عينيها. كان قد بات طويلا، أطول منها ! التقت عيناها بعينيه، همست بصوت عريض أبح بطيء : " ما عدت تدمع ! " قال بهدوء موقوت : " كبرت " هزت رأسها وابتسمت " واضح. واضح"[1].

وترى الدارسة أن خليفة، جعلت من هذا المحب الصغير صورة أرادت من خلالها التأكيد على أن الانسان، عليه أن يحيا ضمن واقعه، وألا يلهث وراء أحلام اليقظة وبالفعل يدرك حسام متأخرا أنه في حاجة إلى الارتباط بواقعه، فيحاجة إلى أنّ يحب سمر الإنسانة المثقفة ؛ لأنها واقعه الذي عاشه في (باب الساحة) : " أنا من بلدك، أنا من أرضك، أنا من الساحة التي جمعتنا بطفولتنا لما كنا نلعب بالمنشور، ونكتب أسامينا على الحيطان، ونقول عاشت الثورة يا أرض مصر[2].

ويرى حسين المناصرة، أن التحول في حياة حسام جاء بعد تأثره بأفكار نزهة وبعد فشله بحبه لسحاب فقد كررت دوما مقولة : لسنا بضاعة، وهذه المقولة مضادة لوعي الذكورة الذي يتعامل مع المرأة بوصفها بضاعة[3].

---

(1) خليفة، سحر، **باب الساحة**، 55.

(2) **السابق**،159

(3) ينظر: **المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية**، 357.

أما في رواية عباد الشمس، فتظهر خليفة المحبّ بصورة مغايرة نوعا ما من صورها السابقة، فعادل الكرمي ابن الإقطاعي الوجيه، شاب مثقف منسلخ عن طبقته، يعجب بفتاة تدعى رفيق ولكن الإعجاب لا يصل حد الحب أو التفكير بالزواج منها، لكنه حبه كان مقترنا برغبة فيها، لكنه يراها فتاة عربية تريد الحب وهذا ما لا يقدر عليه".

ويعيش لحظات سعيدة مع رغباته ويشعر بدفء العالم حوله وكأنه بطعم النبيذ ويتمنى لو يحظى بضمها إليه أو يعبر لها عن أشياء حميمة، "يقبلها، وينام على الحشيش، ويستمر معها في الطيش، والجنون، والنسيان" [1].

ولكن رفيف كانت دائمة الصدّ له فهي ليست من النوع المنفلت، الذي يسعى وراء اللذة وإشباع رغبات الجسد،ولكنها تسعى إلى إقامة علاقة متكافئة مع من تحب تحافظ من خلالها على إنسانيتها وكرامتها وصدقها وعفويتها،علاقة تمنحها الحب الحقيقي،وتمهد أمامها الطريق للزواج وإنشاء الأسرة وتحقيق الاستقرار [2].

وترى الدارسة أن هناك تحولاً في طرح الكاتبة، فلم تعد تخاف من جسد الرجل في طرحها وخرجت من حيز كبت الرغبة، إلى إعلانها وهي بهذا تمثل إنجازا جديدا، لم يكن ظاهرا في كتاباتها.

ويدرك عادل أن "العواطف ليست شوائب تضعف الإنسان وتعرقل ثورته،أنها إنسانية الإنسان،فحين يستجيب لها لن يفقد حريتهكما كان يعتقد وإنما سيزداد قوة وفاعلية "[3].

---

(1) خليفة، سحر، **عباد الشمس**، 16.

(2) ينظر : الشامي، حسان رشاد، **المرأة في الرواية الفلسطينية1965–1985**، رسالة دكتوراة، 62

(3) محمود، ماجدة، **المرأة في روايات سحر خليفة**، 204.

وهناك نرى أن سحر خليفة أعلت من شأن العاطفة، ولم تعدها نقطة ضعف، مؤكدة دور العقل الواعي في توجيهها والسمو بها بعيداً عن الانسياق وراءها[1].

هناك من يرى وجود ثنائية كامنة في ذات العربي، تكمن في الرؤية الانفصالية، التي تجزئ كيان الإنسان إلى جسد وروح، بل تكون الرؤية إلى الجسد مضادة للرؤية إلى الروح فالجسد مدان والروح منزهة في حين أن الإنسان واحد[2].

بيد أن خليفة في روايتها(صورة وأيقونة وعهد قديم) قد أظهرت تطورا واضحا في مفهومها للحبّ والجسد، فإبراهيم في روايتها أحبّ فتاة في البداية حبّا من طرف واحد أحبها دون أن يحادثها واستمر في حبه حتى أصبح عاشقا لا يقوى على فراقها، ويكتشف بعد ذلك أنها تدين بديانة أخرى غير ديانته فهو مسلم وهي نصرانيةوهناك أمور تقف في وجه هذا الحبّ غير الدين؛ فالإسلام لم يحرم الزواج من كتابية لكن المجتمع بعاداته وتقاليده يقف عائقاً أمام هذا النوع من الارتباط.

"لا أدري متى وكيف أحببت مريم. أو ربما ما بهرني هو ذاك الجو وما يمثله من سحر وغموض ! وربما كانت مريم وما أحاط بها من قصص غريبة هي المسؤولة عما انتاب مخيلتي من أحلام بتّ عاشقا بدون تسلسل.أفقت فجأة وا ٕذا بي متيم لا أقوى على التركيز على شيء ما. بت مشتتا ملهوفا مليئا بالشوق والأحزان بدون سبب منطقي أستطيع فهمه. لم أرها عن قرب، لم أسمعها، لم أحدثها بل لم تعرفني على الإطلاق طوال شهور. تلك الأشهر وذاك الربيع تلك الأزهار والأشعار وأغاني الكنيسة والأرغن، ربما كانت المسؤولة عما أصابني ووقعت فيه"[3].

ولأنه حاول الاقتراب من عالمها ؛ لأنه وقع في حبها، تعرف على القسيس الذي بدوره جعله يحتسي الخمر، لأول مرة في حياته كل هذا فعله ليصل إلى مريم التي باتت حلمه وحياته "

---

(1) ينظر، الشامي، حسان رشاد، **المرأة في الرواية الفلسطينية 1965–1985**، 64

(2) ينظر ناجي، سوسن، **صورة الرجل في القصص النسائي**، 174.

(3) خليفة، سحر، **صورة وأيقونة وعهد قديم**، 14

عرض القسيس علي كأسا بتردد فقلت : " نعم، لم لا ؟ قال بلهجة اعتذارية " قليل من الخمر، يفرح قلب الإنسان " فهززت رأسي وقلت : " بلى " وشربت جرعات كبيرة "[1].

ويصاب إبراهيم بنوبة صراع مع ذاته، فهو ابن مدينة القدس، يسكن في بيت لا يبعد كثيرا عن المسجد الأقصى،من عائلة محافظة لا يدري كم من العوائق تقف في طريقه، فقد يفشل الحب لانعدام التكافؤ بأنواعه[2].

وبالنسبة لإبراهيم هناك فروقات اجتماعية، واقتصادية، وخاصة الدينية لهذا عاش لحظات مع ذاته، قرر فيها الرحيل عن محبوبته، فخلف وراءه أحلاما لن تتحقق." اهرب بجلدك يا ولد " هذا ما فكرت فيه بعد ليلة مضنية، من الهواجس والآلام. "أنت لست أكثر من حالم، فمن هي مريم بالنسبة لك؟ مريم لا شيء. مريم من صنع أحلامك، ماذا تعرف عن دنياها ؟ ماذا تعرف عن مزاياها ؟ هل تعرف إن كانت تريدك أنت، أو حتى تريد أي رجل ؟ تريد الدين. فما معنى ذاك ؟ وحتى لو كانت تريدك أنت فهناك الدين. وهناك الفقر، وأنت لا تملك سوى نقير.ثم أمك، وكذا أختك، والأصل والناس والحارات حول الأقصى. فكر في الأمر، واضح من غمرة أحلامك[3].

ويحاول إبراهيم نسيان مريم، لكنه لا يقوى على ذلك فقد باتت جزءا من أجزاء حياته يتخيلها دوما يعيش معها لحظات جميلة، يفرغ من خلالها رغباته المكبوتة،" وأتخيل مريم في حضني بين ذراعي فأكويها بتباريحي وأنا أتمرغ، وأتنهد وأشهق وأئن وأقبلها بملء شفتي، ملئ ذراعي، ملئ ساقي وأعصابي، ذاك هو الحب لشاب مثلي[4].

---

(1) خليفة، سحر، **صورة وأيقونة وعهد قديم**، 18.

(2) ناجي، سوسن، **صورة الرجل في القصص النسائي**، 183.

(3) خليفة، سحر، **صورة وأيقونة وعهد قديم**، 26.

(4) **السابق**، 38.

وتتابع سحر في روايتها، رصد المحب وما آل إليه حين التقى مريم في الوعي، والحقيقة فقد شعر بشهوة ورعشة احتوته، فرغم قراءاته ومعرفته المحدودة إلا أنه يعترف أنه إنسان مكبوت محروم يحاول تفريغ طاقاته، في أحشاء إنسانة أحبها ولكن يعود ليذكر نفسه الفوارق من جديد.

"وجلسنا متلاصقين في المقعد فأحسست بروحي تكاد تطير، والسيارة تطير فيطير الشعر الحرير ويلطم وجهي كرف السنونو وفراش الصيف كتفي، وحضنها لصق حضني، وفخذها لصق فخذي، أي إحساس ! وكدت أموت من النشوة. أنا لا أذكر بعد كل السنين وقصص الحب التي مررت بها أن امرأة استولت علي كما فعلت. أهي الشهوة ؟ أهو الحرمان؟ أهو الممنوع؟ أم لأني كنت بعد بريئا إلى حد ما. طبعا في العمق قلبي ما كان؛ لأني دست في الخفاء كل محرم. مارست معها كل خيال وكل وضع يخطر بالبال. لكن على الأرض وفي الواقع ما كنت أكثر من مكبوت، مراهق كبير في العشرينات لا يعرف إلا الأحلام، والقراءة وحارة كئيبة في قلب القدس حول الأقصى، ثم التدريس في القرية أما هي، فأربع لغات، وسبعة أخوة، والسبع بحور والبرازيل، وفيلا جديدة بنتها أموال الغربة ومال وفير "[1].

ويحدث ما لا تحمد عقباه، فينساق إبراهيم خلف عواطفه ويضاجع مريم، ويفرغ شهوته المكبوتة في أحشائها، وكأن ما كان يحلم به ترجمه على أرض الواقع، ويفيق من آثار فعلته فيشعر بتأنيب الضمير فهو زان مع سبق الإصرار، فيقرر الاعتراف أمام رجل دين في المسجد الأقصى ليرى كيف يمكن أن يكفر عن ذنبه وفعلته ولكن يتراجع عن الأمر وينسى أمر الاعتراف، لا سيما أنه غير موجود في العقيدة الإسلامية من قريب أو بعيد، إذ إن العلاقة بين العبد وربه لا تحتاج إلى وسيط وإنما يكفي التوبة والإقلاع عن الذنب، "عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله

(1) خليفة، سحر، **صورة وأيقونة وعهد قديم**، 45.

صلى الله عليه وسلم قال: " ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له"(1).

"أي ندم وأي خجل وأي ضمير ؟ وأردت أن أدخل الأقصى وأبحث عن شيخ متعبد وأقص عليه ما اقترفته. أقول له يا سيدي الشيخ أنا خاطئ. زنيت، وتلوثت، ولوثت امرأة ليست ملكي وصارت مهتوكة على يدي. يا سيدي الشيخ، تلك المرأة لا من ديني ولا من أصلي وتختلف عني في كل شيء، هي مسيحية وأنا مسلم، هي غنية وأنا فقير، هي تعرف الدنيا والقارات والمسافات وركبت طيارة وسفينة ووصلت أوروبا وأمريكا والبرازيل وأنا لم أصل حتى بيروت

وتعرف لغات، وتعرف أرمن، وتعرف كنائس، ومساجد زارتها في كل بقاع الأرض، من الفاتيكان حتى اسطنبول. وأنا لا أعرف يا سيدي الشيخ حتى القيامة في بلدي ! هي من طينة وأنا من أخرى"(2).

وتحمل مريم في أحشائها ابن الخطيئة، وحاولت أن تتخلص منه ولكن كان متشبثا متمسكا يريد أن يظهر ويأتي إلى الحياة، حاولت أن تجهض ولكن ابن الخطيئة له حق في الحياة. " لكن الحمل فاجأنا. حملت مريم ولم تجد كل حبوب القدس في إنزاله،ولم يبق أمامنا إلا الإجهاض والعملية. وتلك بحاجة لمبلغ من المال لا نملكه "(3).

ويتخلى إبراهيم عن مريم، ويفرّ هاربا ضاربا بالحبّ عرض الحائط، وكذلك نراه قد تخلى عن معشوقته مريم، وابنه القابع في أحشائها والسؤال المطروح هنا لماذا جعلت سحر خليفة من إبراهيم مجرما ؟ هل أرادت إنصاف الرجل مرة وإدانته مرة أخرى، أم أنها نظرت إلى صورة الحبّ من زاوية مغايرة للزاوية التي اعتاد أن ينظر من خلالها؟

(1) البخاري، **صحيح البخاري**، رقم الحديث 1077.
(2) خليفة، سحر. **صورة وأيقونة وعهد قديم**، 57-58.
(3) **السابق**، 87.

وفي روايتها مذكرات امرأة غير واقعية، تلتقي عفاف بحبها الأول في الأردن حيث كان السبب وراء زواجها من تاجر كبير يعمل في دول الخليج يلتقيان في الأردن صدفة فيعود الحب بينهما فتشعر بالسعادة، إلا أنها تصدم عندما يصرح لها، أنه لا يريد التخلي عن زوجته ولا يريد أن يضيع حبه من بين يديه، فعرض عليها فكرة العشيقة السرية، لكنها رفضت ذلك وبشدة فهي ترفض أن تكون العشيقة المتحررة المثقفة سهلة المنال، " كنت حلمي وأنت تعرفين ذلك. والأخريات ؟ عابرات طريق. وما الفرق بين ابوات الطريق والزوجة ؟ الزوجة تبقى وهن ّ يذهبن.وانغرست الطعنة في أعماق القلب، ولم أعلق، لكنني كنت قد عرفت تصنيفه لي أو تصنيف الوضع لي،أو تصنيف حياة الناس. واحدة معلنة وأخرى سرية "[1].

ترى الدارسة أن جميع علاقات الحب الواردة في روايات سحر خليفة، علاقات كانت نهايتها الفشل، فيها مآس واضحة لا تعبر إلا عن عذابات وآلام عاشها جمهور المحبين، حيث كان الحب عند سحر خليفة يمثل الشهوة والمحب ّ مضطرب دائما بين الأنا والآخر، وفي ذلك ترجمة واضحة لما عانت فيه في حياتها من جهة، وتكرار لقصص المحبين في التراث التي انتهت غالباً بانفصال المحبين أو موت أحدهما، وكأن سحر خليفة لم تعر انتباهاً لقصص الحب الناجحة التي تمتلئ بها الحياة.

---

(1) خليفة، سحر، **مذكرات امرأة غير واقعية**، 116

صورة الشهيد:

نهاية النضال نصر أو شهادة، والشهادة غالبا هي أمنية المناضلين الفلسطينيين، ورغم أن القاعدة الذهبية في حرب العصابات تقول " إن أثمن شيء يمتلكه مقاتل العصابات هو جسده الذي يجب أن يحافظ عليه "[(1)].

والشهيد هو من يضحي بدمه ويقضي نحبه في مواجهة العدو.

وقد رسمت خليفة صورا لشهداء ضحوا بدمائهم من أجل فلسطين، وها هو أسامة الكرمي العائد إلى الضفة يحمل آمالا نضالية، لتحرير الأرض والإنسان من براثن الاحتلال ينفذ عملية فدائية، ضد باصات العمال العرب إلى إسرائيل، لم يكن الهدف من العملية قتل العمال العرب، بل كان الهدف إرهابهم لعلهم يتوقفون عن العمل في إسرائيل، وفجرا كان العمال في الباصات " يلقون برؤوسهم على أكتاف بعضهم ويغطون في نوم متقطع "[(2)].

وعندما اقتربت الشاحنة الأولى، انهمر الرصاص من بنادق الفدائيين وكان معهم أسامة الكرمي، فصرخ العمال وأخذوا يقفزون من الشاحنات، ونتيجة لوجود قوة عسكرية إسرائيلية، حدث اشتباك بينهم وبين الفدائيين، ونتيجة ذلك أصيب أسامة " فتهاوى أسامة على الأرض مبقور البطن. واندلعت أمعاؤه فوق الأرض.مدّ يده يلمس التراب الممزوج بالدم والدموع. الأرض. الدم. الشعر. وأحلام الهوى "[(3)].

أصيب أسامة إصابة خطرة، لكنه في لحظاته الأخيرة كان يفكر بأمه ويحاول إرسال سلام لها مع زهدي الذي أصيب هو الآخر " سلم على أمي يا زهدي... أنت يا أمي يا ملاك. وأنا سبع

---

(1) أبو هدروس، محمد أيوب، **الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة الغربية وقطاع غزة (1967–1993)**، رسالة ماجيستير، 59

(2) خليفة، سحر، **الصبار**، 194.

(3) **السابق**، 196.

السباع يمه. قولي مات شهيدا.قولي فدا القضية. فدا الأرض معبوده. الطابون. عبير الزبل المحروق. شبابة. مناديل. أعراس. عروس. نوار. صالح. أعراس. لم تولد بعد[1].

تطالعنا صورة شهيد آخر في رواية سحر خليفة باب الساحة إنه أحمد شاب في مقتبل العمر يطارد من قبل قوات الاحتلال، يحمل روحه على راحته ويسير فيها فهو لا يعرف متى سيكون الموعد، و يشارك أحمد في اشتباك مع الجيش الإسرائيلي في إحدى الأراضي في أثناء موسم قطف الزيتون، كان أحمد فعالا في أثناء الاشتباك. "وقفت نزهة تتطلع للشاب المتطاير في كل مكان، يطير هنا، يندفع هناك، يقفز يرقص، ينط على الصخر، حيطان وسلاسل حجرية تكرج في الوادي. مغارة مخبأة وراء النتش، والجيش ينادي بالأبواق: " وقف، وقف " ورصاص ومطاردة بالجيب وقناصة "[2].

إنّ خليفة في وصفها السابق لأفعال أحمد، تريد أن تلفت نظرنا إلى أنه يستعد للذهاب إلى عالم آخر، وكأن الحركة السريعة التي يحياها ما هي إلا مؤشرات، إلى حدوث شيء ما وبالفعل يصاب أحمد برصاص الاحتلال وتزهق روحه إلى بارئها فداء لفلسطين " وجدته مسجى على الأرض ورأسه في حضن سمر. على قميصه القطني ارتسمت صورة زيتونة وخريطة فلسطين، وفي قلب فلسطين رصاصة. ركعت على الأرض ورأت وجهه، ورأت عينيه، كانت الكوفية مرتخية وكذلك فكه السفلي وخيط أحمر يسيل إلى ذقنه، رفع عينيه وهمس ببطء: "سامحيني يا نزهة، أنا مسامحك" غطت عينيها براحتها ورفعت الأخرى نحو السماء، همس ثانية بصعوبة : الدم الغالي لفلسطين. وارتخى فكه"[3].

---

(1) خليفة، سحر، **الصبار**، 158.

(2) خليفة، سحر، **باب الساحة**، 206–207.

(3) **السابق**، 208.

وصورة أخرى من صور الشهادة، كانت لشاب فلسطيني من مدينة غزة تناوب وزملاؤه في أثناء الاجتياح الإسرائيلي، لمدينة نابلس حماية الحواجز، هناك حاول أن يتهرب من أداء المهمة في وقتها ؛ لأنه ينتظر احتساء فنجان من القهوة ولكن قدره كان بانتظاره فما أن وصل إلى مكانه حتى نال الشهادة بعيدا عن أهله ومسقط رأسه " جاء الزملاء، ثلاثة زملاء جاءوا وقالوا: دورك يا عريس يا ابن غزة. حاول التملص فتبادلوا نظرات الغيظ، لكن لا وقت للتشاجر لازم يأخذوه على قد عقله. فقال أحدهم : الوضع سليم والحاجز أمان ما عليك غير توقف على الحاجز وتنادينا إذا شفت أي شيء. أذعن لهم وقال طيب، وخرج من الباب وهي تناديه خليك لتشرب القهوة! لكنه خرج ورفض أن يشرب القهوة، بعد دقائق سمعت صاروخا هز الحوش، بخرج أحدهم وعاد يصرخ : هذا المسكين ابن غزة ! فخرجت حافية مكشوفة الرأس تتعثر فوق الأوساخ والزجاج والوحل ووجدته هناك متناثرا مفغور البطن كل قطعة بواد، فأخذت تلطم وتصيح"(1).

ويراود الدارسة سؤال لم تجد له تفسيرا، لماذا استخدمت سحر خليفة عبارة ابن غزة، هل هناك فرق بين أبناء غزة وأبناء سائر المدن والقرى الفلسطينية ؟ أم إنها إشارة إلى إظهار امتياز أبناء غزة وتفردهم بسلطات معينة في أثناء رئاسة ياسر عرفات حيث دعم عرفات أهالي غزة بشكل واضح؛ لأنه غزي ، ولماذا صورت سحر خليفة ابن غزة أنه ساذج أبله يمكن أن يؤخذ على قد عقله على حد قولها؟ ولماذا لم يتأثر الجندي الآخر ولم يشعر بوخز الضمير نتيجة استشهاد زميله، الذي كان سببا في ذلك بطريقة أو بأخرى. وترى الدارسة أن سحر خليفة لم تعط هذه اللقطة حقها كما فعلت في صور أخرى من صور الشهادة، إذ عبّرت عنها بطريقة مختلفة عن المعهود فهل هناك أسباب وراء ذلك؟؟؟.

---

(1) خليفة، سحر، **ربيع حار**، 152 – 153

أما في رواية (الصبّار) فقد استشهد زهدي دون أن تكون الشهادة متوقعة له، فقد كان يعمل سائقا لباصات العمال المتجهة إلى إسرائيل، وفي أثناء حدوث الاشتباك أصيب زهدي وفرّ من الحافلة كسائر العمال، وعندما صاح أسامه برفاقه أن يضربوا الباص الثاني استطاع زهدي أن يميز صوته فغضب غضبا شديدا وتوعده بشدة " تتهشون لحمكم ! سألعن دينكم. أنت يا أسامة، عرفتك... أنت لا تعرف. لا تعرف. لو أني أمسك بك !..سألحق بك يا أسامة، سأفتح رأسك بهذا المفك كما فتحت رأس شلومو من قبل"[1].

ولكنه سرعان ما تحوّل إلى فدائي مقاتل مع الفدائيين ؛ لأن الجنود كانوا يطلقون الرصاص على أسامة ورفاقه فنسي غضبه فضرب جنديا بالمفك فأرداه قتيلا " وهوى به على ظهر الجندي. أطلق صرخة انكفأ على وجهه والرصاص. ودويّ القنابل والرشاشات. وزحف زهدي فوق الجثة. مقبض المفك المغروز اقشعر بدنه... لا حول ولا قوة إلا بالله. قتلت رجلا يا زهدي. ماذا إذن ؟ يضرب أسامة والرجال من فوق رأسك وتسكت ؟ أنت شوكة يا زهدي يا أبو حمادة. شوكة رغم أنفك وأنف الجميع"[2].

وهكذا ظل زهدي يقاتل حتى نال الشهادة، وترى الدارسة أن سحر خليفة في صورتها هذه تريد أن تقول : إن الفلسطينيين في لحظات الشدة ينسون خلافاتهم ويتكاتفون مع بعضهم بعضاً حتى لو كلفهم ذلك أرواحهم.

"زهدي ! يا أخي. مات زهدي وأنا أموت.الموت شر لا بدّ منه[3].

صورة أخرى من صور الشهادة ترصدها حليفة في روايتها (صورة وأيقونة وعهد قديم) حيث يأتي محمود إلى مدينة القدس، للصلاة في حرمها يوم الجمعة، فتتفجر أحداث الجمعة ويبدأ

---

(1) خليفة، سحر، **الصبار**، 194.
(2) **السابق**، 196.
(3) **السابق**، 198.

محمود بالبحث عن ابنه الصغير توفيق فيراه على مقربة من السور، ولكن ّ الرصاص كان يتطاير كزخّ المطر، فيحاول إنقاذ ابنه " وله يا توفيق. انزل. انزل، يعدمني إياك وأنا أدور أتلفت بحثا عن ابني بين الناس. نظرت هنا ونظرت هناك ورأيت محمود على طرف السور يركض وينادي على ابنه، ورصاص الجندي والحجارة والسيارات وصوت الإسعاف والطيارات تحلق في الجو "[1].

وفجأة يختل توازن محمود فيسقط عن السور، ويشخر الشخرة الأخيرة، ليكون شهيد الجمعة ويسجل اسمه في كوكبة الشهداء الفلسطينيين.

"نظر محمود فوق رأسه وخاف من الصوت، رجع خطوات إلى الخلف ثم خطوة اثر خطوة فاختل توازنه وهوى مثل الريشة، ريشة كبيرة، سوداء تموج من خلف الغاز، فطارت الحطة عن عنقه مثل شراع في مجرى الريح وسقط على الأرض.... شخر محمود شخرة أخيرة"[2].

(1) خليفة، سحر، **صورة وأيقونة وعهد قديم**، 257.

(2) **السابق**، 258-259.

صورة السجين :

منذ صدور قرار التقسيم عام 1947م، شعر الفلسطينيون بخيبة أمل كبيرة، وأدركوا لأول مرة في تاريخهم أنهم أمام حقيقة مرّة، هي الدولة اليهودية، وبدأ الصراع يأخذ أشكالا مختلفة، ونتيجة كل معركة أيّا كان نوعها أو حجمها لا بدّ من منتصر ومهزوم، فكانت الشهادة النصر الأكبر، أما الأسر فكان مريرا، ورغم هذه المرارة بقيت همة الفلسطينيين عالية، لا يخيفها الموت أو الأسر.

والرواية الفلسطينية تحدثت عن الأسرى، والمعتقلين عبر الحقب، التاريخية والسياسية المختلفة، فقد ذاق بعض الأسرى الويل إبّان الانتداب البريطاني، ثم في عهد النظام الأردني أو المصري ثم الإسرائيلي، وقد رصدت سحر خليفة بعض الحالات في فترات مختلفة، التي نظرت إلى المعتقلين من زوايا متعددة، لكنها لم تعط حجما كبيرا لمعاناتهم أو بطولاتهم ربما كان السبب في ذلك بعدها عن المعتقلات، أو بعد الفئة القريبة منها عن ذلك.

لم تصور خليفة المعتقل الفلسطيني بالصورة نفسها، فقد نوعت في الصور، ولكنها في النهاية كانت تخدم أغراضها من ذلك، فالأسير إذا كان أسره لمدة زمنية قليلة غالبا ما يستفيد من هذا الاعتقال وتصقل شخصيته، ويصبح ذا خبرة مميزة، إذا كان ممّن طال عليهم الأسر فقد كان لهم منهج واضح يسيرون عليه ويهتمون به، ويحاولون ترويجه بين السجناء"[1].

وغالبا ما يكون السجن مدرسة بالنسبة للسجناء المعتقلين، يتعلمون أمورا كثيرة، تصقل عقولهم من جديد، وها هو صالح الصفدي سجين فلسطيني كثير القراءة، رغم حصوله على شهادات عدة ولكنه يقرأ ويطالع بنهم، وكأنه يفرغ طاقاته السجينة بالقراءة، " وصالح هذا صامت،

(1) ينظر،التّل، عبد الله، **كارثة فلسطين**، 1.

كعادل ينام على الكتب ويستيقظ عليها، ماذا يفعل بكل هذه الأوراق ! لو أنني أحمل شهاداته، أقسم برب العزة ألا أفتح كتابا طوال حياتي، وما لزوم الكتب بعد نيل الشهادات؟"(1).

ورغم وجود صالح في السجن، إلا أنه على علاقة مع فتاة تواعدا على الزواج، وهي باقية على العهد لن تتزوج غيره، ولو انتظرته مئة عام،" أنا لن أتزوج إلا من صالح، ولن أرى أيّ رجل آخر لأعبد ربه، ولا أي عبد آخر، أنا لن أتزوج إلا من صالح حتى ولو انتظرت مئة سنة حتى لو انتظرته مئة سنة"(2).

وها هو عادل سجين قيادي، داخل السجن نصّب نفسه مسؤولا عن الغرفة، هو رجل مثقف وذكي، له نظرة ثاقبة، يأخذ على عاتقه إدارة شؤون الغرفة "وعادل يتربع على قمة الغرفة رقم 23 ويدّعي بأنه ضمير الثورة"(3).

ويحاول عادل أن يطرح فكره السياسي على بقية السجناء، فهو صاحب فكر اشتراكي كما صورته خليفة والتي يعكس من خلال فكرها السياسي وإيمانها، فهو يحاول أن يطبق الاشتراكية على السجناء من خلال تقسيم حصص الطعام بينهم " عادل يأخذ كل شيء ويوزعه على الجميع لقمة لقمة...مثلما وزعت عليهم من طعام غيرك هذه هي الاشتراكية"(4).

وترى الدارسة أن خليفة، اهتمت بالفكر السياسي في المعتقل وأهميته على الأفراد داخل السجن، ولم تبين لنا ما سبب اعتقال عادل وكم من الزمن يمضي داخل السجن وكيف تم إلقاء القبض عليه، وهل تعرض للتعذيب ؟هل اعترف على نفسه و الآخرين؟ كل هذه الأمور لم نجد لها اهتماما يذكر في الرواية.

---

(1) خليفة، سحر، **الصبار**، 131
(2) **السابق**، 216.
(3) **السابق**، 148.
(4) **السابق**، 151-152.

ومما لا شك فيه أن خليفة، أعطت حجما لهؤلاء القابعين في سجون الاحتلال لسنوات طويلة، أعطتهم اهتماما واضحا إذ تحدثت عن احترام السجناء لهم، واتخاذهم مجالس مميزة داخل الحجرة، واحترام الآخرين لهم ولآرائهم، كما أنهم يحققون مع المستجدين على الغرفة ويكتشفون العملاء من خلال تحقيق خاص يجرونه معهم." وتحلقّ الرجال حوله وقد هدأ الضجيج وابتدأ التحقيق. أخرج عادل الأوراق وبدأ يقرأ منها أقوالا متضاربة كان الرجل قد أدلى بها. وكان عادل يفند الأقوال ويقارن بينها ويهيب بالرجل أن يعترف وقال بإصرار. تتعامل معهم، المسألة واضحة تماما. منذ متى ؟ منذ متى ؟ قل"(1).

وترى الدارسة أن ما يحدث داخل السجون، كان يمر في الروايات التي تناولتها سحر خليفة مرور الخاطر، لم تركز فيه على بعد يذكر، فأوضاع السجناء التي تناقلتها عبر رواياتها معروفة للجميع، وقد أظهرت زهدي الذي هجم على اليهودي شلومو وفتح رأسه بالمفك، جعلت منه بطلا مع أنه كان يعمل في إسرائيل، ولكنهم في السجن لم يرحبوا به،بل خافوا منه، واعتقدوا أنه متعاون مع السلطات الإسرائيلية، وعندما دخل السجن شعر بالإهانة من قبل المعتقلين الفلسطينيين الذين لم يرحبوا به، لكنه كان يعتقد انه أشرف منهم ؛ لأنه قام بعمل بطولي " لا يعرفون بأني أشرف منهم، وأني فتحت رأس شلومو بمفكي. وهم هنا لا شيء إلا؛ لأنهم هتفوا في المظاهرات ورددوا بعض الشعارات"(2).

ومع هذا الشعور رصدت خليفة ما أحسّ به زهدي من إهمال وانعكاساته عليه ولم يستوعب الأمر ؛ لأن اليهود أنفسهم لم يفعلوا به كما فعل به أبناء شعبه فأثّر هذا فيه وشعر بغربة وهو بين أهله، والسبب في ذلك عمله في إسرائيل " أي غربة ؟ أهؤلاء عرب مثلي ؟ أو بالأحرى هل أنا

---

(1) خليفة، سحر، **الصبار**، 144-145.

(2) **السابق**، 135.

عربي مثلهم؟ العمل في إسرائيل ليس عماله. لماذا لا يفهمون ؟ سحبوا الرخصة مني... فمن أين آكل إذن ؟ من سيطعم سعدية والأولاد؟"[1].

ويتعرض زهدي في أثناء وجوده، في السجن إلى عديد من الاستجوابات والتي يقف مسؤول الغرفة وراءها من جهة، لمعرفة مدى صدق السجين، ومن جهة أخرى لمعرفة مدى إخلاصه وبعده عن العمالة التي باتت ظاهرة متفشية.

"وانتهى العشاء. واقترب منه ثلاثة رجال ضخمين تبدو على وجه أحدهم أمائر الحنكة والذكاء،، وسأله الرجل عدة أسئلة والآخران يسمعان. متى اعتقلت ؟ ما السبب ؟ هل انخرطت في أي تنظيم ؟ لماذا ضربت شلومو ؟ ماذا قالوا لك ؟ ماذا قلت لهم ؟ أرنا آثار التعذيب في جسمك. وزهدي يجيب عن الأسئلة بفظاظة وحيرة. وصاح بهم أخيرا : ماذا تظنون ؟ أنا لست جاسوسا. كفوا عن توجيه هذه الأسئلة السمجة "[2].

ويتعرض زهدي للاستجواب أكثر من مرة، وبنفس الأسلوب وتقارن الإجابات مع بعضها البعض، وفي المرة الثالثة، يقترب منه أحد السجناء، وهو فلاح كما وصفته الكاتبة، فلا يحتمل زهدي الإجابة عن الأسئلة فصاح مهددا بأنه سيفعل به كما فعل بشلومو " وبعد الظهر اقترب منه الفلاح وسأله نفس الأسئلة. فتصاعد الدم إلى رأس زهدي وصاح به، وهدده بأنه سيفتح رأسه كما فتح رأس شلومو إذا عاد إلى تساؤلاته. وطرفت عينا الفلاح وقال له متراجعا : كنت أريد أن أتسلى معك فلماذا غضبت ؟"[3].

والسؤال الذي يمكن أن يطرح هنا، لماذا أتت سحر خليفة بضحية السجين الفلاح؟ ولماذا لم تذكره كما ذكرت الآخرين بأسمائهم ؟ ولماذا جعلت زهدي يصطدم معه ؟ هل تريد من هذا بيان

---

(1) خليفة، سحر، **الصبار**، 136.
(2) **السابق**، 137.
(3) **السابق**، 137.

النظرة السائدة في المجتمع النابلسي المدني تجاه الفلاحين، وأبناء القرى إذ ينظرون إليهم نظرة دونية نوعا ما؟ ألا يمكن أن تصل الصورة للقارئ بدون هذه المفارقة ؟ أم أن الكاتبة تعكس ما يدور في خلدها فهي ابنة المدينة، وحتما تأثرت بطريقة أو بأخرى، بالنظرة السائدة في المجتمع.

وتصور خليفة المعتقلين الفلسطينيين تصويرا واضحا،تصورهم يعيشون حياة صعبة، تخلو من أبسط حقوق الإنسان " والتف الأربعون معتقلا حول أكياس النايلون المفروشة على الأرض، ونظر باسل إلى وجبته الأولى بدهشة، حساء مايص فيه قطع متفرقة من الفلفل الحلو والبندورة والكوسا. وخمس حبات زيتون ونصف قرن فلفل حلو. قطعة فجل صغيرة، وكوب شاي"[1].

ورغم الظروف الصعبة التي يحياها السجناء، إلا أنهم ينظمون أوقاتهم داخل المعتقل يدرسون بعض الأمور التي تخص حياتهم ونضالهم، " فالرجال يستغلون أوقاتهم جيدا في الداخل"[2].

ويبدأ زهدي بالدراسة وخلال شهور ستة يحصل على الشهادة الإعدادية، " فيبدأ بالدراسة ويحصل على الإعدادية في السجن"[3].

وقد ارتأت سحر خليفة أن تجعل من شخصية زهدي شخصية نامية متطورة، فمن رجل لا يعرف القراءة جيدا، إلى مثقف لا يبحث إلا على الكتب لمطالعتها وترى الدارسة أنها بالغت في هذا الأمر إذ لا يمكن أن يحدث هذا التحول بهذا العمق في فترة زمنية قصيرة، كالتي قضاها زهدي في المعتقل " الرجل أصبح مثقفا. أتعرف ماذا طلب؟ طلب كتبا"[4].

---

(1) خليفة، سحر، **الصبار**، 125.
(2) **السابق**، 167.
(3) **السابق**، 145.
(4) **السابق**، 167.

والسجن لا يعرف فئة معينة، فالشباب، والكهول، وكبار السن، كلّهم عرضة للاعتقال وقد صورت سحر خليفة في رواية الصبار، خليطا من السجناء الفلسطينيين، بعضهم لا يزال في ريعان الشباب، كباسل الكرمي الذي ما زال على مقاعد الدراسة ما زال ولدا يبكي ويتألم " وأغلق عينيه بشدة وبكى وهو يتذكر صدر أمه، وعيني عادل... سيضربونني ثانية. بصقت في وجوههم وصحت...ثورة حتى النصر..آه. للنصر ثمن باهظ"[(1)].

وقد استفاد باسل من تجربته داخل المعتقل، فقد تحول من ولد إلى رجل " لقد أصبحت رجلا ولم يجرؤ الأستاذ على مناداتي " يا ولد " بعد اليوم"[(2)].

وقد صورت الكاتبة، طقوسا يقوم بها المعتقلون تجاه المعتقلين الجدد، فهم يحتفلون بهم ويطلقون عليهم الكنى المناسبة ويهيئونهم لما سيلقاهم في مستقبلهم " سنحيي لك حفلة لم يسمع التاريخ بمثلها ارفع رأسك ولا تخفضه. السجن للرجال يا أبو العز "[(3)].

وبما أن قضية فلسطين قضية العرب عامة، فقد صورت سحر خليفة سجينا سوريا، أمضى حياته في السجون الإسرائيلية، وقد رشح للقيام بعملية فدائية دفاعا عن الأرض " ولما رشحوني للعملية قلت لها... إذا كان اللي في بطنك ولد سميه نضال"[(4)].

لقد عانى هذا المعتقل في السجون عناء شديدا، فلا أحد من أقاربه أو عائلته يأتي لزيارته،فهو من الجمهورية العربية السورية، والتي لا تقيم علاقات مع العدو الصهيوني، ولكن وعد بزيارة من ذويه عن طريق الصليب الأحمر الدولي، الذي كان يعنى بشؤون السجناء عادة " وعدني

---

(1) خليفة، سحر، **الصبار** ، 123
(2) **السابق**، 123.
(3) **السابق**، 124.
(4) **السابق**، 153.

الصليب الأحمر بتدبير الأمر مع السلطات وقد يسمحون للأهل بزيارتي. وها أنا أنتظر منذ سنوات ولم أعد أصدق"[1].

وقد بالغت سحر في تصوير مشهد لقاء نضال " الابن السوري " بأبيه "ورأى الجنديين يفتحان الباب، وبينهما طفل لا يتجاوز الخامسة، واندفع الطفل راكضا نحو الساحة. ووقف وسط المكان واخذ يتلفت حوله وهو يبحث عن وجه ما بين الرجال، وركض نحو زهدي وسأله بلهفة: أنت بابا ؟"[2].

واللافت للانتباه من المشهد السابق أن الكاتبة لا تعي كيف يلتقي السجناء بذويهم، فكيف تخيلت أن يدخل الطفل إلى ساحة السجناء هكذا، وهل يعقل أن نجعل من زهدي مركزا للأحداث فيعتقد الطفل أنه والده الذي يحلم بلقائه.؟ لماذا لم تختر سحر سجينا آخر غير زهدي ؟ أم أنها أرادت أن تجعل منه بطلا مع أنه في حقيقة الأمر هو إنسان عادي لم يقدم للقضية شيئا.

وكثيرا ما يكون السجن سببا في كسر حواجز نفسية عند الإنسان، مثل الخوف فقد تمكن حسام في رواية (باب الساحة) من كسر حاجز الخوف، وأول خوف تلاشى عنده خوفه من والده، فلم يعد يقف في الصف ويلقي التحية بانكسار، بل أصبح يرددها بقوة دون خجل أو ذل.

" كان قد اجتاز التوجيهي وقدم أوراقه " للنجاح" وحين ذاك اعتقل صدفة. سجن إداري ككل الشباب، ومن بعدها انكسر الخوف. ما عاد يخاف من سلطة أبيه، ما عاد يقف بالصف على الدرج ويقول بذل حزين : مسا الخير يابا"[3].

وكالعديد من أبناء الشعب الفلسطيني، يتذوق حسام أصناف العذاب المختلفة، ولكنه يرى أن التجربة الأولى لها طعم مميز، لا يزال يتذوقه ولن ينساه أبدا، فقد تذكر في أثناء اجتياح قوات

---

(1) خليفة، سحر، **الصبار**، 154.

(2) **السابق**، 159.

(3) خليفة، سحر، **باب الساحة**، 54.

الجيش لحارتهم وفي أثناء اختبائهم في حفرة صغيرة في أحد المنازل، تذكر الدرس الأول وهو كيف يخلع الإنسان بدنه كما يخلع الثوب، فإذا فعل ونجح أصبح الأمر سهلا، فلم يعد بإمكانه أن يشعر به فقد خلعه ولم يع في المرة الأولى معنى الكلام، فخلعه الجنود له وأدرك حقيقة الأمر، فذاق ألوانا من العذاب، لكنه أتقن درسا لن ينساه طوال حياته.

"تحسس حسام رجله المخدّرة، وتذكر الخزانة في السجن. هناك جلس في ذاك التابوت وفكر في كل شيء إلا بدنه " اشلح بدنك هذا هو الدرس الأول ". قال سامح : " اخلعه كما يخلع المرء الرداء " قرأ القصاصة ومزقها نتفا ووضعها في فمه وبلعها فاستقرت في جوفه. من السهل أن تكتب الكلام. من السهل ان نبلع الكلام " اخلع بدنك " لم يخلعه، فخلعوه له. شبحوه حتى انتفخت عظامه. يداه في الكلبشات وراء ظهره، كلبشات آلية تشد كل ما تحركت منه عظمة في الفارعة فكان الدرس الأول. سجن عظيم. كل ما فيه عظيم. حتى العظم لم يبق فيه عظمة لم تتلقن درسا"[1].

ولم تقتصر صورة السجين عند سحر على سجناء الاحتلال فقط، بل صورت السجناء الذين اعتقلوا في أثناء هيمنة النظام الأردني، على الضفة الغربية قبل عام 67،وكيف كان النظام الأردني يعمل على قمع الفلسطينيين، فها هو عبد الرحمن الميثلوني في روايتها (لم نعد جواري لكم) رجل تعرض للسجن في ظل النظام الأردني، حيث أسس ناديا ثقافيا فكانت النتيجة السجن وإغلاق النادي، فلا ثقافة ولا تجمعات تسمح بها الحكومة الأردنية، فكل نشاط كان يقام من هذا القبيل كان يعاقب القانون عليه بالسجن، أما المكان الذي يجتمع فيه المثقفون فهو السجن الذي سيقمعون فيه.

---

(1) خليفة، سحر، **باب الساحة**، 62-63.

" تتساءلين أين المثقفون في هذا البلد ؟ كنت أود لو أنك عاصرت النادي وزواره. عبد الرحمن الميثلوني كان أحد مؤسسيه، طبعا عندما اعتقل عبد الرحمن وكان ذلك منذ فترة طويلة استمر النادي في القيام بنشاطه، ولكن عملية التصفية كانت ما تزال على قدم وساق، وبالتدريج انتقلت إدارة النادي إلى الجفر "[1].

"في صباح أحد الأيام طرقنا الباب فوجدناه مزدانا بالشمع الأحمر،وواصل بشار بجد هز لي : موضة العصر فمنذ ذلك الحين والناس يزدانون بالشمع الأحمر، فمن لا يضعه فوق بابه يضعه فوق فمه"[2].

ومن الجدير ذكره أنّ الأنظمة العربية عامة، لا تحترم حق الإنسان في التعبير عن رأيه، ومن يدخل السجن مرة، يصبح من السهل دخوله إليه أكثر من مرة، وإن كان ظلما وقد لا تعرف أسباب الاعتقال، وقد تلفق التهم، فالحكام العرب يخافون على أنفسهم، ومناصبهم، ممن يحملون رسالة تهدف إلى بث الوعي بين الناس، فإذا اهتم الإنسان العادي بالثقافة وبدأ بممارسة أبسط حقوقه هدد الحاكم، وخير وسيلة للدفاع هي الهجوم، والغزو الفكري الذي تخلقه معاناة هؤلاء في السجون لتكون عبرة للآخرين، فلا بد من حفر مشاهد صعبة في عقول المثقفين عن طريق توقيع عقوبات قاسية على من يحاول بث الوعي بين الناس.

" ثلاثة أشهر في الزنزانة، أخرج بعدها ووضع في معسكر ضخم مليء بالسجناء وعلى ساعتها أنه في معتقل (الجفر) السياسي، وأن حكاية اعتقاله القديمة قد أعيدت،فبات معزولا عن العالم وبات يشبه الحي الميت"[3].

---

(1) خليفة، سحر، **لم نعد جواري لكم**، 12.
(2) **السابق**، 11.
(3) **السابق**، 177.

ولم تكن ظروف الاعتقال سهلة، بل كان المعتقلون محرومين من أبسط حقوقهم في نظافة الجسم والبدن، وهذه الصورة لم ترد إلا في تصوير السجين، في السجون العربية (الأردنية) الأمر الذي لم تذكره عند الحديث عن المعتقل داخل السجون الإسرائيلية، وقد تكون هذه إشارة من الكاتبة، إلى أن الحكومات العربية، لا تعطي الإنسان العربي أبسط حقوقه المنشودة.

" وجلسا على حافة اللوح الخشبي المتراقص : هو ببنطلون بني كالح اللون، وقميص أبيض قذر الياقة والصدروقد اصفر ّت الأكمام تحت الإبطين وغطت حافة الأكمام طبقة سمراء قذرة من أثر احتكاك القماش باللحم المتسخ، وكان حذاؤه أيضا مغبرا قذرا"[1].

ولم يقتصر حديثها على تصوير السجين الفعلي الذي يقبع في زنزانة بين أربعة جدران، تحدثت عن السجن النفسي الذي يقع فيه الإنسان، وهذا أصعب من الأمل ؛ لأن الجرح حتما سيكون أعمق فعبد الرحمن الميثلوني، رغم وجوده في السجن إلا أن سجن سامية التي أحبها وتخلت عنه كان أصعب عليه،فقد تخلت عنه مرتين دون أن تراعي مشاعره فقد شعر بطعنة بأيد ادعت النعومة والحب، شعر أنه مكبل ولم يأبه بسجن القضبان، بل تألم من سجنه النفسي، وشعر بقسوة الحياة وظلمها.

" آه، ما أسخفنا ! كم تؤثر فينا الأحداث التافهة العابرة. وكم تدمينا الضربات حتى لو وجهت إلينا من الأيدي الضعيفة ! هه ماذا لو ذهبت سامية ؟ وماذا لو كذبت سهى ؟ ماذا لو ظن الناس بي الظنون،ولفقوا لي التهم ؟ ماذا لو لم يسأل الناس عني، ولم يعبأ الأصدقاء بأحزاني، ولم الحزن أصلا، علام ؟ وهل يستحق الألم تألمنا ؟... ثم التفت إليها وابتسم قائلا : " إني أبدو سخيفا، أليس كذلك ؟"[2].

---

(1) خليفة، سحر، **لم نعد جواري لكم**، 178.

(2) **السابق**، 180.

صور أخرى :

ومن الصور الجديدة للرجل، والتي ظهرت في رواية سحر خليفة، صورة رجل الأمن الفلسطيني فلم تكن هذه الصورة موجودة، فقد أصبح رجل الأمن جزءا من الواقع الفلسطيني بعد أوسلو وقد ظهرت هذه الصورة في روايتها ربيع حار التي رصدت الاجتياح الإسرائيلي للمدن والقرى الفلسطينية المحتلة بعيد اندلاع الانتفاضة الفلسطينية في عام 2002.

فها هو رجل أتى من بعيد،من قطاع غزة ليخدم في الضفة الغربية، انقطع عن ذويه بسبب الحصار، إذ فصلت غزة عن الضفة الغربية، ثم استشهد في معركة لم يطلق فيها رصاصة واحدة، وهو وحيد لعائلته، لكن الواجب حتم عليه الانخراط في صفوف الأمن الفلسطيني،لتقديم تضحية كبيرة، إذ انقطع عن عائلته، وعن زوجته، التي تركها عروسا ولم يرها منذ ثلاث سنوات.

" إنه عريس 3 أيام ثم أخذوه لقوات الأمن في الضفة، ولم ير عروسه من 3 سنوات. 3 أيام و 3 سنوات، كان عريس 3 أيام وهو الآن في قوات الأمن في الضفة من ثلاث سنوات. وسأل بحيرة : مين الأحسن ؟ أكون عريس ولا جندي ؟"(1).

وقد يكون رجل الأمن أيضا قائدا عسكريا مميزا، يدافع عن السلطة التي ظلمها الناس؛ لأن الواجب يحتّم عليه ذلك،" وأبو رامي هذا كان قائدا عسكريا في قوات الأمن، مسكينة السلطة شو ظلموها، قال ضاحكا وهو يأكل أرزا وبامية عند أم سعاد : السلطة سلطتنا يا أحمد، احنا سيئين؟"(2).

وصوّرته سحر خليفة إنسانا لا يفرق بين العناصر، الجميع سواسية يحنو عليهم وقت الأزمات، أب حنون عطوف " في ذلك الصباح كالعادة، أو ربما فوق العادة، وكأنه كان يودع، وزع

---

(1) خليفة، سحر، **ربيع حار**، 150.

(2) **السابق**، 154.

سجائر وشواكل، ووزع عليهم عرق السوس، وحبات العلكة، والنعنع أعطى لهذا، وأعطى لذاك من كل الجهات والفصائل: هذا فتحاوي وهذا حماس وشيوعي وجبهاوي وبلاوي"[1].

(1) خليفة، سحر، **ربيع حار**، 157.

الفصل الثاني

لجر ا ا يبلسلا روصا ا

الصور السلبية للرجل

صورة العميل :

ربما كانت قضية العملاء والمتعاونين مع الاحتلال أهم قضية استحوذت على النقد الذاتي في الرواية الفلسطينية، وهي قضية لم تنشأ لوجود المحتل الذي يسعى إلى الكشف عنها، والتعامل معها فحسب وا إنما بحكم البنية الاجتماعية والسياسية التي تعيش فيها الدول العربية وفلسطين المحتلة جزء منها(1).

فأينما وجد الاحتلال يوجد له عملاء، يسقطون في شباكه لسبب أو لآخر، وتظل هذه قضية إنسانية لا بد من النظر إليها بأبعاد مختلفة(2).

ولم تركز خليفة في روايتها، على الأسباب التي أدت إلى سقوط الأفراد في مستنقع العمالة، بل اكتفت بالحديث عن شريحة صغيرة من العملاء لا تمثل الكم الموجود، ولهذا ترى الدارسة أن الحديث عن العملاء اقتصر على روايتين من رواياتها، مع العلم أن الموضوع يحتاج إلى روايات للحديث عنه، ففي روايتها (باب الساحة) تسلط سحر الضوء على عاصم المربوط، الرجل الذي أسقط نزهة وتمت إدانتها أما هو فقد بقي حرا طليقا وقد أطلق حسين المناصرة تعبير الرجل المومس على الرجل الذي يقوم بإسقاط النساء(3).

بحكم هيمنة التقاليد فإن المرأة مدانة حتى على صغائر الأمور دون التأكد من ذلك أحيانا، والرجل معفو عنه وهو يرتكب الأشياء الكبيرة المؤكدة(4).

---

(1) ينظر : عبد الغني، مصطفى، **نقد الذات في الرواية الفلسطينية**، 154.

(2) ينظر : أبو هدروس، محمد أيوب، **الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة الغربية وقطاع غزة 1967–1993**، رسالة ماجستير، 73.

(3) ينظر: **المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية**، 349

(4) **السابق**، 349.

إنّ عاصم أحب نزهة وخطبها، ليتمكن من تنفيذ مخططاته بسهولة، وهو من أوقع بنزهة ولم ينل عقابا أو اتهاما من أحد " وعاصم المربوط بإيش طلع ؟ وهاي هو ماشي عرضين وطول، صدق اللي قال : أمرين مرين ما حدا دريان فيهم : موت الفقير وتعريص الغني"(1).

وعندما اكتشف أمر نزهة ووالدتها تعرضتا للمساءلة، وقتلت والدتها أمام عينيها في حين لم ينل أحد من عاصم، بل اعتبروه بطلا " وليش أتدخل وأورط حالي عشان واحد مثل المربوط يطلع فوق وأنا أنزل تحت ؟ روح اسأل عنا مين اعترف"(2).

وقد صورت سحر عاصم المربوط شيطانا استطاع أن يؤثر على نزهة، ويسيرها حسب رغباته، لم تفعل شيئا إلا؛ لأنها تحبه لم تأبه بالوطن، لقد سيطر عليها وجعلها ألعوبة بيديه، تنفذ أوامره دون تردد " أنا لما بديت ألعب بالسياسة، مالعبتهاش عشان أحرر البلاد، طز وطزين، مش قلقانة ! بس لما حبيته ابن هالعرص انعمى ضوي. صرت حايرة كيف أرضيه،قاللي روحي على نتانيا رحت،روحي على تل أبيب رحت، سايري الضابط سايرت، اشتري سلاح، اشتريت، خبي سلاح، خبيت، ولو قاللي روحي الهند والسند والمريخ كنت رحت.حبيته، بقولك حبيته"(3).

ولم تظهر نهاية لعاصم المربوط في رواية سحر خليفة، فلا يدري المتلقي هل تمت محاكمته، أم بقي يسقط نزهاوات جديدات في كل مرة ؟!

وترى الدارسة أن خليفة بهذه القصة التي أوردتها، إنما تؤيد مبدأ الغاية تبرر الوسيلة وكأن ما قام به عاصم مشروع لخدمة القضية و الانتفاضة،وإ لا فما سر صمتها وامتناعها عن بيان حقيقة عاصم ؟ ولماذا جعلت نهاية قصته مفتوحة ؟ أم أنها صورت واقعا حقيقيا، يلعب فيه عاصم

---

(1) خليفة، سحر، **باب الساحة**، 74.

(2) **السابق**، 75.

(3) **السابق**، 104.

شخصية المتعاون المزدوج ؟ مهما كانت الأبعاد فيبقى عاصم في نظر خليفة عميلا متعاونا حسب أحداث الرواية.

أما في روايتها (الصبار) فقد طرحت كيفية التعامل مع العملاء، داخل السجون في صورة ضبابية لم تتضح معالمها جيدا، وقد أثار موضوع العمالة حالة من الخوف بين صفوف المعتقلين داخل السجون. [1] فكان لا بدّ من التنبه إلى هذه القضية الحساسة، فأخذ مسؤولو الغرف داخل السجون، على عاتقهم مهمة كشف العملاء داخل المعتقلات عن طريق رصد تحركاتهم،وتسجيل أقوالهم ومراجعتها مع بعضها بعض " أخرج عادل الأوراق وبدأ يقرأ منها أقوالا متضاربة كان الرجل قد أدلى بها. وكان عادل يفند الأقوال، ويقارن بينها ويهيب بالرجل أن يعترف وقال باصرار : نتعامل معهم المسألة واضحة تماما. منذ متى ؟ منذ متى ؟ قل"[2].

وترى الدارسة أن الصورة التي رسمتها خليفة صورة فيها مبالغة، فلا يعقل أن يكون العميل ساذجا،لا يعي هذه الأمور. فالاحتلال يختار أناسا محنكين لهذه المهمة،وقد جاء الاعتراف سهلا، ثم أين إدارة السجن من هذا ؟ هل يتركون عميلهم دون ملاحظة " واقترب الجنود من الباب وصرخ أحدهم : شو الدعوة ؟ولم يجبه أحدواستمرت الأصوات تدوّي ومزاهر طاولات الزهر تخشخش، والسطول تقرع. وتراجع الجنود عن البابـوهم يسدّون آذانهم"[3].

هل يعقل أن يترك الجنود السجناء يفعلون ما يريدون دون أي تدخل ؟ كما أن الكاتبة لم توضح الظروف التي اعتقل فيها كما فعلت مع زهدي الذي تعرض للتحقيق نفسه لمجرد أنه يعمل

---

(1) أبو هدروس، محمد أيوب، **الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة الغربية وقطاع غزة 1967–1993**، رسالة ماجستير، 73.

(2) خليفة، سحر، **الصبار**، 144.

(3) **السابق**، 144.

في إسرائيل، كما أنها لم تدعه يدافع عن نفسه حتى في أثناء اعترافه، فكأنها أرادت أن تصور حقيقة واقعة من خلال هذه القصة دون الاهتمام بالوقوف على أبعادها، وأسبابها، وطرق علاجها.

أما في روايتها "ربيع حار" فقد رصدت صورة لعميل، تعاون مع السلطات في أثناء الاجتياح مما أدى إلى مقتل العديد من الفلسطينيين، والصورة لشاب يدعى عيسى كان يتيما عمل في عدة مجالات واستقر به المطاف للعمل في مستوطنة كريات شيبع " ولد فقيرا، مات أبواه وهو طفل صغير، وربته عجوز من أهله تعمل في بيوت الناس خادمة"[1].

ويحاول عيسى مساعدة مجيد الذي أصيب بقذيفة أثناء مطاردته،إلا أن مجيد يحاول الإشارة إلى أن عيسى غير مضمون، كونه يعمل في المستوطنة " رمش مجيد بعينيه ونوس جفنيه. أراد أن يقول لها: إن عيسى غير مضمون وا ٍن زوار المشغل غير مضمونين"[2].

ينخرط عيسى في صفوف المقاومة الشعبية، بعد مساعدة مجيد للوصول إلى رام الله و يعمل على توزيع الطعام على المتطوعين، وينتهي به الأمر بزرع الألغام مع المقاومين " أما عيسى فأرسلوه إلى فريق الطبخ، والطباخات، وتوزيع الأكل على المجموعات، لكنه بعد يومين رآه مع فريق زرع الألغام قرب الجامع"[3].

تمكن ّ الجنود من اجتياح المنطقة بسهولة بعد أن قام العملاء، ومنهم عيسى بالعبث بالأسلاك وا ٍبطال عمل المتفجرات، وحكم عليه بالموت قتلا بالبلطة.

---

(1) خليفة، سحر، **ربيع حار**، 100.
(2) **السابق**، 99.
(3) **السابق**، 122.

" عيسى باعنا يا أم سعاد. عيسى وأمثاله بالعشرات، ويقولوا مئات. قالوا الشباب عيسى وغيره كشفوا الألغام وكشفونا. ولما دخلوا اليهود مشوا على الأرض فوق الأسلاك وكشفونا. لكن بعدين اكتشفناهم. هيك بقولوا وقتلوه بالبلطة قدامي وأنا مش قادر أنسى عيونه"[1].

والسؤال المطروح هنا كيف قدّرت سحر عدد العملاء بالعشرات والمئات ؟ هل تحول أبناء من الشعب الفلسطيني إلى متعاونين مع المحتلين ؟ هل كان العمل الذي شارك فيه عيسى عملا جماهيريا يحق لكل شخص أن يساهم فيه ؟ألا يفترض اقتصار هذا العمل على فئة محددة معروفة ؟ وكيف يمكن الحكم على عيسى بالقتل دون التحقيق معه وسماع أقواله ؟ ألا يمكن أن يكون مظلوما ؟.

"تطلع فيّ وهو يبكي وينادي : أحمد، أحمد وأنا مش قادر أشوف هالمنظر. مش قادر أفتح ولا أغمض ولا قادر أقول حرام ومظلوم"[2].

ومرة أخرى الصورة ضبابية، لم يعرف المتلقي ما الأسباب التي جعلت عيسى يبيع أهله وناسه ؟ لماذا لا يجد الشباب من يرعاهم، ويقدّم لهم العون والمساعدة، خوفا من ضياعهم وانحرافهم وسقوطهم ؟ لم تتعرض إلى المسؤول المباشر وراء سقوط مئات الشبان في مصيدة العمالة،فجلّ همها تركز على بيان تعاون العديد من الشبان مع العدو، ولكن يبقى سؤال أخير هل عيسى جاسوس ؟ أم أنه مظلوم راح ضحية التسرع والحكم العشوائي غير المستند للأدلة " أنا مش عارف عيسى مظلوم أو مش مظلوم، عيسى جاسوس أو مش جاسوس، أنا مش عارف أنا مش فاهم، معقول عيسى يخون العشرة ؟ معقول عيسى يكون باع أهله ؟"[3].

---

(1) خليفة، سحر، **ربيع حار**، 162.

(2) **السابق**، 162.

(3) **السابق**، 162

وهناك صورة جديدة للعميل، ظهرت من خلال رواية (ربيع حار) والتي تحدثت عن الفترة التي جاءت ما بعد توقيع اتفاق أوسلو، حيث أفرزت هذه الفترة نوعا جديدا من العملاء المدعومين من قبل السلطة " هو لن يسبح عكس التيار وعكس الركب بل يغطس فيه ويجدف معه من الداخل. اللعبة صارت في الداخل ومن الداخل"[(1)].

إنه بدر الوشمي ابن عميل سابق قتل دون أن يُعرف قاتلوه " لن يرتكب أخطاء غيره ويضيع فيها كما ضاع أبوه ويقتل برصاص عشوائي"[(2)].

رجل من أصل نوري أخذ موضعه الاجتماعي، بسبب أمواله وعلاقاته المختلفة، فالجميع يحسب له ألف حساب، لا أحد يجرؤ على الإشارة إليه أو لأحد من أفراد عائلته بالبنان بسبب تعامله بل يجد احتراما، وتقديرا لا نظير له "ابنته تلبس المكشوف وتسوق الروفر والأودي وسط مدينة رام الله ولا أحد يجرؤ أن يقول كلمة واقفة ؛ لأن الجميع قعود وهو الواقف والدنيا دوما مع الواقف"[(3)].

لقد صورته خليفة وجيها رغم عمالته، إشارة منها إلى موقف السلطة الداعم للعملاء في الفترة التي وقع فيها اتفاق أوسلو الذي تعارضه الكاتبة، لا بل وتعارض وجود السلطة وأجهزتها، وهذا واضح من خلال كتاباتها " كاظم الساهر صار وتصور، رغم صدام وأنت ستصير رغم عرفات.الغرب يرانا في صورة قبيحة جدا، ساعة صدام، وساعة عرفات، وساعة بدوي بلحية قذرة مليئة بالقمل ويده تخفى خلف ظهره سكين الغدر. أتعرف صورتنا في كندا وفي واشنطن ولندن وباريس وحتى أوسلو؟"[(4)].

---

(1) خليفة، سحر، **ربيع حار**، 48.
(2) **السابق**، 48.
(3) **السابق**، 49.
(4) **السابق**، 50–51.

ورغم معرفة الجميع بأن الوشمي عميل، وبائع للوطن، وصاحب صفقات مشبوهة، إلا أن العديد من المستفيدين من الوشمي وخدماته لا يأبهون بهذا الأمر " كان قد سمع عن الوشمي ما لن ينساه : عمالة وتهريب، وبيع هويات، وتسويق بضائع ومخدرات ثم إن ّ اليهود طالع ونازل وبيوت مشبوهة للإفساد والعمالة"[1].

ويحاول مجيد القد ّام أن يطلب مساعدة من الوشمي، فيحاول الوشمي أخذ معلومات منه مفادها، اعترافات على أشخاص، لهم علاقة بتسلل عادي لإحدى المستوطنات، ولكن الوشمي يريد أن يصنع من الأمر حكاية. " هذه تهمة فيها ألغام وفيها ألغاز ويمكن تنظيم وبن لادن[2].

ونهاية كل عميل الموت،وهكذا انتهت حياة الوشمي بالقتل في عقر داره في مدينة رام الله " اقترب من الشباك، وسمع كلمة قتلوه قتلوه، ثم سمع السيارات، وعويل زامور الأمبولانس يهدر في الليل ورأى الشرطة،وقوات الأمن وعددا لا يقل عن العشرة، يقفزون من الجيبات وبأيديهم رشاشات"[3].

---

(1) خليفة، سحر، **ربيع حار**، 52.

(2) **السابق**، 80.

(3) خليفة، سحر، **صورة وأيقونة وعهد قديم**، 34.

الشهواني :

صورت خليفة الرجل في بعض رواياتها، باحثا عن الشهوة غير آبه بالعواقب، كل ما يهمه هو الحصول على اللذة الجنسية، ضاربا بعرض الحائط القيم الدينية، الأخلاقية، والاجتماعية. ففي رواية (صورة وأيقونة وعهد قديم) صورت خليفة ابراهيم رجلا يقع في حب فتاة مجرد أن رآها، فيتطور الأمر لتصبح مركز أحلامه، ولا يفكر إلا بلقائها، عشق جسدها قبل أن يعشق روحها، أحبها دون أن يعرفها " وأنا أيضا مثل الباقين، أعيش وأموت على صورةوأحب ّ وأعشق وأتعذب وأذوب وأفنى في صورة "[1].

"وأتخيل مريم في حضني بين ذراعي، فأكويها بتباريحي وأنا أتمرغ وأتنهد وأشهق وأئن، وأقبلها بملء شفتي، ملء ذراعي، ملء ساقي وأعصابي، ذاك هو الحب لشاب مثلي"[2].

وقد تكون صورة إبراهيم هذه، صورة لرجل يشعر بالكبت، ويحاول أن يفرغ شهواته بأي طريقة، وقد يكون هدف الكاتبة بيان نظرة الرجل للمرأة، إذ ترى أنها عبارة عن وعاء لتفريغ الشهوات المكبوتة، إذ لم تصور شعور الفتاة من الموقف بل ركزت على شعور إبراهيم فقط. " كتفها لصق كتفي، وحضنها لصق حضني، وفخذها لصق فخذي، أي إحساس ! وكدت أموت من النشوة. أنا لا أذكر بعد كل السنين وقصص الحب التي مررت بها أن امرأة استولت علي كما فعلت. أهي النشوة ؟ أهو الحرمان ؟ أهو الممنوع ؟"[3].

لقد أوضحت الكاتبة عن تفشي أمراض نفسية بين صفوف الشباب مثل الكبت، الحرمان، وممارسة العادة السرية، وأحلام اليقظة وغيرها، مع أن بطل روايتها إبراهيم يعيش في مدينة القدس، إلا أنَّ العادات والتقاليد تحتم على الشباب العيش ضمن أطر معينة. " دست في الخفاء كل

---

(1) خليفة، سحر، **صورة وأيقونة وعهد قديم**، ، 82.
(2) **السابق**، 34.
(3) **السابق**، 45.

محرم، مارست معها كل خيال وكل وضع يخطر بالبال، لكن على الأرض وفي الواقع ما كنت أكثر من مكبوت، مراهق كبير في العشرينات ولا يعرف إلا الأحلام والقراءة وحارة كئيبة في قلب القدس حول الأقصى ثم التدريس في القرية، أما هي فأربع لغات، وسبعة أخوة، والسبع بحور والبرازيل، وفيلا جديدة بنتها أموال الغربة ومال وفير"[1].

وترى الدارسة أنّ خليفة وقعت في تناقض في أثناء حديثها عن إبراهيم ومريم، إذ صورت إبراهيم رجلا مسيرا عكس الصورة التي اعتادت على رسمها للرجل الشرقي، فلأول مرة يكون رجلا شرقيا طوعا لامرأة تأمره فينفذ، هل هذا الأمر حقيقي ؟ أم أنه جاء ليتلاءم مع الحبكة التي سارت عليها ؟ " ماذا أفعل ؟ ماذا نفعل ؟ بل ماذا تريد أن نفعل ؟ الآن أنا ملك يديها، عبد لكل أوامرها ونواهيها وما عليها إلا أن تشير لأنفذ وأقول شبيك لبيك"[2].

وينساق إبراهيم وراء شهوته فيرتكب الخطيئة مع مريم، ويشعر بألم الضمير، ويشعر بالخجل من فعلته، ويعتزم الاعتراف أمام رجل دين في المسجد الأقصى، والسؤال هنا هل اعتاد المسلمون الاعتراف أمام رجال الدين كما هو الحال عند النصارى ؟ أم أنها تنسى للحظات أنها تخلط بين الديانتين، وأنه لا يمكن لرجل أن يذهب ويعترف أنه اقترف فعلة الزنا، خاصة وأن العائلات في مدينة القدس معروفة، فكيف يمكن لإنسان أن يضع نفسه في موضع شبهة واتهام، وأرى أن هذا مأخذ يؤخذ عليها؛ لأنها لم تصور الواقع كما يجب، بل جعلت الحكاية تأخذ منحى آخر.

" أي ندم وأي خجل وأي ضمير ! وأردت أن أدخل الأقصى وأبحث عن شيخ متعبد، وأقص عليه ما اقترفته. أقول له يا سيدي الشيخ أنا خاطئ زنيت وتلوثت ولوثت امرأة ليست ملكي،

---

(1) خليفة، سحر، **صورة وأيقونة وعهد قديم**، 45.

(2) **السابق**، 55.

وصارت مهتوكة على يدي، يا سيدي الشيخ : تلك المرأة لا من ديني، ولا من أصلي وتختلف عني في كل شيء هي مسيحية وأنا مسلم، هي غنية وأنا فقير "(1).

ألم يكن يعي إبراهيم حقيقة هذه التساؤلات التي طرحها، ألم يفكر في الأمر وأبعاده؟ لكنها أرادت أن تصور رجلا يلهث وراء شهوته، يبحث عن وعاء ليفرغها مع أنه يدرك أن مريم لا تحبه، بل هو مجرد بديل لحبّ عاشته وفشلت به، كيف يرضى الرجل الشرقي أن يكون بديلا ؟ المعروف أن المرأة تختار رجلا ما، لتهرب من حب فشلت فيه أو علاقة لم يكتب لها النجاح، أما الرجل الشرقي فهو الأقوى، هو الذي يختار فكيف صورت إبراهيم، عبدا لشهواته لا يدرك حقائق الأمور. " هي لا تحبني يا سيدنا الشيخ، بل تحبه، تحب رجلا في المنفى وأنا البديل وأنا أحبها حتى الموت وأشتهيها حتى الموت. هي ما املك. بل لا أملك. لا أملك نفسي وأملكها. ماذا أفعل ؟ هل أتزوج من امرأة ملك غيري ؟ امرأة ليست من ديني؟"(2).

وقد تكون هذه إشارة إلى إقبال شباب من دينين مختلفين على الارتباط العاطفي ويبقى الدين عائقا أمامهم، لا يمكن أن يتم زواج مقبول من الأطراف كافة وهذه ظاهرة وجدت في مدينة القدس خاصة، والمدن التي يعمها تعايش إسلامي مسيحي عامة.

أما في روايتها(لم نعد جواري لكم) فقد صورت الشهوانية المدروسة، ففاروق يدرس نفسية المرأة قبل أن يرمي شباكه، فإذا كانت ضعيفة ساذجة ألقى الشباك وتمكن منها،وا ٕن لم تكن كذلك ابتعد بهدوء.

وينصب شباكه حول ايفيت ويعزف لها على سيمفونية الجمال التي طالما تغنت بها، ويكتشف مواطن ضعفها ويبدأ الهجوم، فتستسلم الضحية.

---

(1) خليفة، سحر، **صورة وأيقونة وعهد قديم**، 58.

(2) **السابق**، 58.

"منذ رأيتك عرفت من أنت... عرفت أنك جميلة – وكان صادقا هنا – وعرفت أنك لطيفة وبسيطة – وهو محق هنا – وعرفت أنك ذكية، وكان هنا أكثر كذبا من مسيلمة الكذاب نفسه ! عرفت أنك من طينة أخرى، طينة خاصة من صنع إله الخير والرحمة. في عينيك طهارة الياسمين في أول مواسمه"(1).

ويعي فاروق ثغرات العلاقة بين ايفيت وزوجها ويحاول أن يستغلها جنسيا، بلغة ممتلئة بالعواطف والمشاعر(2).

يرمق فريسته بعبارات جميلة فتحلق ايفيت في الفضاء، ويكون السقوط سهلا وينظر إليها نظرة ثاقبة، يعريها من كل شيء حتى يرى جسدا، يحلم من خلاله بأشياء كثيرة تقوده إلى العبث واللهو.

"لا بدّ من نيلها.. لا بدّ ... فهي رخصة... رخصة. عنقها الحريري يثير فيّ ارتعاشات لن تهدأ إلا إذا غمرته بفيضان من القبل، صدرها الغني بكنوز الملك سليمان يوقف شعر رأسي... ساقاها العاجيتان تحفران خنادق في سويداء قلبي... سأنالها ! "(3).

لقد خطط فاروق جيدا ليظفر بفريسته، ولم يكن المكان عائقا بالنسبة له، فهو لا يهمه شيء، فهو مثال لرجل شهواني يرتدي ثيابا جميلة تخدع الناظرين، كل ما يهمه إشباع رغباته وغرائزه والحصول على نشوة الظفر بامرأة، وأية امرأة ؟ إنها امرأة جميلة، تثير فيه أصناف العذابات، تسيل عنده لعاب الشهوة، ولا يهدأ الأمر إلا إذا اقتادها طوعا نحو المذبح، فينال منها بهدوء تام دون مقاومة.

" واقترب بشفتيه من خدها، ومسه بنعومة فائقة... فأخذت تتمتم " أنا خائفة... خائفة ! " وهمس في أذنها، وهو يدغدغ شحمة أذنها نعمة : تخافين مني أنا ؟ واستيقظت فجأة لتتذكر من

---

(1) خليفة، سحر، **لم نعد جواري لكم**، 58.

(2) ينظر : مناصرة، حسين، **المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية**، 374.

(3) خليفة، سحر، **لم نعد جواري لكم**، 58.

هي وما تفعله، فهتفت بفزع : لا، أرجوك اتركني، ووقفت ووقف قبالتها بعد أن وضع المجلد من يده، وكانت نظراتهما ما تزال مشدودة، وأنفاسها تلهث وأعصابها متوترة، وقد مد يده وشدها إلى صدره بنعومة فانهارت وأخذت تبكي وهي تدفن رأسها في صدره وأخذ يقبل عنقها... وأذنها... ووجهها... وشفتيها وهي تغمغم بانفعال حبيبي... حبيبي وأخذ يضغطها إليه وهي تغوص... تغوص... تغوص... وشعرت بنفسها سمكة ملونة صغيرة في وعاء بلوري مليء بماء دافئ... دافئ... دافئ... وصوت يغمغم كم أنت دافئة...؟ كم أنت شهية...؟ يجب أن أراك في غير هذا المكان عديني يا حبيبتي بألا تتركيني "[1].

والسؤال الذي يمكن أن يراودنا هنا هل يمكن أن يحدث ما حدث في مكان عام من مثل مكتبة صغيرة أروقتها محدودة ؟ ألم تخف (إيفيت) على نفسها من أن يكتشف أمرها ؟ أم أنها صورت فاروق على أنه رجل لا يخاف شيئا، ولا تهمه أبعاد الأمور، وترى الدارسة أنها بالغت في رسم الصورة بل جاءت الصورة متناقضة فكيف يكون الإنسان مفزوعا خائفا من شيء ما ثم ما يلبث أن يغوص ليشعر بالحرية والسعادة والانطلاق.

وليبدو الأمر عاديا يعمد فاروق إلى تثقيف ايفيت بالإشارة إلى أنواع من الكتب، فيدفعها إلى أن تثقف نفسها ثقافة جنسية مشوهة تدعوها إلى التمرد السلبي على القيم الأسرية، فتصير ضحية ساذجة لفاروق[2].

وتكتشف ايفيت كذبه وتلونه، فتظهر الصورة واضحة صورة مخزية لرجل يدعي التحضر والثقافة، يتحدث عن ذاته بلا وعي فيسقط ما يجول في نفسه على الآخرين فتظهر الصور ة، فالشباب من أبناء الطبقات الفقيرة والمتوسطة، يترددون على النوادي لتصيد الفتيات، لا لهدف

(1) خليفة، سحر، **لم نعد جواري لكم**، 62.

(2) ينظر : مناصرة، حسين، **المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية**، 374.

ثقافي، فهم سوقيون ولا معنى للثقافة عندهم، انسي فاروق ابن الطبقة البرجوازية، أنه أتى إلى هنا كي يبث سمومه ويتصيد أجسادا لنساء يفرغ فيهن شهوته، أم أن ما حرم على غيره حلال عليه ؟ !. " أقصد أن هناك بعض الشباب، لا يأتون لمثل هذه النوادي إلا لأسباب معروفة، وهي تصيد الفتيات والتمحك بهن ! فقالت سميرة وهي ترمقه بنظرة ساخرة : " والمثقفون ألا يفعلون هذا ؟ على الأقل عندما يفعل السوقة هذا وبطريقتهم المتواضعة في الغمز واللمز وترقيص الحواجب لا يلامون"[(1)].

"يظل الشاب الذي تسميه سوقيا خجولا قليل الثقة بنفسه، متواضعا ترضيه نظرة، ترضيه كلمة، أما أصدقاؤنا المثقفون فلا أظن أن احتياجاتهم تتوقف عند هذا الحد"[(2)].

تعبر هذه الصورة عن انحياز سحر خليفة لفئة المثقفين في المجتمع فهي ترى أن المثقف أسمى من أن يكون مهزوز الثقة أو واقعاً تحت سلطة النظرات أو الكلمات، بينما يتسم بهذه الأوصاف من يقف خارج دائرة الثقافة.

وقد صورت خليفة الرجل الشهواني متناقضا في طروحاته الخاصة بالمرأة، فمن جهة يحبها، يعدو لاهثا وراءها للوصول إليها، ومن ناحية أخرى نراه يحتقرها، يرمقها بنظرة دونية لا تساوي عنده شيئا، لا قيمه لها ولا لذكائها ولا لجمالها وهذه هي النظرة الحقيقية التي يزيفها دائما بنظرة متحضرة، فالرجل هو الرجل والمرأة هي المرأة من وجهة نظره.

"إني لأعجب كيف تستطيع امرأة مهما بلغت من الذكاء، والجمال، والدهاء، أن تسيطر على رجل وهي ليست أكثر من امرأة ! فقالت سميرة بدهشة : "ماذا تعني بـ " ليست أكثر من امرأة؟ " هل تعتبر المرأة مخلوقا ناقصا؟ فقال بكبرياء ضاحك: " للرجل مثل حظ الأنثيين... وأخذت ايفيت

(1) خليفة، سحر، **لم نعد جواري لكم**، 65.
(2) **السابق**، 72.

تنظر إليه بدهشة، متسائلة، " ألم تقل بأن المرأة إنسان، له الحق كل الحق في الحياة مثل الرجل تماما"(1).

وعندما يحاصر الرجل لا يعرف كيف يناقش، لا يعي أبعاد كلماته التي تبدو على حقيقتها دون تزيين أو تلوين، فمهما كان ديمقراطيا، ومهما عبث بعواطف المرأة ومشاعرها، ومهما نعتها بصفات الذكاء والجمال، لن تعدو أمام عينيه أكثر من امرأة، فخطايا الرجل نزوات أما خطايا المرأة فهي جرائم، لقد نسي فاروق في رواية (لم نعد جواري لكم) انه ناغم ايفيت في المكتبة ووصفها بصفات الجمال والذكاء حيت التهم جسدها التهاما، ولكنه تعرى أمام نفسه وأمام الآخرين، فأصدر حكمه بشأن المرأة وكان حكما جائرا.

" مهما قلت ومهما فلسفت الأمور، تظل المرأة هي الأضعف، والرجل هو الأقوى، وتظل العاقبة سطحية بالنسبة للرجل، بينما تكون وخيمة بالنسبة للمرأة، فعندما يمارس الرجل الحبّ فهو لا يقدم على جريمة أما بالنسبة للمرأة... فصاحت سميرة متمتمة " جريمة"(2).

أما رواية (الميراث) فقد صورت مازن حمدان شابا في الأربعين من عمره، رجلا شهوانيا عاشقا للجسد، كان يعيش في لبنان،انفجر فيه لغم صغير طيّر قدمه، عولج في موسكو وأمريكا ثم عاد ليسكن في فلسطين المحتلة كرجل سياسة لامع.

مازن حمدان رجل وقع في حب " سلمى" في بيروت ولكنّه أخفق في هذا الحب، فشعر أن أحلامه تبعثرت هنا وهناك، فشعر بالهزيمة وعندما عاد إلى فلسطين المحتلة وقع في حب فتاة تدعى " فيوليت " كان دائم التردد على منزلها، يقضي معها ساعات الليل يتسامر مع والدتها، يحتسون الخمر ورغم هذا نراه يتناقض في مبادئه التي يؤمن بها فيحلل ما حرم حسب هواه.

---

(1) خليفة، سحر، **لم نعد جواري لكم**، ، 65.
(2) **السابق**، 73.

" من يوم ما رح ما عاد يسأل. أمي المسكينة بتفكر بسببك أنت، لأ مش أنت ولا واحدة ثانية أو ثالثة، لا اليوم ولا بكرا ولا بعده، على طول مازن ما عمره بيتغير، مازن مهزوم وبيهزمني"(1).

ومن الملاحظ أنّ خليفة صورت شخصياتها الذكورية، بتورطها في علاقات مشتبه فيها، يرتضيها لنفسه، ويرفضها من الآخرين، خاصة إن كان الأمر يمسه وهي بذلك تعري الرجل الشرقي الذي يعيش ازدواجية فكرية تنعكس في تصرفاته، فمازن في رواية الميراث أقام علاقة جنسية مع فيوليت مع أنها انتهت بالفشل إلا أنه رضي لذاته أن يقيم علاقة غير شرعية مع فتاة، الأمر الذي رفضه عندما أقامت نهلة، علاقة مشابهة نوعا ما مع السمسار فظهر مازن على حقيقته، التي طالما حاول أن يخفيها خاصة أمام فيوليت التي تألمت كثيرا بسبب هذه الازدواجية فرفضت أن تستمر بالعلاقة الجنسية معه دون زواج(2).

وجاء ردة فعل على تصرفاته معها ومع نهلة.

" وحين سحبت المشط في ذاك الشلال الأسود، ونفضت رأسها بحركة رشيقة كحركة غزالة أو مهرة، فقد عقله ومد يديه، واندفع إليها بكل قواه وبكل الزيت في عروقه وأثر البيرة. وأحس بقفاها في حضنه فانغرس فيه وهي تلعبط مثل السمكة، وفجأة انفتح باب الممر ورأى مازن ذاك المشهد، وبدون تفكير أو تقدير للنتائج امتدت يده إلى السمسار ونزعته عن مقفى أخته، وبحركة خبيرة ذات تأثير، لف السمسار على نفسه وضربه ضربة أطاحت به مثل الكرة وسط الحفلة وأمام الناس والمدعوين"(3).

وفي الرواية نفسها تتحدث خليفة عن سمسار في السبعين من عمره، يقع في حب فتاة لم يحالفها الحظ في الزواج فيقترب منها ويقيم معها علاقة ويسمح لنفسه بلمسها والسفر معها، ومع

---

(1) خليفة، سحر، **الميراث**، 135

(2) ينظر : مناصرة، حسين، **المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية**، 450.

(3) خليفة، سحر، **الميراث**، 151.

ذلك يرفض في قرارة نفسه الارتباط بهذا النوع من النساء، لكن الشهوة جعلته يركض وراء هذا الجسد.

"حين لمس ركبتها وبطة ساقها لم تقل " لا " وجد نفسه موزعا بين نارين كل منهما تخيل رأسه فرنا متوهجا يحترق فيه،فمن ناحية هذا الإحساس بالخوف والاشمئزاز من امرأة، تبيح لرجل غريب أن يلمس أشياءها بدون تحفظ، ومن ناحية ثانية هذا الانسياق البري وراء إحساس افتقده مذ كان يسرح مع أبناء الرعي ويُداهم معهم البقر وحتى الدجاج ولا يشبع مرتين، وثلاثا وأربعا وحتى عشرا في اليوم نفسه ولا يشبع"[1].

وترى الدارسة أن هذا الكلام، إشارة واضحة من الكاتبة إلى تفشي الأمراض النفسية في المجتمع الفلسطيني، فما كان يمارسه السمسار في شبابه، ما هو إلا أحد أشكال الانحراف الجنسي ويسمى البهيمية الجنسية " وفي هذا الانحراف يحاول المريض إشباع رغبته الجنسية عن طريق استعمال الحيوانات المستأنسة منها، وقد يلجأ المريض إلى عدة طرق وأساليب، وتنتشر هذه الحالة لدى بعض القرويين في الأرياف وبين المحرومين جنسيا"[2].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الكاتبة اتخذت هذا المثال في روايتها، وتحدثت عنه لتبين أن كل ما يصل إليه أبناء القرى من نجاحات، لا ينفي عنهم صفة الحرمان والشذوذ، وشعورهم الدائم بالنقص.

عبد الهادي بيك أحد أقطاب رواية (الميراث) صورت خليفة شهوانيته مع أنه قبيح المحيا لا يسر الناظر إليه، إلا أنه أنيق يثير الإعجاب والاحترام. " كان أنيقا في كل شيء رغم قبحه وأوداجه المرخية وأسنانه، كان له جسر ذهبي لا يسر العين وأسنان صفراء مأكولة على بشرة

---

(1) خليفة، سحر، **الميراث**، 102.

(2) الزراد، فيصل محمد خير، **الأمراض العصابية والذهانية والاضطرابات السلوكية**، 226.

بيضاء بلون الشمع،ولكنه من فوق لتحت، وعلى بعضه، يثير في النفس الإعجاب أو الاحترام أو الاثنين في البداية"[1].

ورغم انفتاحه على العالم وكثرة تجاربه، إلا أنه رجل شهواني، يستمتع لمجالسة النساء، فصورته يحاول استغلال فتاة عرفت بالتحرر من القيود الاجتماعية، لكنها شعرت بالقرف والاشمئزاز حين تحرش بها، فنواياه غير سليمة. " فماذا يظن هذا المقرف ؟ ألأنها تغني على الجيتار وتعبر عن نفسها بصراحة، وتحب، وتناجي من تهوى بأغانيها فهي مباحة أو مبذولة أو معروضة لمن يرغب ؟ أو ربما ظن كما نوّه مرارا – أن المرأة ذات الإحساس ممحونة ولا تقدر على العيش بدون عشيق"[2].

ويحاول عبد الهادي التحرش بفيوليت، وأخذ يتردد على منزلها، ولكنه كان خائفا من افتضاح أمره، فمركزه الاجتماعي والسياسي لا يسمح له بمثل هذه العلاقة، ولكن شهوانيته أبت عليه إلا أن يسير في هذا الطريق، فزارها ليلا كي لا يراه أحد ويعرض نفسه للكلام. " وعزم ثانية أن يبقي زيارته وكل الزيارات تحت جنح الليل، ولا يعلم بها أحد في هذا الكون إلا فيوليت،وأم فيوليت. فماذا يقال لو انتشرت قصته مع فيوليت بين الناس؟ يقال الشايب مع حلاقة ؟ يقال الشايب سليل العز ووريث مفتاح الأقصى مع نصرانية ؟ يقال أصغر من بنته ؟ يقال ؟ لا لن يقال، فكل شيء يبقى في السر"[3].

ويعكس عبد الهادي موقفه من المرأة العربية التي تتمسك بالعادات والتقاليد، فهي منغلقة على ذاتها من وجهة نظره، وخاصة فيما يتعلق بالأمور الجنسية فأثناء إقامته في واشنطن رأى المرأة الغربية، كيف تحيا ؟وكيف تفكر؟ إذ لا مانع لديها من التعبير عن إعجابها بالرجل بل

(1) خليفة، سحر، **الميراث**، 80.
(2) **السابق**، 222.
(3) **السابق**، 244.

بإمكانها أن تبدي شهوتها له، خاصة إذا كان قادرا مثله." لكن يبدو أن النساء يرغبن في الرجل القادر ؛ لأنه حين عاد إلى غرفته في الفندق قبيل الصبح وجد شابين من شلتها بانتظاره، وقالا له إن جلوريا أقسمت ألا تنام تلك الليلة ما لم يجيئوها بذاك العربي المتكبر لتقتص منه، وذهب هو واقتص منها واقتصت منه ولكن أي اقتصاص، اقتصاص لذيذ مثل السكر "[1].

" أنا هيك بحب، بحب الست المنفتحة اللي بتعرف تعيش. إحنا نسواننا العربيات ما بيعرفوا يعيشوا حياتهم. ورجالنا كمان زي النسوان. وبالنسبة إلي أنا بفهم الجنس أنه حاجة، وهذه الحاجة لازم تنفس عن ذاتها وتخرج بره وما تظل مكبوتة في الأعماق. ليش الناس هيك بعقدوها ؟"[2].

ومرة أخرى تناقض خليفة نفسها في رواية (الميراث)، فبعد أن صورت عبد الهادي بيك خائفا من فضح علاقته مع فيوليت ؛ لأنها نصرانية، يعترف عبد الهادي أمام فيوليت أنه لا مانع لديه من إشباع رغباته الجنسية بأية طريقة حتى مع مثلي الجنس " وهو نوع من الميل الجنسي القوي نحو نفس الجنس وحب الاتصال بشخص من نفس الجنس، وقد يكون ذلك متبادلا وقد يمارسه طرف واحد " [3].

وهذا الأمر أشد خطورة من علاقته مع فيوليت، خاصة وأنه عزف عن الزواج، فكيف يصرح بهذا الأمر الخطير الذي قد يثير الأقاويل حوله وهو في غنى عنها،هذا من جهة، ومن جهة أخرى كيف يمكن لرجل شرقي مهما بلغ من التحرر، أن يعترف ويصرح بهذا الأمر الخطير. وهنا نقف متسائلين أمام الدافع الذي جعل خليفة تطرح مثل هذه الحكايا في روايتها، هل تريد الوقوف فعلا عند ظاهرة متفشية في المجتمع الفلسطيني سرا، أم أنها تهدف من وراء ذلك تشويه صورة الرجل الفلسطيني ؟؟.

---

(1) خليفة، سحر، **الميراث**، 247.

(2) **السابق**، 248.

(3) الزراد، فيصل محمد خير، **الأمراض العصابية والذهانية والاضطرابات السلوكية**، 221-222

" أنا واحد منفتح لأبعد حد. بخصوص الحاجات والرغبات، أنا بفكر إنه الإنسان لازم يعيش كل حاجاته ويعبر عنها بأي طريقة حتى يشبع، أي تعبير وبأي شكل مش قضية،المهم الشبع ومش الأسلوب. وبالنسبة إلي كل شيء مسموح حتى homosexuality مسموحة. كل واحد يعمل اللي يناسبه لحد ما يشبع من غير قيود" [1].

وتقف أيضا في روايتها عند رجل السياسة،الذي يستغل منصبه السياسي أو القيادي لإشباع رغباته، فبعد أن يصل عنان السماء محلقا في سماء المجد بعد إلقاء خطبة أو قصيدة تلهب المشاعر الوطنية يصفق الجميع له، فهو قائد أمة له نهج يحترمه الجميع " وتسمع الصوت من خلال الهدير وتهليل الناس. فهو إذن قائد أمة ! فهو إذن فلتة عصره ! فهو إذن ينطق دررا فهو إذن يحكي عبرا "[2]،لكنّه بعد هذا المجد يستغل نفوذه ويُشبع رغباته المكبوتة برفاق الدرب فقد تسمرن مبهورات بالكلام المثير فهذه هي أجواء السبعينات " ترى القائد فوق الخشبة وتحت الأضواء وهدير الصوت في سماعات والناس تضج أوتهلل ثم النقاش ثم التعقيب" [3].

وهكذا يمكن للرجل أن يصطاد نساء آمنّ بالقضية ويبدأ هذا القائد بتثقيف الفتاة ثم ما يلبث أن يعلمها فنون الحياة التي يراها، والسؤال المطروح هنا هل حقا كان الوضع هكذا ؟ هل يمكن تعميم هذا الأمر أم أنه يبقى خاصا، لا يتعدى حالة أو حالتين ؟ ومهما كانت الإجابة سيبقى الأمر يمثل خطورة واضحة خاصة وأن قادة استغلوا اسم النضال لإشباع رغباتهم الجنسية.

" تعالي أعلمك فنون الحياة ويأخذ بيدها ويدخل بها قاعة أخرى، وأخرى وأخرى، ثم دكانا وتكية وآخر يدخل، وآخر يدخل، وهي الأخرى مجرد أخرى ثم السقوط. تسع فتيات تعرفهن مررت

(1) خليفة، سحر، **الميراث**، 248.
(2) **السابق**، 225.
(3) **السابق**، 225.

بهذا وسقطن سقوط البغايا. الفرق الواضح أن البغي تقبض ثمنا، أما الفتيات غرض ببلاش وقبضن الثورة والتحرير. ما بين الشاعر والقائد أو حتى دخيل على الثورة أو متمسح بذيول الشعر. في الليلة نفسها في اليوم نفسه! طبعا ما قبضن سوى الثورة، ثم التحشيش أو المورفين أو المحنة" [1].

إن هذه الصورة وإن كانت تمثل بعض الممارسات الفردية تعكس ظلاً لحقيقة مرة تنشأ في المجتمعات ذات ظروف فورية أو اجتماعية أو فوضوية تؤدي في مجملها إلى سقوط بعض الفتيات باسم النضال.

ونمط آخر من أنماط الرجال الشهوانيين تظهره سحر خليفة في رواياتها، فعادل الكرمي يبحث عن المرأة الجسد لينفث فيها حرارته وشهوته[2].

" أريد امرأة في مكان ما ستفتح الباب يوما، وتجعلني أنفث شهوتي وحرارتي" [3].

ويحاول عادل البحث عن الحب والشهوة، لكنّ الفتاة الشرقية لم تكن لتجعله ينتصر على رغباته، فهي بأفكارها تقف عائقا أمام تطلعاته. " وأحس بالرغبة فيها، لكنها فتاة عربية، تريد الحب، هذا ما لا يقدر عليه" [4].

وعادل الكرمي شاب كبقية الشباب الباحث عن المتعة والشهوة دون قيود " لماذا نلح بأن نكون عبئا على الآخرين ؟ لماذا يتوجب أن أقدم صكا للعبودية" [5].

---

(1) خليفة، سحر، **الميراث**، 226-225.

(2) ينظر، مناصرة حسين، **المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية**، 333.

(3) خليفة، سحر، **الصبار**، 58.

(4) خليفة، سحر، **عباد الشمس**، 15.

(5) **السابق**، 20.

ورغم الشهوة التي تملكته فهو رمز الذكورة المهزومة البائسة المخصية[1]، " أنتم مخصيو العقيدة والفعل والعواطف" [2]ومع هذا فعادل الكرمي ينظر إلى المرأة أنها مصدر لشهواته، يحاول أن يحل عقده الجنسية من خلالها" [3]،وكل ما يمكن أن يحصل عليه من الفتاة التي ادّعى حبها يمكن أن يحصل عليه من أية امرأة أخرى، فهي بمثابة جسد غابت عنه الروح وحقيقة العلاقة هي وعاء لتفريغ الرغبات المكبوتة " هي تعرف أنه لا يحبها وأنه لا يحتاجها وأن حاجته إليها لحظية مؤقتة وأية امرأة أخرى باستطاعتها أن تسد الفراغ" [4].

ويتخبط الرجل بين شهوته، وبين الواقع فهو من جهة يريد أن يكون محافظا على عاداته وتقاليده الشرقية، ومن جهة أخرى يريد أن يحيا حياة العشق والشهوة، وهذا يسبب له انفصاما في شخصيته بين ما يرغب ويريد وبين الواقع الأليم " الرجل العربي ما زال مريضا منفصما منقسما يرغب في شيء ويطبق آخر... مشدودا إلى الماضي يتغنى بالمستقبل" [5].

وتحلّق خليفة في عالم الخيال وترسم صورة لعادل الكرمي، يجوب من خلالها في شوارع القدس القديمة العريقة، بكل ما فيها من قيم ومفاهيم، تصوره لاهيا مع محبوبته، معانقا لها متدحرجا على العشب، وكأن القيم ماتت وانصهرت في مجتمع بات محافظا على قيمه رغم الاحتلال، فما هذا التناقض الواضح بين ما ترصده وبين ما هو موجود ؟ أم أنها أرادت من خلال هذه الصورة أن تصور الرغبة الحيوانية الموجودة عند الرجل والتي لا تعرف مكانا أو زمانا فهو شهواني بطبيعته

---

(1) مناصرة، حسين، **المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية**، 33.
(2) خليفة، سحر، **عباد الشمس**، 15.
(3) مناصرة حسين، **المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية**، 33.
(4) خليفة، سحر : **عباد الشمس**، 19.
(5) **السابق**، 19.

وا إن كان يتغنى بالثقافة والالتزام " تصاعد الدم في وجهه واهتز قلبه. لم يعد هناك مجال للانضباط أكثر. وضع يده حول خصرها وحاول أن يشدها إليه" [(1)].

لكن خليفة تعود لتؤكد أن الرجل الشرقي ضحية كالمرأة تماما، بل ما يعاني منه أشد خطورة، فهو رمز القوة، فكيف يكون رمز القوة في المجتمع الشرقي ضعيفا ؟ " هو ضحية كالمرأة تماما،لكن مرضه أخطر؛ لأنه الأقوى والمتجبر" [(2)].

وترى الدارسة أن خليفة صورت الرجل الشهواني في أكثر من نموذج من نماذجها، فلم تنس أن ترصد لنا شهوانية زهدي الذي كان معتقلا في سجون الاحتلال، إلا أنه رغم ذلك كان يفكر برغباته وشهواته، وما أن أطلق سراحه من المعتقل حتى كانت الغريزة الجنسية أولى اهتماماته " فالمرأة الأنثى جسد يمتص أزمات الرجال ويدفعهم إلى النسيان" [(3)].

" وأخذ يقبل اللحم الساخن ويغرز أنفه في عبير الصابون وأمواج الأنوثة. دعيني أنسى دعيني حلمت كثيرا، حلمت، حلمت، لكني لم أحلم بلقاء أسخى وأكرم. هذا الصدر وتلك العجيزة، شواطئ الأمان اليتيمة في بلد محتل. والجنس البشري يتكاثر رغم كل المصائب. متعة الشعب المضمونة. وهذا الكنز يذكرني بقلاع لا يغزوها دخيل، والأرض الخصبة تتلقف البذار وتحيله غزارة في الإنتاج والاستهلاك، وعندما يتغيب المنتج عن موقعه تجوع أفواه في مواقع أخرى وتتساقط الأساور عن الزنود المكتنزة" [(4)].

وترى الدارسة أن خليفة في صورتها السابقة، تلمح إلى أنّ الفلسطيني رغم كل الصعاب التي يعيشها، ومتاعب الحياة، وهيمنه الاحتلال، ما هو إلا أسير لشهواته، فهل كان زهدي مثلا لا

---

(1) خليفة، سحر، **عباد الشمس**، 16.

(2) **السابق**، 19.

(3) مناصرة، حسين، **المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية**، 333.

(4) خليفة، سحر، **الصبار**، 187.

يفكر إلا في جسد سعدية؟ أم أن غيابه عن أسرته وعمله وجيرانه في سجن عانى فيه الكثير، أثقل كاهله بالهموم والمآسي، فما عادت لديه رغبة في شيء إلا جسد سعدية؟؟!!

وقد يلجأ الرجل لاشباع رغباته الجنسية إلى سلوك مسالك غير شرعية، كعلاقة شحادة غير المشروعة "بخضرة" المومس التي التقتها سعدية بمحض الصدفة، والتي كانت هي وغيرها من أمثالها على علاقات جنسية مبهمة مع شحادة وغيره.

"هذه أشياء تعمل ولا تقال في المناسبات بين الرجال حين يتفاحشون بالكلام، أما أمام سعدية ست الستات، فالوضع مختلف لكن سعدية المقصوفة تلتقتها على الطاير وا إذا عرفت أنه له علاقة بأمثال خضرة فقل على المشروع السلام" [1].

(1) خليفة، سحر، **عباد الشمس**، 89.

الانتهازي :

تتحدث خليفة في رواية (الصبار) عن شحادة الذي بدأ حياته أجيرا في مزرعة آل الكرمي، يعمل فيها مع والده، إلا أنّ ظروف الحياة الصعبة اختلفت وبدا من الصعب عليهم متابعة العمل بها، فهجرها العاملون لهجران صاحبها لها، وبات العمل في اسرائيل مشروعا " أنا يا سيدي أجير، طول عمري كنت أجيراً ، لا لي أرض ولا ما يحزنون، وابني كان أجيرا ولم يزل. وما دامت الأرض مش أرضي ولا أرض شحادة نموت فيها ليش؟ لما متنا من الجوع ما حدش سأل عنا، والساعة بقيتوا تسألوا عنا ليش" (1).

وترى إيمان القاضي أن ذهاب شحادة إلى العمل في إسرائيل، وتركه الأرض أمرا متوقعا وذلك لأن عادل الكرمي، ابن مالك الأرض قد تركها وعمل في إسرائيل، في حين يرى أسامة الكرمي أن هجران الأرض من قبل شحادة وأمثاله، ما هو إلا نكران للجميل وحقد طبقي، وتطلع لامتلاك ما بيد الغير (2).

ونتيجة للعمل في المصانع الإسرائيلية يمتلك شحادة الأموال، ويصبح من الوجهاء ويستهجن أسامة الكرمي، ما آل إليه مصير شحادة فيسخر منه " وحملق أسامة في الوجه الضاحك بذهول. شحادة ! مش معقول ! ماذا فعل شحادة بنفسه ؟ ماذا فعلت به حضارة إسرائيل" (3).

تتغير تطلعات شحادة للحياة، وينعكس هذا التغير حتى على مظهره، فيأخذ بتقليد الإسرائيليين حتى في قصة شعره، " كان شعره الأجعد يحيط رأسه بشكل هالة لا يقل طول نصف قطرها عن عشرة سنتيمترات، بينما تكوم إلى جانبي خديه سالفان غليظان كشجرتي نتش صغيرتين،

---

(1) خليفة، سحر، **الصبار**، 50.

(2) ينظر : **البطل في الرواية الفلسطينية1965**–1990، رسالة دكتوراه، 242.

(3) خليفة، سحر، **الصبار**، 99.

وكان يمسك غليونه بيده المزوقة بخاتم ذهبي ثمين، ويتكلم من جانب فمه كما يفعل كبار الممثلين الأجانب" [1].

بات شحادة يشعر أنه صاحب جاه عظيم، له شأن بين الناس، فيصطدم مع عادل الكرمي في المقهى الذي اعتاد أمثال شحادة أن يكونوا مغيبين عنه، ولكنه ظهر وبقوة جعلته يطلب قهوة للجميع على حسابه الخاص " ودخل عادل وبرفقته زهدي. وتلقفته التحايا من كل صوب، لكن شحادة لم يفتح فمه بكلمة، بل استمر يمتص غليونه، وقد اتخذ هيئة تتناسب ومقامه الرفيع. مقام رجال الأعمال الناجحين" [2].

أدرك عادل، أن سلوك شحادة نابع من محاولته الوصول إلى الطبقة البرجوازية التي شعر أنها أذلته وجردته من قيمه ومكانته. "شحادة يحاول اللحاق بركب طبقتنا المجيدة"، ويثابر شحادة في عمله في إسرائيل وينجح أيما نجاح، فكل عمل عمله نجح فيه وتفوق، حتى أنه كان مستغلا للظروف السائدة، فتنقل من عمل إلى آخر وكانت النتيجة أنه أصبح مالكا لسيارة يستخدمها لأغراض النقل، ومن ضمنها القمصان التي تخاط في نابلس، وتباع مباشرة من تل أبيب إلى أنحاء العالم لقد أصبح شحادة ثريّا من الأثرياء في حين كان عاملا عند آل الكرمي.

"فبعد مغادرته لمزرعة الكرمي اشتغل عامل بناء ونجح، واشتغل طوبرجيا، ونجح واشتغل سائق شاحنة تنقل البرتقال من مصنع التشميع إلى الميناء ونجح، ثم اشتغل ميكانيكيا وبائع خردة، بالإضافة إلى قيامه بعدة عمليات صغيرة غير مشروعة علنا، لكنها كثيرة التداول. وبعون الله والظرف أصبح مالكا لسيارة دوبل كابين يستخدمها لجميع أغراض النقل. وقد اعتاد أن ينقل القمصان من وإلى إحدى الشركات في تل أبيب، يأخذ القمصان من الشركة مقصوصة ومبوبة

---

(1) خليفة، سحر، **الصبار**، 99.

(2) **السابق**، 99.

ومصنفة، ويعيدها إلى الشركة جاهزة للبيع وتحمل علامة كتب عليها " صنعت في ايطاليا أو أمريكا أو اليابان " ويشتريها العرب في الدول العربية، دون نقاش ويحضرها الغياب معهم في الصيفية هدايا للصامدين "[1]، ورغم ذلك بقي شعور الإحساس بالنقص مسيطرا على شحادة، فلا زال يشعر أنه أقل من الآخرين،كان يشعر أيضا بالغربة وا ٕن تواجد مع أبناء شعبه ودينه، فالغربة كان يشعر بها بين الإسرائيليين والعرب على حد سواء " بالإضافة إلى إحساس شحادة المكين بالنقص كان يحس بالغربة في الأوساط العربية والإسرائيلية على السواء، في نابلس كان يحس أنه غريب عن المدينة... وفي السنين التي عمل فيها في مزرعة الكرمي كان يحس بالغربة" [2].

وأدرك شحادة أن المال لا يغير من نظرة الناس له شيئا، فاحترام الناس له غير موجود، لأنه من طبقة فقيرة لا ظهر له ولا سند، هذا الشعور كان يسيطر عليه ومع ذلك فهو صاحب قلب طيب سخيّ اليد، يساعد الجميع ويحسن استغلال الظروف التي يعيشها." أنا إنسان عملي... ضاعت البلاد والدنيا احتلال والكل يبيع ويشتري، والشاطر لازم يكون عملي ويستفيد من الظرف. غلب في غلب، لا والله غلب وستيرة ولا غلب وفضيحة "[3]. ويستغل شحادة حاجة سعدية للعمل، ويستغل وحدتها، فبعد موت زهدي لا معيل لها ولأطفالها، ولا مؤنس لها ولا لوحدتها و يفكر بها زوجة ولكن دون أولادها، وأخذ يفكر في طريقة تفتح الطريق أمامه وتجعله يصل إلى ما يصبو إليه من أفكار وتخطيطات. "يكفي من الشقا هذا الحد، وسيعيش وسعدية مثل الأفندية. ولكن أولادها العفاريت. وخصوصا رشاد الملائكة لا تتحملهم ولا تتحمل عفرتتهم فكيف يتحملهم هو ؟ وسرح بخياله محاولا البحث عن طريقة تخلصه من أولادها. حمادة في الجامعة، خلصنا من شر الأول.

---

(1) خليفة، سحر، **عباد شمس**، 29–30.

(2) **السابق**، 30.

(3) **السابق**، 31.

وجمال بقيت له سنة واحدة وأشهر خلصنا من شر الثاني. وسمية باقي لها أربع سنين ورشاد سنة. وعزيزة عشرة..يا واراد"[1].

ويحاول شحادة أن يفرض سيطرته على سعدية، بحجة خوفه عليها؛ لأنها امرأة ويمكن أن تتعرض للاستغلال. " اسمعي يا سعدية، إنت حرمة وأنا مسؤول عنك "[2]، وترفض سعدية وصاية شحادة عليها، فيحقد عليها ويهدد ويتوعد في سره على اعتبار ما سيكون، سيقتص منها عندما تصبح تحت وصايته وفي عصمته.

" بكرة تشوفي يا سعدية إذا كنت حرمة أو لا، بكرة يا سعدية تشوفي إذا كنت مسؤول عنك أو لاء، بكرة يا سعدية تشوفي إذا كان حمادة أحسن من شحادة، أم حمادة، هه طيب. بكرة نشوف، على ايش هالحرمة شايفة حالها وعامله أبو علي ؟ على القرشين اللي حيلتها ولا على خياطة القمصان"[3].

وترى الدارسة أن شحادة كونه متسلطا في رأيه حتى في عقله الباطن، نراه يتوعد سعدية فهذا هو حال الرجل الشرقي، يبحث دوما عن نقاط يمكن أن يستغلها لصالحه وهذا ما فعله شحادة إذ استغل حاجة سعدية للعمل، وعدم وجود رجل يسندها بحق بعد استشهاد زوجها، فحاول أن يأخذ مكانه ويلقي وصايته عليها ويحميها رغم أنه على يقين أنه لا يمكن أن يحظى بذلك ؛لأن سعدية أقوى من أن يفرض سيطرته عليها " وانت يا شحادة تحميني ؟ ما ناقص إلا انت يا شحادة. هذا أول الموال، كيف آخره "[4].

---

(1) خليفة، سحر ، **عباد الشمس** ، 82.
(2) **السابق**، 89.
(3) **السابق**، 90.
(4) **السابق**، 91.

ويعرض شحادة الزواج على سعدية، فترفضه على الرغم من حاجتها لرجل يحميها ويلملم ألسنة الناس ويرد نظراتهم عنها، وطمعهم فيها[1]،" يا بادلة النخلة بسخلة "[2].

ويرى وليد أبو بكر أن شحادة، عندما لم يجد ما يصبو إليه في الوصول إلى سعدية بمعزل عن أطفالها، وعندما أدرك أنها مستقلة في رأيها وتملك من الاستقلالية ما لا يستطيع السيطرة عليه، يختفي من حياتها ولم يعد له وجود في الرواية أيضا[3].

أما في روايتها **(مذكرات امرأة غير واقعية)** فتتحدث خليفة عن صورة أخرى من صور الرجل الانتهازي، صورة الرسام الخجول، الذي أحبته عفاف في صباها إذ تلتقيه مصادفة في عمان عندما عادت وحيدة إلى فلسطين، فيعود الحبّ الساكن إلى الحياة من جديد وتعتقد أنها وصلت إلى ما كانت تبحث عنه، ولكن الأمر عكس ذلك إذ تبين لها أنه متزوج، ولا يريد أن يضحي بزوجته، "ولا يريد أن يضيعها من بين يديه بادعاء حبها" [4]، فيعمد إلى استغلالها، واستغلال المشاعر الدفينة التي تكنها له حاله كحال كثير من الرجال، يعيشون ازدواجية في حياتهم زوجة أمام الناس، وعشيقة سرية". إذن فلا بدّ لكل إنسان من حياتين، حياة زوجية وأخرى عاطفية، واحدة معلنة وأخرى سرية "[5]، ويتابع هذا الرجل نبش عواطف الماضي مستغلا حاجة عفاف لها، لكنه لا يريد أن يتزوجها بعد أن تنفصل عن زوجها، يريدها عشيقته، ومحبوبته " فالعشيقة متحررة مثقفة مضحية بجسدها سهلة النوال "[6]، وعندما ترفض عفاف أن تكون عشيقة، مجرد محرك للمشاعر والأحاسيس، وتدرك أن العلاقة كانت خاطئة، تنتهي هذه الصورة المؤلمة بنهاية عهد صاحبها فلم

---

(1) ينظر: الشامي، حسان رشاد، **المرأة في الرواية الفلسطينية 1965-1985**، 155. رسالة دكتوراه.
(2) خليفة، سحر، **عباد الشمس**، 39.
(3) أبو بكر، وليد، **الواقع والتحدي في رواية الأرض المحتلة**، 66.
(4) مناصرة، حسين، **المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية**، 369
(5) خليفة، سحر، **مذكرات امرأة غير واقعية**، 115
(6) مناصرة، حسين، **المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية** ، 369.

يعد للرسام وجود، حاله حال كثير من الرجال يقتلون المشاعر والأحاسيس لمجرد أنها تتعارض مع منهج سيرهم العامفلم يكن الرسام على استعداد أن يضحي بزوجته وبيته وأولاده مقابل حب ّ قديم، في حين نرى عفاف كانت على استعداد لأن تفعل ذلك، ولكن الرجل الشرقي لا يمكن أن يتنازل عن زوجته،وا ٕن كان لا يحبها. " كيف يجرم الرجل بامرأة يحافظ عليها ؟ قلت يحافظ عليها أم يحتفظ بها ؟ " [(1)].

ولم يكتف الرسام بإصراره على الاحتفاظ بزوجته، بل آثر أن يطعن حبيبته دون أن يعي أبعاد هذا الطعن، فقد كان قاسيا معها مع أنها كانت تلتمس له الأعذار دائما " كنت أبحث في كل امرأة عنك، كنت حلمي وأنت تعرفين ذلك، والأخريات عابرات طريق وما الفرق بين عابرات الطريق والزوجة ؟الزوجة تبقى وهن يذهبن، وانغرست الطعنة في قلبي ولم أعلق، لكنني كنت قد عرفت تصنيفه لي"[(2)].

أما في رواية (لم نعد جواري لكم) فقد صورت خليفة، شرائح مختلفة من الرجال بصور انتهازية مستغلة،و هو فاروق رجل الأخلاق والمبادئ الظاهرة، يحمل شعارات ينحني الجميع لها إكبارا، رجل متناقض في طروحاته، انتهازي في تصرفاته، فهو صورة مخزية لرجل يدعي التحضر والثقافة، نراه يهاجم تردد الشباب من أبناء الطبقات الفقيرة والمتوسطة على النوادي مدعيا أنهم يأتون لتصيد الفتيات، لا لهدف ثقافي، فهم سوقيون ولا معنى للثقافة عندهم، وهو بهذا يعري نفسه أمام أطماعه باصطياد امرأة تشبع رغباته، فيشعر أنهم يعرفون حكايته وأنهم يتحدثون عنه بطريقة

---

(1) خليفة، سحر، **مذكرات امرأة غير واقعية**، 114.
(2) **السابق**، 116-115

أو بأخرى. " لا لم تفهموا قصدي، أقصد أن هناك بعض الشباب لا يأتون لمثل هذه النوادي إلا لأسباب معروفة، وهي تصيد الفتيات والتمحك بهن "[1].

ويتابع فاروق الشخصية الانتهازية، مسيرة تصيد النساء التي اعتادها فيحيك خيوطه حول " ايفيت " وأخذ يرمقها بعباراته الجميلة، مستغلا احتياجها لمثل هذه العبارات، فهي تفتقدها، وبهذا كان يعي تماما ماذا يريد، ولأين يريد أن يصل، ففريسته مجرد جسد عار يقوده إلى العبث ليس إلا.

" لا بد من نيلها... لا بد... فهي رخصة رخصة. عنقها الحريري يثير في ّ ارتعاشات لا تهدأ إلا إذا غمرته بفيضان من القبل !... صدرها الغني بكنوز الملك سليمان يوقف شعر الرأس... ساقاها العاجيتان تحفران خنادق في سويداء قلبي... سأنالها ! "[2].

ويرى مناصرة أن فاروق استغل ايفيت جنسيا بلغة ممتلئة بالعواطف والمشاعر، ودفعها إلى تثقيف نفسها بثقافة جنسية مشوهة، تدعوها إلى التمرد السلبي على القيم الأسرية، فتصير ضحية ساذجة من ضحاياه التي استغلها لإشباع رغباته[3].

أما "ربيع " في رواية (لم نعد جواري لكم)، فلم يكن شخصية معروفة في الرواية عانت صورته ضبابية نوعا ما، إذ رصدته من خلال حديث سميرة عنه. ولكن وبحركة سريعة أزاحت الستار عن شخصيته، لنرى صورة لرجل انتهازي منكر للجميل خائن للعشرة، فبعد أن ضحت سميرة بعمرها ومالها لأجله إذ دعمته ماديا، ومعنويا لمتابعة تحصيله العلمي فهي الخطيبة، والحبيبة، وابنة العمكافأها بأن أحب ّ فتاة انجليزية في أثناء دراسته فأخذ يبحث عن طرق سهلة للتخلص منها.

---

(1) خليفة، سحر، **لم نعد جواري لكم**، 65.

(2) **السابق**، 59.

(3) مناصرة، حسين، **المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية**، 374.

" وطلب منها أخذه لمكان هادئ بعيدا عن ضجيج الأهل والأصدقاء، لعله يجد هناك فرصة مناسبة لإطلاعها على الموقف، وقد يستطيع إيجاد حل لهذا المأزق، وقد تتفهم موقفه فتريحه من تلك الخطبة المفروضة"[(1)].

لقد استغل ربيع حب سميرة له لتحقيق أهدافه، والوصول إلى مآربه فعكس صورة الشاب الفلسطيني الذي يعيش مغتربا عن وطنه، فتغترب معه القيم والمبادئ والمفاهيم أيضا، ينسلخ عن نفسه ويرتدي جلدا جديدا، ليبدو أكثر انسجاما مع الوضع الجديد، والحياة الجديدة. " ما أسخف هؤلاء الشباب، يكون الواحد منهم لطيفا، ظريفا شكورا وعندما يغترب ويرى العالم الأوروبي، والحضارة والنساء ينسى أهله"[(2)].

لقد كان ربيع انتهازيا من الدرجة الأولى، فقد جعل من سميرة جسرا ينقله من عالم لآخر، مصدر دعم مادي دائم له، وفي الضفة الأخرى كانت دورثي تمده بالعاطفة وا ٍشباع الرغبات، فهذه النتيجة كانت بفعل مقارنة ربيع بين المرأة الغربية والشرقية، حيث ينتقم لعلاقته مع المرأة الغربية ضاربا عرض الحائط تضحيات المرأة الشرقية[(3)].

أما رواية (الميراث) فقد طرحت من خلالها صورا للعديد من الرجال الانتهازيين، فهذه النماذج المطروحة ما هي إلا نماذج " محبطة مهزومة، تعاني من غياب الهدف على الصعيدين الفردي الحياتي والعام الوطني" [(4)].

لذلك أراد كل واحد منهم أن يصل إلى هدفه ومبتغاه باستغلال من حوله.

---

(1) خليفة، سحر، **لم نعد جواري لكم**، 125

(2) **السابق**، 157.

(3) ينظر : مناصرة، حسين، **المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية**، 375.

(4) الماضي، شكري عزيز، **الرواية العربية في فلسطين والأردن في القرن العشرين**، 87.

مازن الحمدان جيفارا، المناضل القديم الذي عاش في بيروت وعمان وتونس وموسكو، أخفق في حبه، فهرب من المواجهة بالابتعاد عن الناس ورفضه للعمل بقضاء أوقاته في شرب الخمرة ومجالسة فيوليت الفتاة النصرانية المتحررة، والاستماع إلى صوتها الجميل وعزفها الأخاذ، وبكاء الماضي الذي كان في بيروت، نراه قد خيب آمال فيوليت التي اعتقدت أنه يحبها، فلم يختلف عن غيره من الطامعين فيها[1]، فقد كانت " علاقتها بعشاقها الشهوانيين تفشل ؛ لأنهم يريدونها جسدا مومسا بلا ثمن" [2].

فقد أعطى مازن لنفسه الحق في زيارة فيوليت ومجالستها، ولم يأبه بما قد يقوله الناس عنها ؛ لأنه لم يفكر إلا بنفسه، استغل مشاعرها ليحقق ذاته، نراه يرفض أن تقدم أخته نهلة على الفعل نفسه، فعندما رآها في حضن السمسار أبي سالم مستغلا خلوة جمعتهما في إحدى الحفلات، شعر أن الأمر يشكل حرجا كبيرا، له بل عارا له ولإخوته، فثار وهدد وتوعد[3] ولم يفكر لحظة أنه يفعل ذلك مع فيوليت، ولكنه برر ذلك من منطلق " أن نهلة في نظره فوق الكل" [4].

وترى الدارسة أن خليفة من خلال صورة مازن هذه، تلقي الضوء على ما يقوم به الرجل في المجتمع الفلسطيني خاصة، والعربي عامة، فهو يحلل لنفسه ما يحرمه على الآخرين، يرى ذاته مع المرأة المتحررة، لكنه يرفض حرية من تخصه من النساء، وهذه الازدواجية في المعاملة والتفكير باتت جزءا من نظرة المجتمع، فالرجل يحق له أن يفعل ما يريد، ومع من يريد، ولكن لا أحد يقترب من ممتلكاته، فهي ثمينة لا يمكن التفريط فيها، ومهما بلغ الرجل من العلم والثقافة، ومهما جاب

(1) ينظر : القاسم، نبيه، **مراودة النص و دراسات في الأدب الفلسطيني**، 21–20.
(2) مناصرة، حسين، **المرأة وعلاقتها بالآخر**، 57
(3) ينظر :العيلة، زكي، **المرأة في الرواية الفلسطينية 2000–1987**، 169.
(4) خليفة، سحر، **الميراث**، 135

وزار من أقطار، يبقى الرجل الشرقي شرقيا في هذه الجزئية بالذات، لا يمكن لحضارة أن تغيره، ولا لأضواء أن تنسيه قيمه التي تربى عليها، وجذوره التي تغذى من خلالها.

سعيد الحمدان رجل متزوج و له أولاد يقيم في مدينة نابلس، صاحب مصنع للسكاكر، رجل كثير الشكوى، انتهازي مستغل، فقد استغل أخته " نهله " أكثر من مرة، فقد أجاد لغة الاستعطاف والاستجداء، فهو عاشق للمال يعدل عينيه غلاوة.

"ما شاء الله ! سبحان الله ! ما كنا مناح ومبسوطين، والمصنع عال، والسوق ماشي والحال تمام، إيش غيرنا؟ نازل تشكي وتحكي وتشرح وتشرح وما ناقص غير نرجع لزمان الاسطوانة المعهودة، أختي حبيبتي. أختي نهلة محتاج قرشين. لأ يا أخي. لا تقول لي نهلة ولا هبلة، حلوا عن ديني ذبحتوني، انزلوا عن ظهري حلبتوني زي البقرة" [(1)].

وفي كثير من الأحيان يبدي سعيد مسكنة مصطنعة، ليصل إلى مراده وعن طريق إشفاق الآخرين عليه، ولكنه في حقيقة الأمر رجل منفعة يلهث وراء مصالحه، فإذا تضاربت مصالحه مع الآخرين نراه يثور ويتوعد، ليصدر انفعالات غير صادقة ويحاول إثبات مقدرته على فعل أشياء كثيرة، فحين اختلف منظوره لنهلة، وتضاربت المصالح، نراه يندفع كثور هائج محاولا اللحاق بها والنيل منها. " دفع سعيد الباب فارتطم بضجيج. وقف في الباب بضع لحظات ليتبين معالم المكان، ونظره المتأرجح بسبب الضعف وسطوع النور في الخارج جعله في وضع مهزوز. صرخت نهلة وشهقت أنا "[(2)].

وترى الدارسة أنّ ردة فعل سعيد مفتعلة وغير واقعية، فنهلة عاشت في الكويت أكثر من ربع قرن، كانت تعمل وتساعد أفراد عائلتها ماديا، كانت تعيش في الغربة وحيدة، لا رقيب ولا

---

(1) خليفة، سحر : **الميراث**، 117.

(2) **السابق**، 163.

حسيب، كان بإمكانها فعل أي شيء، فهي بعيدة عنهم لكنها تضخ لهم الأموال، فأي منطق هذا الذي يتحدث به سعيد الذي استهجن علاقتها بأبي سالم، الرجل الذي ينوي الزواج منها، وأرى أنه فعل ذلك ؛لأنها أغلقت سمعها أمام استجداءاته اللامنتهية، لهذا تضاربت مصالحه ففعل ما فعل، ويرى حسين المناصرة أن المصلحة، هي التي تجعل الرجال يهتمون بالنساء، فإذا غابت المصلحة صار من حق الرجل شكمهاوضربها وا ٍ هانتها(1).

يتابع سعيد استغلال المواقف، فيعتقد أن الرجولة لا يمتلكها أحد سواه، لذلك يحاول قتل نهلة المتمردة في زواجها " أنا ايش عملت ؟ مش هيك بدك، جابر مش هون، وكمال صاير زي الألمان، ومازن داير زيها وأكثر، وأنت صرت كبير، إذن مين ظل ؟ قل لي مين ظل ؟"(2).

إن ّ المتتبع لانفعالات سعيد السابقة، يشعر أن ّه الرجل الوحيد الباقي في عائلة أبي جابر، حامل همومها على كاهله، لكنه ليس سوى إنسان متخلف انتهازي حيث تآمر مع أولاد أبي سالم لمنع زيجة أخته من أبيهم، بل شاركهم في خطف أخته وكل هذا من أجل أن تكون له حصة في المشروع الذي حل ّ فيه محل أخيه كمال، الذي تنازل عن شراكة أبي سالم، فانتهز سعيد الفرصة مستغلا الوضع الجديد، ليصل إلى المشروع الذي سينفث الجرذان والروائح الكريهة ليس إلا.

أما كمال فهو مهندس تألق ونجح وتقدم في ألمانيا، عاش حلم العودة إلى الوطن ليرفع من شأنه،كثيراً ما كان يفكر بكلام صديقه الألماني الذي زار سوريا ومصر ووصف له حال الناس فيها " الناس هناك أحسن منا، لهم أصوات لهم أحلام وروائح، ونحن فقدنا الأصوات، مجرد ضجة مجرد آلات، وفقدنا القدرة على الأحلام وما عدنا نشتم إلا الديودورنت والكولونيا"(3)؛ ولأنه عاش في الغربة، في مجتمع أوروبي، طغت على أفكاره النزعة المادية، فهو لا يفكر بقيمة الأشياء إلا من

(1) ينظر : **المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية**، 389

(2) ينظر : **السابق**، 389.

(3) خليفة، سحر، **الميراث**، 168.

ناحية مادية، فلا قيمة معنوية للأرض عنده، ما يعنيه في الأمر كم تساوي وما مردودها، لم يعش يوما لحظات الصراع من أجل الأرض ولا المقاومة، كل ما يفكر به كيف يمكن استثمار هذه الأرض ؟ لا يعرف لغة غير لغة الأرقام، ولا يعرف إلا حل المعادلات التي تغدق عليه الربح كما اعتاد دوما.

"يا جماعة الخير كونوا واقعيين، و هذي البلد ما رح ينشلها من ورطتها غير الصناعة والتصنيع، داقين بالأرض وكأنه الأرض شيء مقدس ! هاتوا لنشوف شو بتجيب الأرض، موسم خيار ؟ موسم ملفوف وبندورة ؟ وا إلا العسل، عسل الشمال، أي هذا عسل يا جماعة الخير؟ أي هذا عسل ؟ انتو قاعدين هون في الضفة، بهالمخيم، ولا انتو شايفين، ولا حاسين ايش عم بيصير ببلاد الناس"[1].

ترى الدارسة أن مصالح كمال الانتهازية بدت واضحة منذ البداية، فقد عاد من ألمانيا " ليصطاد الهبرة ويسبق إليها حيتان السوق ؟ فعلا، طبعا، جاء ليسبق، فالوضع يبشر بالخيرات والمؤتمرات ودول المنح والمنع واللم، ويبشر بالمن والسلوى"[2].

عندما يفشل في تحقيق مصالحه الانتهازية المتمثلة في إنشاء مشروع محطة تنقية المياه العادمة في وادي الريحان، يترك المشروع ليرثه الجهلة، ليثمر محطة تنفخ الأوبئة والحشرات"[3].

وهنا تصدم مصالحه بالواقع الموجود،فلا يجد في الوطن الحلم إلا أفرادا متقاتلين ضائعين مقهورين، لا رغبة عندهم للتقدم، فيقرر كمال الانهزام والعودة إلى ألمانيا مرة أخرى ليعود إلى غربته من جديد.

(1) خليفة، سحر، **الميراث**، 121

(2) **السابق**، 119.

(3) ينظر : المناصرة، حسين، **المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية**، 338.

ترى الدارسة أن خليفة، تشير بهذا إلى أن الوطن المنشود عجز عن تقديم ما يحلم به الفلسطيني العائد، ليصطدم بواقع لم يكن في مخيلته، فبعد أن كان يحلم بالعودة يفر إلى غربته التي اعتاد عليها، فغربة الوطن أشد مرارة من الغربة في أوطان بديلة.

أما عبد الهادي بيك، فقد صورته خليفة في رواية (الميراث) صاحب المنصب السياسي والمكانة الاجتماعية المرموقة، صورته رجلا انتهازيا، فقد استغل الوضع الاجتماعي الممتاز والثراء الواضح لإغراء فيوليت، فقد اعتقد أن هذه الأمور "يمكن أن تدفع أية فتاة إلى صيد إرثه"(1)، إلا أن فيوليت لم تعط لهذه الأمور أهمية تذكر، فقد كان عبد الهادي بيك بالنسبة لها " مجرد لا شيء أو حيوان، كوعه مثل وجهه، ووجهه مثل الصرمة"(2).

ويحاول عبد الهادي إقامة علاقة سرية مع فيوليت، ولا يعلم بها أحد، فمركزه الاجتماعي لا يسمح له بمثل هذه العلاقات لهذا نراه قد عزم " أن يبقي زيارته وكل الزيارات تحت جنح الليل ولا يعلم بها أحد في الكون إلا فيوليت – وأم فيوليت"(3).

ترى الدارسة أن عبد الهادي بيك شأنه شأن الرجال جميعا – هذا ما أرادت سحر إثباته– أنهم يريدون استغلال المرأة الضعيفة، فقد بدت فيوليت بتحررها وقدرتها على التعبير عن ذاتها ومشاعرها بالغناء والعزف على الجيتار، بدت سهلة المنال يمكن لأي رجل أن يستغلها لإشباع رغباته " مش عارفة ليش بفكروني واحدة سهلة ! ايش في بيدل أني رخيصة"(4).

يسعى عبد الهادي نحو اقتحام حياة فيوليت، فيستغل قصتها نحو مازن الحمدان، ويوضح لها خطورة الموقف، حيث كانت علاقتها بمازن علاقة مكشوفة للجميع، وأخذ يشكك بوجود حب

---

(1) مناصرة حسين، **المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية**، 388.
(2) خليفة، سحر، **الميراث**، 229.
(3) **السابق**، 244.
(4) **السابق**، 244.

صادق، ضاربا على وتر حساس بالنسبة له،كي يتمكن من استغلال الموقف لصالحه، عله يصل إلى مبتغاه " غلطك حبيت على المكشوف، وغلطك تصديقك أنو الحب قصة بتدوم، الحب افتتان، الحب لحظة..... اللي بيبقى هو الرغبة، الرغبة وبس"(1).

عندما أدلى عبد الهادي بتصريحه الواضح انفجرت فيوليت، ولم يتوقع ذلك فشعر بالخوف فكأنه لم يحسب الأمر جيدا، لقد خانته توقعاته " لم يكن يعلم أن فيوليت قليلة ذوق وقليلة أدب. إذن فليهرب من الموقف قبل أن يتفاقم وتفضحه، وتقول أشياء أخرى قبيحة تنفر منها أذنه وأذن أي جنتلمان عنده أخلاق. فليهرب إذن قبل الذروة"(2).

مجيد القسّام شخصية انتهازية أخرى تصورها خليفة في روايتها (ربيع حار)، كان يحلم أن يصبح مغنيا، لم يأبه كثيرا بالوسيلة التي ستقوده إلى هذا الحلم، اصطدم مع والده عندما عرف أنه على علاقة بابنة عميل، يحبها كي يصل عبر هذا الحب إلى الحلم.

"... أنا واحد حر، ثم جاء أبوه ودخل الغرفة. ترك الدكان وجاء فجأة واتجه مباشرة حيث الشباب، وسمع الصراخ أكثر من قبل، أبوه يصيح وأخوه يصيح وسعاد تقول: بعثة روما !. انفتح الباب بارتداد عنيف وخرج أخوه وأبوه يصيح " من وراء ظهري ؟ بدر الوشمي. يا ابن الكلب، التفت مجيد وقال : أنا حر ّ وحمل الجيتار، وجاكيت الجلد وخرج من الدار"، ويلعب القدر دورا هاما في حياة مجيد.

ويتحطم الحلم عند اتهامه بقتل الوشمي ليتحول إلى مطارد من قبل الفلسطينيين والإسرائيليين على حد سواء، ويصاب في رأسه ضربة بليغة، ويتنقل وهو غائب عن الوعي بين نابلس ورام الله برفقة جدته وأخيه ونهاية المطاف تكون في المقاطعة، فهي المكان الأكثر أمنا مع

---

(1) خليفة، سحر، **الميراث**، 252– 253

(2) **السابق**، 253.

أنه رفض أن يكون هناك." اتفق الجميع على أن المكان الوحيد المناسب له هو عند الرئيس، فهناك جنود وحراسة ورجال تمريض ومطافئ، عند (أبو عمار).

فتح عينيه وأغمض عينيه وتمتم بقنوط : لأ، أبو عمار ! لكن أحدا لم يسمعه إذ كان الجميع في دوامة والراديو يصيح والتلفزيون والسيارات وقوات الأمن والسماعات تهتف وتقول: اجتياح قريب. وشباب ببنادق ورشاشات حول الدوار والمنارة ومداخل الشوارع والعمارات ومقر الرئيس "[1]، ويستفيق مجيد من غيبوبته، ويجد ضالته التي طالما بحث عنها، فاستغل الفرصة بعد أن كان يرفض وجوده داخل المقاطعة، لتكون المقاطعة نقطة التحول في حياته، "وبدأت أعد خطواتي وخطوات الساسة والقادة، وأحسب للمنصب ألف حساب. الاقتراب من القائد يعني سلطة، يعني منصب، يعني رتبة، يعني راتب،يعني وكيل لوزارة ثم وزارة "[2].

ترى الباحثة أن ّ خليفة في هذه الصورة، تؤكد أن الملتفين حول السلطة الوطنية ما هم إلا فئة انتهازية، تبحث عن مصالحها فقط، وأي شخص يمكنه أن يصل إلى الحكومة بسهولة. " فبدل الكاكي لبست البدلة، وبدل السلاح حملت العلم ألوح به وأنا أحكي وأشرح وأقول بملء الفم ديمقراطية وهموم الشعب، وا إعادة هيكلة الحكومة حتى صدقت ما أدلي به من تصريحات. وحقيقة الأمر أني ما كنت على اتصال بأي من ذاك فأنا في الحصار، في هذا الخم، محاط بفلول القناصة وحيطان المباني والسيارات مختبئ عن الأعين وا إسرائيل "[3].

والسؤال المطروح هنا هل فعلا هذا هو الواقع ؟ أم أن خليفة تحاول تضخيم الأمور بأنها مخالفة لما تؤمن وتعتقد به وتؤيده، لقد أجحفت سحر خليفة في صورتها هذه بحق الكثيرين من الشرفاء، الذين ضحوا بأمنهم وأمانهم وكانوا مطاردين ليصل الفلسطينيون إلى حلم التحرير، وحين

---

(1) خليفة، سحر، **الميراث**، 128.
(2) خليفة، سحر، **ربيع حار**، 170.
(3) **السابق**، 170.

هددوا توجهوا نحو المقاطعة ليلتفوا حول قائدهم، فهي حين تصور المكان بالخم فهي تصور الموجودين داخله بالدجاج الذي ينصاع لأمر صاحبه، لا حول له ولا قوة، متى أراد إخراجه من الخم فعل ومتى أراد حبسه داخله أمر.

وتتغير المواقف وتتغير نظرة مجيد نحو الأشياء، فقد تحول من إنسان عادي إلى شخصية لامعة، أصبح نجما من النجوم التلفزيونية كما كان يحلم، ولكن أنغامه لم تكن الموسيقا المعهودة بل كانت موسيقا من نوع آخر، موسيقا السياسة لقد فرحت لورا الوشمي المراسلة الصحفية بإحدى القنوات التلفزيونية بهذا النجاح، وكذلك جدتها التي طالما دعمته في حبه، فقد كانت تراه كابنها بدر الذي اتهم مجيد بقتله، ولكنه لما يسر بهذا التشبيه فالوشمي معروف إلا أنه لم يعد يراه قبيحا، فهو جزء من الشعب، وا إذا أردنا تطبيق العدالة التي ينادون بها، فهذا يملي عليهم الاعتراف بالوشمي وغيره لأنهم جزء من الشعب. " الوشمي ليس قبيحا. وبذلك السوء كما كنت أظن.

فأول على آخر هو ابن البلد وابن الوضع. نوري شاذ من أصل نور ؟ لكن النور ليسوا شذوذا، بل هم منا، منا وفينا "[1]، ويتفاقم الحلم عند مجيد، ويحلم بالوزارة فهو يمتلك كل مقوماتها حسب رأيه، " وبت أحلم بوزارة ؛ لأن الوزراء ليسوا أفضل، فأنا بدخولي التلفزيون حققت إنجازا على كل صعيد، فشكلي مقبول وقولي معقول، وعندي خبرة بفنون القتال أفادتني حين تدرجت، ولدي أب يشرح ويفسر كل عسير، فلماذا لا أصلح لوزارة ومعالي الوزير "[2].

السؤال المطروح هنا ما الذي تريد خليفة أن يستنتجه القارئ من هذه الصورة التي تعبر عن ضعف في الحكومة التي تختار وزواَ ها حسب هذه المعايير التي لا قيمة لها،أم أنها تريد أن

---

(1) خليفة، سحر، **ربيع حار**، 170.

(2) **السابق**، 171.

تشكك بالموجود ؟ وهل مجرد دخول إنسان عادي إلى المقاطعة يعطيه حق التمييز كما حدث مع مجيد؟؟ !.

يتابع مجيد مشواره الانتهازي،فيأخذ من لورا المراسلة الصحفية سلما آخر يتسلق من خلاله ليصل إلى القمة، ليس هذا فحسب بل أراد احتكارها يحركها كيف يشاء " مجيد يريد أن يحتكرها، أو بالأحرى يجعلها أداة من أدواته. قابلي هذا ولا تقابلي ذاك واسمعي من هذا ولا تسمعي من ذاك وهذا بلا عقل وذاك بلا فكر ولا يفهم، وأنا أفهم وأنا أعرف وأنا اشتغل من الداخل، وأنت مراقبة بعيدة ولا تعرفين بما يجري تحت الأنفاق "[1].

ونهاية المطاف يتنكر مجيد للورا، التي أحبته طالبا وخبأته مصابا، وصحبته نحو القمة عبر لقاءاتها الصحفية،لكنه أصبح يراها كأنها شيء لا يعنيه.

" رآها في الساحة بين الناس فلم يقترب. التفت للحظة ثم مشى وصعد الدرجات بين الحراس ورجال الأمن وكانت تخفق وتهمس وتقول : سيلتفت الآن، سيلتفت الآن ! إن لم يلتفت يعني نسيني وإن التفت يعني ما زال يذكرني ويذكر ما كان.وحين وصل أخر درجة التفت ببطء لومضة صغيرة، ورآها هناك تنظر إليه كالمشدوهة وهي تحملق. وعاد يلتفت بعيدا عنها ومشى خطوات إلى الداخل ثم اختفى بين الحراس"[2].

---

(1) خليفة، سحر، **ربيع حار**، 173.

(2) **السابق**، 174.

الفصل الثالث

الصورة النمطية للرجل

صورة الأب

يحتل الرجل بصفته أبا موقفا ذا خصوصية في الأسرة العربية، حيث يشغل بحكم موقعه في الصدارة إذا ما قورن بموقع المرأة في نفس الأسرة، فالأسرة العربية، بصفة عامة لا تقاوم الميول الاستقلالية لأفرادها فحسب، بل تقاوم الفردية وكل ميل إلى الفردية،الذات، والعالم الحميم، ويفسر لصفته تهديداً لتماسك الأسرة، وخروج على سطوتها، فهي تبسط نفوذها على الأجساد والعقول والعواطف، وهي تتحكم في العلاقات، وفي ذلك كله استلاب للشخصية وصد لأصالتها، وهي تضم في أحشائها، نواة نقيضها الذي لا بدّ أن يبرز يوما من خلال تفجر من خلال ما تتضمنه من إحباطات، لتوكيد الذات وتراكم العدوانية المقموعة وتوق إلى الحرية المستلبة[1].

إنّ خليفة كسائر الروائيين،جعلت للأب حيزا كبيرا في رواياتها فتناولته في كل رواياتها تقريبا،وهي بذلك تصور الواقع الذي كانت جزءا منه، متمثلا في الحياة التي عاشتها في ظل أب باتت جلّ ملامحه متسلطا، فلا علاقة إيجابية تجمع الأب بأبنائه،وهذه الصورة تكررت في معظم رواياتها، إذ أظهرت الجانب السلبي للشخصية.

أما في رواية (مذكرات امرأة غير واقعية)، فقد رصدت خليفة علاقة الفتاة بأبيها منذ الطفولة، في مجتمع الطبقة البرجوازية الذي انحدرت منه،فصورت موقف الأب من الصداقة القائمة بين ابنته الطفلة و ابن الجيران، فهو يرفض هذا النوع من الصداقات، وهو برفضه هذا يعبر عن عادات توارثها الأبناء عن آبائهم جيلا بعد جيل، فالمجتمع الفلسطيني، يحمل قيما اجتماعية متعارف عليها تنادي بالفصل التام بين الجنسين، وإذا ما تمّ اللقاء ثار الأهل على هذا وعاقبوا الفتاة،وها هي ذي عفاف تتحدث عن موقف والدها، يوم رآها تلعب لاهية تحت المطر برفقة ابن الجيران. " وفجأة ارتطمت بوجه والدها،كان قد أقفل سيارته وفتح مظلته السوداء، وهو يهرول نحو

---

(1) ينظر : حجازي مصطفى، **التخلف الاجتماعي**، 118.

الدار،نظر إلي من تحت المظلة، توقفت عن الركض والضحك، وتحت نظراته أحسست أني أقوم بعمل مشين فبدأت أنتفض من البرد. قال باقتضاب: عفاف "[1].

لم تكن صورة الأب في هذه الرواية صورة مشرقة، فقد صورت الأب المتسلط، الظالم، القامع للفتاة، فصورته متحجر القلب، متجلد القسمات، له وجه متجهم يتعامل مع أبنائه بازدواجية واضحة،فقد كان بشوشا ثم ما لبث أن تجهم لمسايرة الموقف،فهو أن يخاف يتعامل مع أبنائه بطريقة واحدة، فلا يقوى على السيطرة عليهم لاحقا. " كان أبي يحب الكيف، يبدو منشرحا وسعيدا حين يستمع إلى الغناء، وكان إحساسه ينتقل إلي تدريجيا،وكلما كبرنا تجهم وجه الوالد وأصبح أكثر تزمتا ورصانة، وصار ينهرنا حين نفتح الراديو بحثا عن أغنية عاطفية أو مقطوعة راقصة، بدأنا نكبر، وبدأ الجو يتكهرب، وبدأ الإحساس بالترقب يغزو قلوب الكبار وينتقل إلى الصغار "[2]، وقد تبدو شخصية الأب في بعض الروايات الفلسطينية شخصية طاغية متحجرة، لا تقيم وزنا لمشاعر الأبناء، لذلك نجد أن العلاقة بين الآباء وأبنائهم علاقة تنافرية لا يسودها الانسجام[3].

أما في رواية (باب الساحة) فصورت خليفة علاقة السيد وجيه بابنه حسام، علاقة فاترة لا يسودها الانسجام، فقد انقطعت سبل الاتصال بينه وبين أبنائه،فحسام لا يشعر بعلاقة حميمة مع والده، فهو يفاخر بالصبيان، لكنه لا يقدر قيمتهم، فالعلاقة قائمة على أساس من الخوف،فالجميع يخافونه من أكبرهم حتى أصغرهم،لا يشعرون برغبة في حضوره " ووجيه يفاخر بالصبيان وما كان

---

(1) خليفة، سحر، **مذكرات امرأة غير واقعية**، 129.

(2) **السابق**، 127.

(3) ينظر : أبو هدروس، محمد أيوب، **الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة الغربية وقطاع غزة 1967–1993** ، رسالة ماجستير، 86.

يحب أبناءه، أو ربما هذا ما يتوهمه حسام. كان يجمعهم كما يجمع البخيل قطع الذهب يخبأها في صندوق محكم، بعيدا عن يده وعينيه ولا يلمسها إلا حين يعد"[1].

إنّ المؤسف هنا أن الأبناء لا يتذكرون إلا سلبيات آبائهم، ولعل خليفة سلطت الأضواء على هذا الجانب؛ لأنها في حقيقة الأمر ترى هذه الصورة القائمة لأب ظلم وتجبر،فقد كان الأب صاحب هيبة، له حضوره الواضح لا يقوى أحد على كسر قواعد النظام أمامه. " كانوا إذا حضر الوالد يصطفون على الدرج مثل صغار العساكر،الكبرى فالأصغر فالأصغر، وحسام طبعا في ذيل الصف، وتقول الكبرى برهبة : " مساء الخير يابا " وينتقل الإحساس إليه"[2].

أما في روايتها (ربيع حار) فقد صورت الأب من زوايا مختلفة، ففضل القسام والد لولدين أحدهما اهتم بالموسيقا والغناء،يحلم بالسفر إلى الخارج لتحقيق طموحاته، والثاني مهووس بالرسم والتصوير، وعلى الرغم من اهتمام فضل بأبنائه فهم أغلى ما يملك، ورغم تمسكه بالثوابت إلا أنه يتخلى عنها عندما يتعلق الأمر بأبنائه،وحين يتهم مجيد بقتل عميد، يطلب منه والده أن يسلم نفسه للسلطة الفلسطينية؛ لإثبات براءته كي لا يصبح مطاردا،ويتحول إلى مشروع شهادة،حاله حال مئات المطاردين الذين طوردوا واستهدفوا، فهو بذلك يحاول الحفاظ على حياة ابنه بأي ثمن، وا ٍن كان الثمن يتناقض مع القيم والمبادئ، هل يطلب الأب من ابنه أن يسلم نفسه ويشي بالمقاتلين ؟ أي موقف هذا الذي يطلبه القسام من أبنائه؟ وكأنّ عقله فقد القدرة على التفكير،" لم يجب الرجل، لكنّه أحس بنفسه يذوب في جلده خجلا،خوفا، حيرة وارتباكا. ما عاد يفكر بشكل سليم، فقد السيطرة على أعصابه فانشل العقل وبدأ يخرف، أيريد من ابنه أن يشي بالناس وأولاد الناس "[3].

(1) خليفة، سحر، **باب الساحة**، 51.
(2) **السابق**، 51.
(3) **السابق**، 87.

فضل القسّام كسائر الفلسطينيين الذين شردوا عن أرضهم، حملوا همومهم وجابوا بها البلدان، حملوا مبادئهم وغرسوها في نفوس صغارهم، لكنّ خليفة في روايتها تتحدث عن تناقضات واضحة، فمن جهة يحارب فضل ابنه مجيد؛ لأنه عرف أنه على علاقة بابنة عميل ويتأزم الموقف بينهما ويترك مجيد المنزل، " انفتح الباب بارتداد عنيف وخرج أبوه يصيح " من ورا ظهري ؟ بدر الوشمي ؟ يا ابن الكلب، التفت مجيد وقال : أنا حر. وحمل الجيتار وجاكيت الجلد وخرج من الدار "[1]. وعندما يتهم أحمد بالتسلل إلى مستوطنة كريات شيبع يطلب الأب الرافض لعلاقة ابنه السابقة، من والد الفتاة العميل مساعدته في معرفة مصير أخيه، وترى الدارسة أن خليفة في عرضها المتناقض هذا، إنما تريد أن تسلط الأضواء على الحقبة الزمنية التي كتبت فيها هذه الرواية، حيث نرى أن الكثير من الرموز، قد تنازلوا عن آراءتمسكوا بها طويلا، وكأنّهم ينادون بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة، فالقيم يمكن أن توضع جانبا ويمكن أن يضرب بها عرض الحائط،ليصل الإنسان في النهاية إلى مبتغاه. " اتصل الوالد وقال مجيد إن المسؤول عن متابعة قضية أحمد، لن يتمكن من تحقيق أي شيء يذكر،ولن يتمكن من إنقاذ أخيه لأنه عديم الكفاية والاتصالات، ولا يعرف كيف يصول ويجول بين العملاء، والوسطاء،وقوات الجيش ؟. وأتبع ذلك بصوت يائس وقنوط شديد : وصيتك أخوك، أنت تحرك"[2].

أما في رواية (الميراث) فقد صورت الأب بصورتين متناقضتين أيضا، الأولى كانت لوالد زينة الرجل الذي هاجر تاركا وطنه وأرضه، مفضلا العيش في أمريكا والزواج من أمريكية، لينال الجنسية، صاحب شعارات رنانة حاول كثيرا إقناع العرب ترك أمريكا والعودة إلى البلاد،فأمريكا أخذت الأخضر واليابس، ولا بدّ من العودة من أجل صغارهم فهم أهمّ وضرورة العودة مهمة

(1) خليفة، سحر، **ربيع حار**، 66.
(2) **السابق**، 78.

بالنسبة لهم. " شو عم نستنى يا إخوان ؟ ما شبعنا من أمريكا وقرف أمريكا ؟ كلنا عندنا أولاد وبنات، يعني بدكم بناتكم يطلعوا فلتانات زي بنات أمريكا ؟ بدكم تحافظوا على بناتكم نظاف لطاف وتربوهم تربية محترمة، وتجوزوهم جيزة محترمة "[1].

يتخبط هذا الأب كثيرا في حياته،فهو من جهة يحاول أن يوفر لأبنائه حياة كريمة في مجتمع اقتصاده ناجح، فيستطيع أن يدخر أموالا طائلةنتيجة لتوافر فرص العمل، ومن جهة أخرى يحاول أن يحافظ على عاداته وتقاليده، ويحاول قدر الإمكان أن يبقى متمسكا بدينه في ظل مجتمع إباحي،لا رادع فيه ولا ضابط فكانت الأفكار تغزو مخيلته دوما، خوفا من تصرف ابنته كسائر بنات أميركا، فيقرر العودة ليرسم حياة ابنته حسب هواه. " أنا بدي بناتي يطلعوا عرب،خفاف نظاف زي الشمعة، يتجوزوا عرب مسلمين على سنة الله ورسوله. إن حبلوا وولدوا من مسلمين يلعن أبو أمريكا أنا راجع "[2].

وترى الدارسة أن خليفة في رواية (الميراث) أرادت عرض واقع حقيقي، فزينه تتعرض لمحاولة قتل على يد والدها؛ الذي يفقد توازنه عندما يعرف أن ابنته حامل بابن حرام،فيحاول قتلها ليمحو عارها، مع أنه يعيش في أمريكا، والقانون الأمريكي يحمي ابنته صاحبة الجنسية الأمريكية. " ثم تعقبني في الشارع وفي يده أطول سكين، وكنت في الخامسة عشرة "[3]، وينسى الآباء أنهم قدوة لأبنائهم، فعلى الرغم من أن والد زينة يحاول قتلها؛ لأنها ارتكبت معصية، لا يعي هذا الأب حجم المعاصي التي يرتكبها،فهو يحتسي الخمر في حضرتها،ضاربا بكلام الله عرض الحائط،وفي الوقت نفسه يحاول تزويج ابنته، من رجل مسلم وعلى سنة الله ورسوله. " عظيم يا بنتي عظيم، الله

---

(1) خليفة، سحر ،**الميراث**، 16.
(2) **السابق**، 17.
(3) **السابق**، 17.

يحميك من الدنيا ويسهل طريقك، ويفرشها بالنوايا الطيبة والحسنات. تعالي جنبي وخذي هالحبة، ديري بالك عالمازة[1] واوعك العرق ينكب. مالك يا بنتي؟ إيش مالك"[2].

أما أخوه – عم زينة – فهو رجل في السبعين من عمره، يعمل مزارعا في أرضه، يحب الأرض لدرجة العشق، يزرع الأشتال ويربي النحل، رجل صاحب أمراض مزمنة. " عمي ما عاد بصحته وهو مصاب بالسكري وحساسية من لقاح الزهر، يأخذ إبرا في كل ربيع ويسافر بره ليتعالج، وقد أصيب أيضا بالجلطة "[3].

الأرض عنده لا تقدر بثمن، من يبيع أرضه في نظره خائن لا يمكن أن يغفر له، نظراته ثاقبة بعيدة المدى والأمد." يعني معقول يا والدنا ترفض نبيع قطعة صغيرة، يعني دونمين أو ثلاثة، قال الوالد بعناد وغضب : ولا نص ولا نص دونم، ولا حبة تراب، ولا شتلة نعنع على الساقية "[4].

ومع هذا فقد فقدَ سيطرته على أبنائه، يشعر بالحسرة والألم، وكأنه لم يغرس فيهم حبا أو حناناً على بعضهم البعض. "وتقوم تلحقها بالسكين؟ يا ريتني مت، يا ريتني عميت، يا ريتني دفنتكم قبل هاليوم. ولادي أنا، ولاد أبو جابر، يلحقوا بعضهم بالسكاكين، صاح الولد : بس هي طخت، هي طختني نشج الوالد، على بعضكم؟! على بعضكم يا أولاد الكلب ؟ على بعضكم؟![5].

أما في رواية (صورة وأيقونة وعهد قديم) فقد صورت الأب صورة بعيدة كل البعد عن صورة الأب في المجتمع العربي الفلسطيني، ففي بداية الرواية صورته عاشقا للموسيقا، محبا للغناء، يهجر بيته وزوجته ويتزوج من أخرى عازفة للعود تصغره بعشرين سنة، " وظل يستمع لأم كلثوم. كان يحب الموسيقى ويحب الغناء ويحب السينما والتيلترو ويحب الحياة وهكذا حين وجد

---

(1) الذُقل.
(2) خليفة، سحر ،**الميراث**، 20.
(3) **السابق**، 46.
(4) **السابق**، 122.
(5) **السابق**، 123.

فرصته في جو جديد أكثر شبابا وا إثارة،رمى أمي ورمانا نحن،وتزوج من امرأة تصغره بعشرين سنة وتدق العود "[1].

صورة جديدة من صور الأب التي لم نعتد عليها،والد إبراهيم رجل رحب بالعلاقة الجنسية التي قام بها ابنه،علاقة غير مشروعة، لكنه أثنى عليه وكافأه، وكأن خليفة تعيش أحلام اليقظة حين صورت الأب بهذه الصورة. " نمت في الهوستل والهوستل طالب دولارات.صفن لحظة وقهقه، ثم سحب شهيقا وتنفس. وبدون سؤال أو تعقيب، أسرع خارجا وتركني وحيدا في الصالون، وحين عاد كان يحمل رزمة دولارات، ناولني الرزمة وابتسم يبشر :

§ وكيف الأمور ؟ تمام التمام، والله شاطر ! وأنا اللي فاكرك ما بتفهم إلا بالكتاب ! خذ يا سيدي، فرجيني شطارتك وتشطر خليك قبضاي. بكره نجوزك ونفتح لك هناك أكبر مشروع. وقهقه ثانية وقال بخبث:

§ وأنا اللي كنت ناوي أجرك لصلاة الظهر ! روح اتحمم والحقني هناك، واوعى تنسى مشروع جديد، نبني الصحرا، الحقني هناك "[2].

---

(1) خليفة، سحر، 27.

(2) **السابق**، 65.

صورة الزوج :

اهتمت الروائيات العربيات عامة، والفلسطينيات خاصة بتسليط الأضواء على صورة الزوج، والتي طالما تأثرت بعلاقة الفتاة مع أسرتها الأولى خاصة الأب، ولا سيما أن الأب يعد بمثابة الموصل الرئيس لمفاهيم الحضارة فيما يتعلق بالذكورة والأنوثة[1]، كما وأنه " مثل للواقع وللعالم الخارجي "[2]، وهو يمثل صورة المجتمع المصغرة،وهو المعلم الأول للابنة،ويذهب بعض الباحثين إلى أن أثر الأب يظهر أكثر وضوحا على الإناث منه على الذكور، وأن ذلك التأثير يصاحب الفتاة في مختلف مراحل حياتها إلى الحد الذي يؤثر على تكيفها العاطفي والشخصي فيما بعد،ويرى لونيش أن الفتيات،اللاتي استطعن تكوين علاقات عاطفية بأحد الأشخاص كن من المرتبطات بوالدهم بعلاقة قوية، بينما لم تظهر الفتيات اللائي كان ارتباطهن ضعيفا بوالدهن، أي اهتمام، بتكوين علاقة جادة مع الجنس الآخر[3].

وقد اهتمت خليفة أيضا بتسليط الأضواء على الزوج، في رواياتها فتتبعته في أكثر من مشهد وأكثر من زاوية، وقد كان تصويرها لزواجها واضحا من خلال روايتها (مذكرات امرأة غير واقعية) حيث علاقة الفتاة بأبيها فاترة، وترغم على الزواج لتتابع المأساة،حياة بلا حياة مع رجل لا تشعر تجاهه بأية مشاعر،تحاول أن تتأقلم وأن تتغلب على الأمر، لكنها لا تستطيع كانت تشعر أنها أسيرة،وأنها تعيش مع زوجها في سجن لا في منزل. " الأهل والأقارب والمعارف والجيران والزوج، والأخير يسبب لي أقسى أنواع الوحدة، فحين أكون معه أحس بروحي ترفرف بأجنحتها كطائر حبيس، وأحس بوجوده قضبان سجن "[4].

---

(1) ينظر : رمزي، ناهد، **سيكولوجية المرأة**، 104.
(2) عبد الفتاح كميليا، **سيكولوجية المرأة العاملة**، 30.
(3) ينظر : رمزي ناهد، **سيكولوجية المرأة**، 105.
(4) خليفة، سحر، **مذكرات امرأة غير واقعية**، 18.

وكثيرا ما تعاني المرأة من زوجها وسلوكه السلبي، ولا يحق لها أن تعترض فهو كرجل يحق له كل شيء،فيغازل النساء أمامها " كان يغازل النسوة أمامي ويحاول إغواءهن على مسمع مني"[1].

وفي أحيان كثيرة يقيم علاقات غير مشروعة،وهي تعرف ذلك ولا يحق لها أن تعترض."وحين شكوت همي وأساي لأمي مرة حكت لي قصصا مستفيضة عن زوجة فلان التي باغتته وهو يعتدي على الخادمة، وزوجة فلان التي ضبطته وهو يلاوط صبيا في فراشها"[2].

وحين تعي المرأة هذه الحقيقة،التي تؤيد تصرفاته وأفعاله، فالمجتمع يجد له المخرج دوما فهم يرون أن " الديك يكبس كل الدجاجات ويعود إلى بيته خفيفا نظيفا[3].

وإذا رفضت الدجاجة فعل الديك واعترضت وأعلنت العصيان، وامتنعت عن معاشرته كي لا تكون كباقي الدجاج تبدأ رحلة الشك،فالرجل في طبيعته يميل إلى الشك".بتّ أعرفه وأعرف طريقة تفكيره وهواجسه وخيالاته، كانت مخيلته تؤكد له أن امرأة ما لا يمكن أن تنفر من رجل ما دون أن يكون لديها البديل، وما هو البديل ؟ "[4].

ويحاول الزوج الهروب من واقعه الذي يحياه، فيعود إلى بيته كل ليلة مخمورا،فيضربها ويهينها، وتبدأ هلوسات السكر تظهر ولا يحق لها أن تعترض. " قال زوجي : ما رأيت أتيس من هذا الشكل، ويكرع الكأس ويتجشأ ويقول: قاعدة كالقرطل ومنظرك يسد النفس وسحنتك مثل

---

(1) خليفة، سحر، **مذكرات امرأة غير واقعية**، ، 37.
(2) **السابق**، 37.
(3) **السابق**، 37.
(4) **السابق**، 45.

الهياكل العظمية، فكيف ينام الرجل مع هيكل عظمي ؟! لكنك ما زلت على ذمتي والرسول أمرنا بكل خميس واثنين ما قولك بهذا ؟[1].

يعمد الزوج كثيرا إلى إخفاء حقائق هامة لها علاقة وثيقة بعلاقتهم مع زوجاتهم، وها هي خليفة تقع في تناقض جديد من سلسلة تناقضاتها التي انعكست في كتاباتها، فهي ترفض علاقة الزوج بأخرى أو أخريات، غير زوجته وهي نفسها تقوم بالعمل ذاته، سألته عن حاله وسألني عن حالي، انفتح وانفرش أمامي كبساط ممدود. ومشيت دونما إحساس بالذنب أو التوقع، ما كنت أرغب في شيء أكثر من التمعن والتأمل، وقلت له إني متزوجة وا ٍني غير سعيدة، وقال إنه متزوج وغير سعيد،ولم أسهب أكثر،أما هو فقد أعطاني كل ما لديه من الصداقة والذكرى وحسرة الأمنيات الضائعة"[2].

ترى الدارسة أن خليفة جسدت صورة الزوج هنا، من خلال تجربتها فلم تكن زوجة سعيدة،أو حتى على وفاق مع زوجها بل كان زواجها مدمرا " زواجي كان تعيسا مدمرا، وقد عانت منه ابنتاي كما عانيت أنا وجميع أفراد عائلتي "[3].

ويحق للزوج أن يغير مجرى الحياة كاملة، دون الاكتراث بمن حوله، فها هو زوج أمها، يتركها وحيدة مع آلامها وتعاستها بمرض ابنهما، ليذهب ليتزوج من امرأة أخرى لتنجب له ذكرا يحمل اسمه، ضاربا عرض الحائط بسنوات العمر التي كانت تجمعهما، والذريعة أن الله حلل ذلك. " لاحقتبيأ في كل مكان أتوسل إليه واسترحمه وأستعطفه كي يرحمنا، لكنّه صمّ أذنيه وتجاهل ندبي ودموعي، فقد كان عريسا سعيدا وتركني وذهب إليها، وحين لاحقته ثانية قال بوضوح " افهميها يا بنت، الله حلل. يعني بدك أموت وأنا مقطوع ؟ أي ما معناه أني وأخي المشلول،وأخواتي

---

(1) خليفة، سحر، **مذكرات امرأة غير واقعية**، 58.

(2) **السابق**، 101.

(3) خليفة، سحر، **أنا وحياتي والكلمة، أفق التحولات في الرواية العربية دراسات وشهادات**، 157.

لا نساوي شيئا؛ لأن الله حلل ذلك، ولأننا بكل بساطة لن نحمل اسمه والعيلة وننقلهما عبر التاريخ"[1].

ترصد خليفة صورة جديدة للزوج الباحث عن العاطفة،الخائن لزوجته والمسمى " عدم الحب " لا يهمه مع مـَن مِن النساء يكون، لكن ما يهمه حقا هو إشباع رغباته العاطفية، والأهم من ذلك أن يكون الأمر سرا. والزوجة هي الأمر المباح المعلن المشروع أمام الناس، وهي بذلك تصور خيانة الرجل الدائمة للمرأة، فتلك التي يحبها لا مانع لديه من الاحتفاظ بها مبتذلة معشوقة ليس إلا، لأنه حينها لن يقوى على طلاق الزوجة لصالح المحبوبة، فالزوجة حتما هي التي يشعر تجاهها بالحبّ وهذه صورة جديدة متناقضة، تظهرها خليفة " لا شك أنه ضحية مثلي، لأنه لا يقل عني تعاسة بزواجه لكنّه لا يتمرد على الوضع بل يحاول تكريسه. لماذا ؟ كيف ؟ وهل الوضع ابن يومه والأفكار ابنة ساعتها ؟ أهذه هي المرة الأولى التي يعيش فيها وضعا كهذا ؟ وسألته فلم ينكر.نعم، كان يبحث عن الحبّ ؛ لأنه كان في حاجة إليه ولا يستطيع الحياة بدونه، وهل وجدته ؟ وجدته فيك، كنت أبحث في كل امرأة عنك، كنت حلمي وأنت تعرفين ذلك. والأخريات ؟ عابرات طريق. وما الفرق بين عابرات الطريق والزوجة ؟ الزوجة تبقى وهن يذهبن، وانغرست الطعنة في أعماق القلب ولم أعلق، لكنني كنت قد عرفت تصنيفه لي، أو تصنيف الوضع لي، أو تصنيف حياة الناس. واحدة معلنة وأخرى سرية "[2].

أما في الزاوية الثانية، التي رصدت خليفة من خلالها صورة الأزواج، فكانت العلاقة المادية. فقد صورت السيد وجيه في رواية(باب الساحة) الرجل الثري الذي يمتلك الأموال، والعقارات إلا أنه بخيل حتى على أهل بيته، لا يشتري إلا أبخس الأشياء، وحرمت زوجته نزول السوق، كما

---

(1) خليفة، سحر، **مذكرات امرأة غير واقعية**، 163.
(2) **السابق**، 116.

حرمها من المصروف الشخصي، الذي تحتاج إليه كل امر أة." لكنّه حين يشتري أغراض البيت ينقي أسوأ ما في السوق، فالخيار مكعبل مثل البطاطا،والباذنجان يكاد يكون مطبوخا، والكوسا مبذر مثل القرع والفجل مخرم كالإسفنج.

أما المسكينة أم عزام فتكاد لا تمون على شيء، حتى ولا على ضمة بقدونس، فمن المعروف أنه قد حلف عليها بالطلاق ثلاثا، ألا تصل الدوار وألا تمشي في السوق التجارية والبلد القديمة "[1]، والبخل سمة تتصل بالإنسان البخيل، فلا يفرق بين نفسه والآخرين،والغريب في الأمر أن السيد وجيه كان بخيلا على زوجته وأولاده، كريما على الغرباء خاصة إذا كان الغرباء من الجنس اللطيف، فقد تردد على بيت امرأة ساقطة وقدم لها الهدايا عربون محبة وتقدير. " ورفعت سمر عينيها وتأملت الثريا الضخمة وهمست :

- مش عارفة.
- من السيد وجيه عبد القادر
- أخو الست زكية ؟
- هو بذاته.

تكوم حسام على ركبتيه فانفجر الجرح وبدأ ينزف : يا بنت الكلب، يا بنت الكلب ! قالت سمر بريبة :

- لأ مش معقول ! هذا بخيل وكل الناس تعرف بخله !
- قالت نزهة بشماته :

---

(1) خليفة، سحر، **باب الساحة**، 49.

على مرته آه،على أولاده آه،على البلد آه، بس مش علي أنا هون بالدار كان ينسى حاله بح. بح. بح " [1].

واللافت للانتباه أن هذا الزوج، الذي يقدم ثريا نفيسة هدية لإرضاء امرأة من عمر أبنائه يقسو على زوجته إذا طلبت منه شراء " جوز جرابات" وهي بذلك تريد أن تصور التناقض الذي يعيش فيه الرجل،وقد تصل عقوبة هذا الأمر الهجر والحرمان،أقله يوما وأكثره شهرين" أبو عزام الله يخليك جوز جرابات،فيرفع حاجبيه المنفوشين ويهتف عنها : " جوز جرابات؟ وين راحوا كل جراباتك ؟ فتسرع لتطيب خاطره تعيش وتجيب، فيبحلق عينيه الجاحظتين خير إن شاء الله، شو صار فيهم ؟ فتقول بخوف : " خلص دابو "[2].

أحيانا تلجا المرأة إلى الزواج من رجل يكبرها سنا، زواج تقليدي على سنة الله ورسوله، تجد فيه المرأة ملاذا لها من ويلات تحياها، لا تعرف معه معنى الحب أو الاستقرار. " يا شيخة شو هالأسئلة ؟ واحد عمره 45 سنة وقد البغل ويتجوز بنت 15سنة معقول يعرف الحب وا ٍلا يفهم ايش معنى الحب ؟"[3].

وعندما تشعر المرأة أنها متزوجة من رجل لا يفهم شيئا، ويتم الزواج بغرض السترة فقط، فقد كانت المرأة تشكل عبئا ثقيلا على العائلة،خاصة بعد وفاة الأب " وجوزك ما كان بفهم؟

– دابة ! الله وكيلك دابة ما ناقصه غير الذنب، وأنا كنت زغلولة ما فقست عنها البيضة، ياالله. الله يسامحها أمي شو بدي أقول عنها.

– أمك جوزتك ؟

(1) خليفة، سحر، **باب الساحة**، 107-106.

(2) **السابق**،50.

(3) **السابق**، 89.

– بعد ما مات أبوي وصرنا على الأرض، البيضا جوزتنا لكل من هب ودب، زورت فينا المرة وقردفتنا بقرد ودب "[1].

صورة أخرى للزوج التقليدي، الذي يهتم بشؤون عائلته تعرضها عبر روايتها (لم نعد جواري لكم)، فقد كان شكري يعمل كثيرا حتى يلبي احتياجات عائلته،رجل عاشق للموسيقا القديمة، يحتفظ بالعديد من الأسطوانات النادرة، وهو عازف أيضا،لكن معزوفاته بائسة، فزوجته ايفيت ترى في معزوفاته انعكاسا له، فهو إنسان تقليدي لا يحب التغيير ولا يبحث عن الجديد." وأحضر شكري كنزه الثمين، وهو عبارة عن صندوق مليء باسطوانات، يعود تاريخها إلى ما قبل التاريخ ! فسمعوا منيرة المهدية وأم كلثوم الصغيرة،وبعض الموشحات الأندلسية... وعندما عزف شكري أنغامه السمجة راقص بشار سهى "[2]. وتصوره زوجا ملتزما إلى حد ما يحب المرأة المتحفظة، صورته أنه مثال للرجل الشرقي لا يؤمن بتحرر المرأة الأمر الذي يزعج زوجته كثيرا.

" وقال شكري : " أنا رجل شرقي ولا أحب أمورا كهذه ! فقال فاروق بحماسة وأنا مثلك يا أخ شكري. مثلك تماما. فقال شكري مستطردا، ولا أحب العبث بالشرف والمقدسات ". [3] وتعود سحر خليفة إلى التناقض مرة أخرى كعادتها، فبعد أن تصور شكري زوجا متحفظا،لا يحب العبث تصوره زوجا متحررا، يسمح لزوجته مراقصة الرجال يضرب بالحائط أقوال الناس، ولا أجد مبررا لهذا التناقض إلا أن الكاتبة تحاول أن تصور الزوج كما يحلو لها أو كما تتمنى أن يكون " يا شيخ... ولا يهمك... دعهم يتكلمون، أتريدنا أن نعيش الكآبة خوفا من تقولاتهم ! وفاروق صديق ودود، عفيف النفس شريف المقاصد! "[4].

---

(1) خليفة، سحر، **باب الساحة**، 89.

(2) خليفة، سحر، **لم نعد جواري لكم**، 102 –103.

(3) **السابق**، 75.

(4) خليفة، سحر، **لم نعد جواري لكم**، 149.

ولوحة أخرى تحاول خليفة أن ترسمها لزوج فلسطيني، يعيش مع أسرته حياة سعيدة " أسرة يسودها الحب والتفاهم والإخلاص والتعاون، على الر غم مما تعانيه هذه الأسرة وسواها في الأسر، من ظروف بالغة القسوة نتيجة للسياسة القمعية اللاإنسانية التي تتبعها قوات الاحتلال"[1]، هذا الزوج جاءت صورته مغايرة نوعا ما للصورة التي اعتدنا عليها، فهو محب لزوجته،يشتهيها دوما وهو في سجنه " دعيني أنسى... حلمت كثيرا، حلمت، حلمت، لكني لم أحلم بلقاء أسخى وأكرم هذا الصدر وتلك العجيزة، شواطئ الأمان اليتيمة في بلد محتل "[2].

لقد عاد هذا الزوج من زنزانته إلى حضن زوجته، التف حول أبنائه،عاهد نفسه أن يعوضها عن لحظات الألم التي عاشتها بسبب غيابه وسجنه " أين الأساور يا سعدية ؟ طارت جميعها ؟ سأشتري لك غيرها، وسيأكل الأولاد كثيرا "[3].

وترى الدارسة أنّ هذه الصورة، التي جسّدت الحياة البسيطة المتواضعة، وكلمات الزوج الطيبة لزوجته ما هي إلا صورة للطيبين، المسحوقين من أبناء المجتمع الفلسطيني[4].

وهذه الطبقة كانت بعيدة كل البعد عن واقع خليفة، لهذا جاءت الصورة مبترة غير مكتملة؛ لأنها لا تعرف الكثير عن خفايا هذه الطبقة، في حين تحدثت وبعمق عن أبناء الطبقة البرجوازية التي تنتمي إليها؛ لأنها كانت تجسد الواقع الذي تحياه.

---

(1) الشامي، حسان رشاد، **الصورة في الرواية الفلسطينية،1965-1985**، رسالة دكتوراه. (41-42).
(2) خليفة، سحر، **الصبار**، 187.
(3) **السابق**، 187
(4) ينظر : الشامي، حسان رشاد، **الصورة في الرواية الفلسطينية 1965-1985**، 42.

صورة المثقف :

بداية لا بدّ أن نقف على تعريف المثقف لغة واصطلاحا،فيرى ابن منظور في لسان العرب أن المثقف، تعني السيف والرمح وهي الأشياء الجامدة، وقد استخدمت العرب عبارة ثقف الرمح بمعنى قوم اعوجاجه، والثقاف آلة يقوّم بها القواس أو الرّماح الشيء المعوج "[1].

والمضمون الذهني لمادة ثقف، يفيد الفطنة والذكاء وسرعة التعلم، فكانوا يسمون الرجل بالمثقف إذا كان فطنا ذكيا سريع الفهم[2].

كانت العرب تطلق على الرجل صفة المثقف إذا توافرت فيه صفات الذكاء والمهارة وحدة الفهم من جهة والاستقامة والتهذيب من جهة أخرى[3].

ويرى البعض أن هناك جدلا كبيرا من الباحثين،اختلفوا حول تعريف المثقف، ففي أواخر القرن التاسع عشر، برزت ردود فعل كبيرة، حول التعريف الذي مني به المثقفون، والذي اقتصر على منح هذه الصفة على النخبة المميزة،من الكتاب والعلماء وأساتذة الجامعات[4].

أما فيما يتعلق بمعيار الثقافة، فقد اختلف الباحثون حول مستوى الثقافة، التي يجب أن يحظى بها من أطلق عليه لقب مثقف، فالبعض يرى أن الشهادة العلمية والخبرة الذاتية، هي أساس المعيار، وعليه فإن المثقفين فئة من المتخصصين في تخصصات علمية، أو علوم إنسانية

---

(1) مادة ثقف

(2) الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، مادة ثقف، 121.

(3) جبر يحيى، **قدري طوقان** ، blogs.najah.edu/staff/**yahya**-jaber/**article**/**article**-61

(4) ينظر : زهران، جمال علي، **تأثير الأوضاع المجتمعية على دور المثقف العربي**، مجلة الوحدة عدد 40، 34، للعام 1988.

كالمحامين، والأطباء، والصحفيين، والأكاديميين، ومعلمي المدارس والاقتصاديين والفنيين والمهندسين[1].

لقد قسم بعضهم المثقفين من أصحاب الشهادات العلمية، إلى فئات ثلاث أولها النخبة المثقفة والتي تضم كبار الموظفين والكتاب ورجال العلم والفن، وما يميز هذه الفئة من الناس كثرة التفلسف، فالمثقف من هذه الفئة يختزل حقيقة الكون،الإنسان في صيغة محكمة مترابطة[2].

أما الفئة الثانية فهي أشباه المثقفين، وتضم هذه الفئة صغار الموظفين،والإداريين، والممرضات وهذه الفئة يقع على عاتقها نشر الثقافة الصادرة عن الفئة الأولى، وأهم ما يميز هذه الفئة أنها " مجموعة متقفة شكلا وبعيدة من حيث المضمون،عن سلوك أهل الفكر وغير قادرة على حل المسائل بشكل مستقل، وتفكر وتعمل مبدأ الحافز وردة الفعل "[3].

أما الفئة الثالثة فهي فئة المثقفين الوسط وتضم المهندسين والتقنيين، والأطباء والمتفرغين للعمل السياسي ومدرسي المعاهد والجامعات وبعض المثقفين العسكريين والمدنيين، وفي هذا الوسط يستيقظ الوعي الوطني والنضالي والميل الديمقراطي نحو المساواة والعدالة[4].

وقد طالعتنا صورة المثقف في روايات خليفة المختلفة، فجاءت الصورة من زوايا مختلفة، وأبعاد متباينة ؛لكنها بشكل عام قاتمة سلبية، ولعلنا كنا ننظر إلى المثقف نظرة وقار واحترام، لكننا عندما سلطنا الضوء على هذه الشخصية، تبين أنها سلبية، تسعى نحو الانحدار، انتهازية يحاول

---

(1) ينظر: سمارة، عادل، **مثقف ثوري أم مثقف كامبي، قضايا وشهادات الثقافة الوطنية**، قبرص 4/ 1991، 141.

(2) ينظر: نجيب، محمود زكي، **هموم المثقفين**، 12. بيروت.

(3) مكسيمنكوف، **نشأة الأنتلجنسيا الافروآسيوية**، 50.

(4) ينظر: **المثقفون والتقدم الاجتماعي**، مجموعة من الباحثين ترجمة شوكت يوسف، 27.

أصحابها، أن يتسلقوا ليصلوا إلى مرادهم، ويرى البعض أن المثقف قد يكون نتاجا لطبقة هزمت وتفككت[1].

لقد كانت غالبية الصور التي رسمتها سحر خليفة، نتاجا لهزائم متتالية أو قهر ألمّ بهم، وفي روايتها (لم نعد جواري لكم) قدمت خليفة نماذج مختلفة لمثقفين عاشوا نفس الأحداث تقريبا، عبد الرحمن الميثلوني، رجل عاش ظروفا جعلته دائم البحث والقراءة، حتى بات رجلا مثقفا يعي ما يحيط به، ينظر إلى حقائق الأشياء، ويجري مقارنة بينها، فالفنان والطبيب والعامل كل له مميزاته، التي يمتاز بها وكل له موقعه وفضله، ويأتي التأثير لكل واحد منهم حسب الذي يتعامل معه، فكل واحد منهم مبدع في مجاله مؤثر فيه، " أترين فرقا بين هذه الأصابع وأصابع أي موظف صغير في مصرف أو وزار ة ؟ أو حتى بينها وبين أصابع أي عامل كادح[2].

عبد الرحمن رجل آمن بفكر معين، وترجم هذا الإيمان إلى واقع، فقد كان صاحب فكر اشتراكي يؤمن بالمعاناة، والطبقة الكادحة المسحوقة،يحاول نصرتها، فيؤسس مع رفاق له ناديا ثقافيا في الستينات في إبان الحكم الأردني للضفة الغربية، وقد كانت الحكومة تطارد المثقفين، فلا تجمعات ولا نشاطات مسموح بها، وعوقب القائمون عليها بالسجن، ولم يسلم المكان أيضا من العقاب فقد كان يشمع بالشمع الأحمر " تتساءلين أين المثقفون في هذا البلد ؟ كنت أود لو أنك عاصرت النادي وزواره، عبد الرحمن الميثلوني كان أحد مؤسسيه. طبعا عندما اعتقل عبد الرحمن كان ذلك منذ مدة طويلة استمر النادي في القيام بنشاطه ولكن عملية التصفية كانت ما تزال على قدم وساق وبالتدريج انتقلت إدارة النادي إلى الجفر "[3].

---

(1) ينظر : سلامة، يوسف، **من الثقافة المركزية إلى الثقافة الوطنية قضايا وشهادات**، العدد 4، 371.

(2)خليفة، سحر، **لم نعد جواري لكم**، 116.

(3) **السابق**، 12.

أما في روايتها (عباد الشمس) فهي تسلط الضوء على عادل الكرمي، أحد رموزها في رواية (الصبار)، ولكنها في (الصبار) لم تسلط الضوء عليهبصفاه مثقفاً يناضل من أجل قضية، إذ كانت الشخصية في مراحل تطورها وتكوينها، فقد كان متخبطا ضائعا لا يعرف ماذا يريد؟ يترك الأرض المنتجة ليذهب إلى العمل في إسرائيل عاملاًمأجوراً ، ثم ينسف منزلهم وتنتهي أحداث الرواية لتكون نقطة التحول في حياته في رواية (عباد الشمس)، إذ نضجت معالم الشخصية فوقفنا أمام شخصية جديدة لم تعرفها من قبل.

ترى الدارسة أن خليفة عمدت إلى تصوير واقع المثقف بصورة مشوهة، فقد وصفته بالإنسان المتحرر، المتناقض مع نفسه، رجل مذبذب، مقهور، لا يعي ما يريد، كثير التخبط، ولعل هذه الصورة انتزعتها من الواقع الانهزامي، الذي كان يسيطر على المثقف في ذلك الوقت، فالمفروض أن يكون المثقف رمزا إيجابيا من الرموز البناءة، لكنها في كل الأبعاد صورته على أنه إنسان سلبي متعد لحدود الأخلاق المعهودة، وكأن الثقافة تعطيه هذه الشرعية.

" اقتربت منه والتصقت به. تصاعد الدم في وجهه واهتز قلبه، لم يعد هناك مجال للانضباط أكثر، وضع يده حول خصرها وحاول أن يشدها إليه "[(1)].

"تكمن الحرية في الصدق المطلق، حقا ؟ مفهوم رومانسي مرفوض. الحرية قد لا تصلها إلا بعد أن تمارس على نفسك أقسى أنواع الضغوط، فأين هذا من الصدق المطلق ؟ ضبطته، فهو ككل المثقفين متناقض متذبذب... يطبقون على العام ما لا يطبقونه على الخاص "[(2)].

يرى حسين المناصرة أن عادل الكرمي في رواية (عباد الشمس) كان صورة للاشتراكي الذي يوحي بالغموض والبرود العاطفي، فهو رمز للذكورة الثقافية المهزومة.وهو كأي رجل شرقي

---

(1) خليفة، سحر، **عباد الشمس**، 16.

(2) **السابق**، 17.

يشتهي المرأة ويحاول أن يشبع رغباته من خلالها، وفي الوقت نفسه يراها كسائر نساء الأرض في العالم العربي. " والرجل العربي ما زال مريضا منفصما منقسما يرغب في شيء ويطبق آخر "[1].

ويتابع مناصرة حديثه عن المثقف الذي لم تختلف نظرته، عن نظرة الرجل العادي بالنسبة للمرأة وهذه تعتبر سخرية من المثقف الذي يريد المرأة حمارة متعددة المواهب [2].

"يطالبني أن أكون رجلا، وأن أكون امرأة، وأن أكون حمارة، أن أرى ما أرى وأظل حمارة، أعد العصي ولا أترنح... وأن أكون وقودا للثورة البردانة، وأن أكون وقودا لبروده، وأن أكون وقودا لرأسه البارد "[3].

إن اللافت للانتباه أن خليفة صورت المثقفمن منظارٍ اجتماعي فهو رجل يحتسي الخمر، يعشق النساء والعلاقات الغير المشروعة، يحاول أن يتمرد على الواقع، يتناقض في طروحاته ومفاهيمه. "وصبت له كأسا رصته بالثلج وقدمته له"[4].

" أنت فاهمه أنه مازن دايخ فيها، دايخ فيها، هناك بيروح يسكر ويخمر ويأكل ويتنيز عالآخر. هناك بيروح مثل السلطان. بيقعد ع الصوفا ويتمدد ويسمع فيروز وأم كلثوم وهي بتغني له على الأطلال، أي أطلال ؟ أي بيروت ؟ عامل حاله رجال كبير وبيحكي كلام كله ألغاز " [5].

المثقف في هذه الرواية كغيره من الناس الذين يعيشون حالة تمزق وتبعثر وا ٍحباط وخيبة أمل، فمازن مثلا صورته نموذجا مهزوما يعاني غياب الهدف على الصعيدين، الفردي والشخصي

---

(1) خليفة، سحر، **عباد الشمس**، 19.
(2) ينظر : مناصرة، **حسين، المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية**، 337.
(3) خليفة، سحر، **عباد الشمس**، 120.
(4) **السابق**، 133.
(5) خليفة، سحر، **الميراث**، 69-70.

والعام و الوطني[1]، فهو كغيره ضحية لحظة تاريخية، أدت إلى انهيار سياسي واقتصادي واجتماعي وانهيار نفسي أيضا.

" مازن تعبان ومتعب الناس من همومه، مازن داير من دار لدار ومن بنت لبنت وبين الأصحاب والقهاوي، لما كان يحكي سياسة قلنا آمين. طيب وبعدين ؟ وبعد السيارة ووجع الراس ايش ناوي يعمل بحياته؟ لا عنده شغل ولا وظيفة ولا مرة ولا ولاد ولا سيارة"[2].

يرى عبد الغني مصطفى،أن المثقف العربي أيا كان شعوره أو موقفه يحمل في النهاية حسا غالبا على خطابه، وهو الإحساس بالقصور، بالسلبية، بواقع أبوي لا يستطيع فعل أي شيء في مواجهته سواء أكان عسكريا أو عشائريا، إنه المثقف العربي المغلوب على أمره[3].

عمدت خليفة في رواياتها المختلفة، إلى بث الفكر السياسي الذي تحمله بتسليط الأضواء على فكر رموز رواياتها، فصورت بعضهم فئة مثقفة تنتمي للمعسكر اليساري الرافض للاضطهاد، فهم بالساحة منذ بداية النضال، عانوا ولا يزالون يعانون، فقد احتوت جدران السجن عبد الرحمن الميثلوني الفنان المثقف، الذي اعتقل بسبب فكره السياسي، وما يبثه من أفكار وطروحات بين الناس، ويعاد اعتقاله للسبب نفسه، مع تسليط الأضواء على ما يلحق بالمثقف من إهانات وسوء معاملة داخل السجون العربية، بحجة زعزعة الأمن، ومع هذا يبقى المعتقل صامدا متمسكا برأيه غير آبه بما سيحدث.

"وفي الليل نام في السجن مع اللصوص وقطاع الطرق، وفي الصباح اقتيد إلى عمان، وابتدأ التحقيق معه حول موت الطفلة، ثم انتهى بالتحقيق في تهم لا أول لها ولا آخر، فهو متآمر، وخطير، ويهدد أمن وسلامة العرش والدولة! وهو عميل للشيوعية، كما أنه مجرم سياسي، ودجال

---

(1) ينظر : الماضي، شكري، **الرواية العربية في فلسطين والأردن في القرن العشرين**، 87.

(2) خليفة، سحر، **الميراث**، 92.

(3) ينظر : **نقد الذات في الرواية الفلسطينية**، 58

وطني !... وفي الليلة التالية، أُركب في سيارة مغلقة الجوانب وأخذ إلى معسكر مجهول في الصحراء، حيث أجلس في غرفة ضيقة لساعات طويلة، يجيب عن أسئلة المحققين، وبعد التحقيق اقتيد إلى زنزانة مظلمة، حيث قدمت له وجبة من الخبز والماء ونام على الأرض بدون غطاء "[1].

أحيانا تظهر خليفة متناقضة في تصوير المثقف في رواياتها، فقد تحدثت عن صيدلاني يدعى " بشار " محب للمطالعة، يقتني ما هو جديد من الكتب، صديق مقرب لنسرين، والذي يتردد على المكتبة لرؤيتها. " شاب مثقف يكثر من التردد على المكتبة، بقصد شراء الكتب الحديثة، وبقصد آخر هو أن في المكتبة شابة حسناء تدعى نسرين " كان النادي الثقافي فرصة لا تعوض. كنا نجد مكانا نناقش فيه الآراء والكتب، شيء غريب ! حتى الثقافة ممنوعة في هذه البلاد " [2].

إنّ المثقف في نظرها رجل صاحب تجارب غير مشروعة، وكأن الثقافة لا تكتمل دون هذا، وفي روايتها (لم نعد جواري لكم) يتعرف بشار على فتاة تدعى سهى، فتاة متحررة، أحبها وأحبته وطارحته الفراش دون زواج،وحين عرض عليها الزواج ترفض الأمر. وترى الباحثة أن الأمر فيه تناقض بالغ،فالمعروف في مجتمعنا العربي أن الرجل وا ٍن كان على درجة عالية من الانفتاح والتحرر، يرفض الزواج من فتاة تقدم نفسها هبة دون وجه شرعي، فكيف ترفض سهى هذا الزواج ؟ وكيف يصر بشار ابن العائلة المحترمة المثقف، المتعلم على هذا.

" اعتقد بشار للحظات أنه امتلكها بكل ما فيها من حواس وأفكار ومواهب، ولكنه أفاق بعد أيام، ليجدها تقول له وهي تنظر في وجهه : " نعم يا عزيزي... أحبك ولكنني لم أتزوجك !"... وصاح في وجهها : " أمجنونة أنت ؟ " ولم تجب، بل قالت بهدوء : " لقد أفهمتك منذ البداية أني لن أتزوجك ! فأمسك بذراعها يهزها! " وذاك الحب ؟ وذاك العنف ؟ وذاك الالتحام ؟. قالت بشرود:

---

(1) خليفة، سحر، **لم نعد جواري لكم**، 177.

(2) **السابق**، 17.

" تجارب يا عزيزي " وأصابه ذهول كاد يفقده عقله، " ومن ستتزوجين إذن ؟ قالت بابتسامة غريبة: " الفن " !، فصفق الباب وتركها في غرفة الفندق ومضى "[1].

صورة أخرى لمثقف انتهازي يستغل الثقافة، ليصل إلى مآربه إنه "فاروق" في روايتها **(لم نعد جواري لكم)** إذ يبدو ظاهرا أنه رجل أخلاق ومبادئ،يطلق شعارات ينحني لها الجميع إكبارا، فنراه يناقض أمورا كثيرة، يحاربها ثم يفعل الفعل نفسه، أي نوع من الرجال هذا؟ صورة مخزية لرجل يدعي التحضر والثقافة،يهاجم تردد الشباب من أبناء الطبقات الفقيرة والمتوسطة على النوادي، مدعيا أنهم يأتون لتصيد الفتيات، لا لهدف ثقافي، فهم سوقيون ولا معنى للثقافة عندهم، وهو بهذا يعر ّي نفسه أمام أطماعه باصطياد امرأة تشبع رغباته، فيشعر أنهم يعرفون حكايته وأنهم يتحدثون عنه بطريقة أو بأخرى. " أقصد أن هناك بعض الشباب لا يأتون لمثل هذه النوادي إلا لأسباب معروفة،وهي تصيّد الفتيات والتمحك بهن ! "... فقالت سميرة وهي ترقبه بنظرة ساخرة : " والمثقفون،ألا يفعلون هذا وبطريقتهم المتو اضعة في الغمز واللمز وترقيص الحواجب، لا يلامون ! وانطلقت قهقهة طويلة من الجميع، فواصلت سميرة. " يظل الشاب الذي تسميه سوقيا خجولا قليل الثقة بنفسه، متواضعا، ترضيه نظرة، ترضيه كلمة، أما أصدقاؤنا المثقفون، فلا أظن أن احتياجاتهم تتوقف عند هذا الحد ! فعلقت نسرين بخبث : " وقد يكونون من صنف لا يميل إلى العفة ! " فاحمرت أذنا فاروق، ولكنه واصل بمزيد من الحذر، ولكنهم لن يرضوا حتى ولو فتحنا الباب على مصراعيه وقلنا لهم " هاكم محاضرة فرويد مثلا " فلن يأتي أحد"[2].

---

(1) خليفة، سحر، **لم نعد جواري لكم**، 53-52.

(2) **السابق**، 65.

يرى البعض أن للمثقف دورا قياديا، يتمثل في المشاركة المباشرة في الحياة العملية وبنائها وتنظيمها، وعليه أن يحول الكلام إلى أفعال، والنظريات إلى حقائق ممارسة وتغليب المصلحة العامة على الخاصة[1].

أسامة الكرمي مثقف ترجم ما يؤمن به واقعا، شاب كان يعيش في الخارج، انضم للعمل الثوري وعاد إلى فلسطين المحتلة ليطبق ما يؤمن به، صورته شابا متحمسا، خلوقا، لا يحتسي الخمر ولا يبحث عن إشباع رغباته مع الإناث، همه الأكبر تحرير الإنسان مما يحتل نفسه أولا " ماذا يفعل الشباب أمثالك لمواجهة ما في الداخل ؟

- ما فعلتموه لمواجهة الخارج.
- توقف أسامة عن المشي وأخذ يحملق في وجه ابن خاله المحروق بأشعة الشمس وكانت نظراتهما زائفة، مليئة بالدهشة والاستغراب " [2].
- يجابه أسامه عادل المثقف والذي اعتبر خروجه من البلد هروبا لا يخدم القضية، ويحاول أسامة أن يقنعه بالموقف الحالي والمتغيرات، لكن عادل لا يريد أن يسمع. " لا أصدق. لن أصدق بأنك نسيت البلد والاحتلال.
- أنا لم أنس البلد بدليل أني لم أتركها، أحس أسامة بالطعنة تخترق صدره.
- أنا لم أترك البلد إلا لفترة قصيرة، وها أنا أعود كما ترى، لو كنت نسيتها ما رجعت.
- ابتسم عادل وألقى قنبلة جديدة : – سمعت من العمة أنهم طردوك من هناك. أصحيح هذا؟
- توقف أسامة وضرب صدره بقبضته
- تقصد لولا أنهم طردوني من هناك ما عدت هنا، أليس كذلك ؟[3].

---

(1) ينظر: ابن عبد الحي، محمد، **المثقف المنزل والدور**، مجلة المعرفة ع 347، 173، 1992.

(2) خليفة، سحر، **الصبار**، 23.

(3) **السابق**، 107.

إنّ اللافت للانتباه أن أسامه يخبر " عادل " بأوامر نسف حافلات (ايجيد) وهو مغيب، فقد شرب خمرا وأخذ يترنح، ومع هذا أخبره أسامة بالأوامر! هل بإمكان مسؤول كأسامة، أن يصرح بهذا الأمر الخطير لشخص شبه فاقد للوعي؟ سؤال يحتاج إلى وقفة وا إلى إجابة؟ "خرج عادل يترنح، والأرض تميد، وعدما تميد الأرض من تحتك فكل شيء على ظهر الكرة يموج. خذ جرعة. هذي القنينة جنية،اشرب وانس. انس أحزانك يا متعب. واشرب، اشرب نخب الوالد. والكلية وأنابيب الدم. وضحايا تنقلها الجرافات. وأصابع أبو صابر يبترها حز المنشار. اشرب وانس. تلك الملعونة لا ترحم. تنتف وبرك. توقف شعرك. والآلة وأنا بين الدم.

- أوامر بنسف الباصات.

- من ينسفها ؟ أنت ؟ ومرثية خروف العيد من نظمها ؟ حبر على ورق يا أساطين العدالة في العواصم، احكموا وحاكموا. شحادة في قفص الاتهام والتهمة تدخين الغليون " [(1)].

- إن هذا المثقف يترجم الأقوال لتصبح أفعالا، فيقتل ضابطا إسرائيليا طعنا بالسكين وسط مدينة نابلس. " قفز شاب ملثم الرأس بكوفية بيضاء ورفع يده اللامعة كالبرق وهوى بها على مؤخرة رأس الضابط، فغاص الخنجر في العنق حتى النصاب " [(2)].

- ثم يختبئ للتخلص مما يثبت إدانته، لكنه يشعر أنه عانق السماء بفعلتة " اختبأ أسامة في زاوية معتمة من الشارع. انتزع الكوفية عن رأسه ألقى بها على الأرض. التفت يمنة ويسرة. انطلق بين الجموع المتدافعة أحس بالأنظار تنهش وجهه " [(3)].

---

(1) خليفة، سحر، **الصبار**، 109-108.

(2) **السابق**، 171.

(3) **السابق**، 174.

–وأخيرا ينفذ الأمر الأول الذي طلب منه وهو نسف حافلات إيجيد الإسرائيلية وقد سطر في هذه المعركة التي قادها أسمى معاني النضال، فقد كان مؤمنا بما يحمله من مبادئ فحول الكلمات إلى أفعال أبقته خالدا في الذاكرة، فهو رمز من رموز النضال دون شك.

– "... فتهاوى أسامة على الأرض مبقور البطن واندلقت أمعاؤه فوق الأرض مد يده. تلمس التراب الممزوج بالدم والدموع،الأرض،الدم،الشعر ،وأحلام الهوى وفي القرية، تصدح الشبابة مذكرة بأعراس لم تولد بعد،وفي القلب نزعة نحو الجنوح والجنون والمناديل الملونة والأيدي المتكاتفة.

والأقدام تضرب الأرض،فتطير الروح في سابع سما. أمي... نوار... والدموع تحجب الرؤية، والمنظمات مصابة بعدم وضوح في الرؤية "[1].

صورة أخرى لمثقف سجين يقبع في سجون الاحتلال،رجل يدعي أنه المسؤول عن السجناء بحكم ثقافته ومعرفته، فهو المسؤول عن التحقيق داخل السجن، يصدر الأوامر ولا أحد يعترضه " وعادل يتربع على قمة الغرفة رقم 23 ويدعي بأنه ضمير الثورة، لكنه بارد القلب يا عالم! ويا خوفي أن يصبح كبقية الحكام، هو يؤمن ونحن ننفذويعيد التاريخ نفسه متخذا أسماء حسنى برّاقة. ديمقراطية،اشتراكية، بروليتارية،ثم يرفع ستالين مِنجله ويحصد رقاب الملايين والجماهير تهتف"[2].

إنّ عادل يحاول بث فكره في المعتقلين فيطبق عليهم مفاهيم الأنظمة، التي يؤمن بها كالاشتراكية التي يحاول ترجمتها في كل الأمور. " ولكنك تعرف أحكام الغرفة. عادل يأخذ كل شيء ويوزعه على الجميع لقمة لقمة. علق عادل بجدية :

– مثلما وزعت عليك حصصا من طعام غيرك. هذه هي الاشتراكية، لكن أبو سالم كتف زهدي وهمس :

---

(1) خليفة، سحر، **الصبار**، 196–197.

(2) **السابق**، 148.

يلاحقنا بالاشتراكية والرأسمالية حتى في أكل المسخن "[1].

أما في (عباد الشمس) فقد صورت خليفة المثقف الغيور على لغته العربية، فجاءت صورة الأستاذ بديع المدقق اللغوي في إحدى المجلات الصادرة في مدينة القدس، رجلا متقدما في السن، له نظرة ثاقبة، يتنبه إلى خطورة دمج اللغتين العربية والعبرية في الكتابة الأدبية، لما سيعود سلبا على اللغة العربية " إني يا سادة لأرتجف غيظا وقهرا، كلما سمعت كلمة عبرية في الشارع الفلسطيني، ينطق بها فرد فلسطيني، أتعرفون أن مفردات لغتهم بدأت تغزو شوارعنا ؟ حتى أدباءنا يا سادة باتوا يستخدمون بعض الألفاظ العبرية،وا ٍذا سألت أحدهم عن السبب قال " كي أدمج القارئ في الجو والمُ ناخ " أي جو وأي مُ ناخ ؟ هل عجزت لغتنا عن استنباط المفردات والمصطلحات اللازمة لتعبئة الجو والمناخ الأدبي ؟ "[2].

يعيش المثقف غالبا حالة اغتراب سياسي، متمثلة في عدم رضا ورفض للأوضاع السياسية، والعلاقات القائمة بين المواطن والدولة التي يعيش فيها[3].

وتدين خليفة المثقفين في رواية (عباد الشمس)؛ لأنهم ابتعدوا عن العمل الحقيقي،بل انطلقوا خلف شعارات وهمية ساقتهم إلى الانغماس في النزاعات الفردية، وجدلهم الثقافي الذي لا طائل من ورائه وبهذا ترى الدارسة أنهم ابتعدوا عن الجماهير، وقل تأثيرهم مع أنهم فئة لها دورها وكلماتها المؤثرة في الناس[4].

"شلل المثقفين تجتمع لتشرب وتناقش وتتعذب، يدخلون السجن ويخرجون منه، يتبادلون التهم والشتائم ويثيرون الأقاويل والرأي العام، يقولون مالا يقال،يناهضون الاحتلال والسلطات

---

(1) خليفة، سحر، **الصبار**، 151–152.

(2) خليفة، سحر، **عباد الشمس**، 165.

(3) ينظر : بركات، حليم، **الاغتراب والثورة في الحياة العربية**، 25.

(4) ينظر : القاضي ايمان، **البطل في الرواية الفلسطينية**، 262.

والسلطة في كل مكان، ينشرون الأمان ويهربون منه،وحين يجتمعون يزدادون فرقة ويتفرقون فيشتد الظلام "[1].

يقع المثقفون في تناقضات ونقاشات جدلية، وهنا يختفي الهدف الرئيس، أمام المصالح الشخصية، فكل واحد منهم يحاول أن يأخذ حصة الأسد من الاهتمامات المادية والمعنوية، فعادل الكرمي يختلف مع زميله سالم، وكل واحد منهما له وجهة نظره التي يؤمن بها، والتي يحاول أن يفرضها على الآخرين، فعادل يؤمن بالتكتيك وينظر إلى تقارب العرب، واليساريين الإسرائيليين على أنه أمر مفروغ منه لا بدّ من حدوثه " عرضت المشروع على بعض أفراد الهيئة، بعضهم اعتبر المشروع مزحة، وبعضهم اعتبره تنازلا قوميا، وبعضهم شجع المشروع بدون تحفظ،لا بد من إنجاز المشروع والوصول للطرف الآخر ضرورة تحتمها الأحداث. والشارع الإسرائيلي لن يفهمنا ونحن بعيدو ن عنه"[2].

أما سالم فقد صورته خليفة، رجلا يساريا متطرفا يؤمن بالثورات الجماهيرية من المحيط إلى الخليج" ويرى الذين يؤمنون بالمرحليات خونة انهزاميين"[3].

"لا جنيف ولا دولة مسخ، ولا تسوية أيا كان نوعها، التحرير الكامل من الأردن وحتى المتوسط من المحيط إلى الخليج.

- والثورة، تصمد ؟
- قطعا إذا كانت بمستوى الجماهير العربية. على عاتقها تقع مهمة التنوير.
- يبدأ المرء بنفسه، تثور نفسها، وشعبها أولا، ولا بد من الأرضية الصالحة.

لن تجنى الشهد من نحل لا تجمعه خلية، ابن الخلية أولا. القاعدة أولا.

---

(1) خليفة، سحر، **عباد الشمس**، 109.

(2) **السابق**، 131.

(3) ينظر : القاضي ايمان، **البطل في الرواية الفلسطينية**، 262.

§ تنوير الجماهير من المحيط إلى الخليج " [1].

§ ترصد خليفة صورة لمدقق لغوي في مجلة البلد المقدسية، رجل متقدم في السن، يتغنى بأمجاد الماضي ويتحدث عن عظمة اللغة العربية، لا يؤيد إصدار ملحق بلغتين، خاصة وأن العربية والعبرية لغتان ساميتان تكتبان من اليمين إلى اليسار، وهذا سيضع المجلة في مأزق حقيقي. " تتحنح الأستاذ بديع وتفضل : كما يعرف الجميع فاللغتان العربية والعبرية هما لغتان ساميتان. وللغات السامية ملامح متشابهة من حيث الألفاظ،ومن حيث القواعد، فمثلا في اللغة العبرية والعربية الكثير من الألفاظ المتشابهة مثل كلمات أذن، عين، رجل، سلام، أنا، وأنت، وأنتم وغيرها، كذلك فإن التشابه في طريقة الكتابة، والكتابة في العربية تبدأ من اليمين إلى اليسار كذلك اللغة العبرية تبدأ من اليمين إلى اليسار. والسؤال الهام، هو وفتح الجميع أذانهم باهتمام وتأملهم الأستاذ بديع وهو يهز رأسه بخطورة،ويتفحصهم فردا فردا. السؤال الهام هو : إذا وافقنا على مشروع عادل، وبدأنا بإصدار الملحق،فبأي اللغتين نبدأ وكلمتاهما تبدآن من اليمين إلى اليسار ؟ نبدأ بالعربية أم بالعبرية "[2].

ترى الدارسة أن خليفة من خلال حديثها عن هذه الصورة، تُلمح إلى تمسك هذه الفئة من الناس بتوافه الأمور، لتجعلها النقطة المركزية لرفض أمور كثيرة، شأنها أن تغير الواقع الذي يحياه الإنسان الفلسطيني، من مثل محاولة الانفتاح الثقافي على الجانب الإسرائيلي ببث حقائق من شأنها أن تزيد فئة المتعاطفين،مع القضية الفلسطينية بدلا من تزايد عدد المتعنصرين،الذين يسعون جاهدين لإخراج من تبقى من الفلسطينيين، لتخلو الأرض من أهلها وتتحقق كامل أهدافهم.

أما رئيس التحرير، الأستاذ عطا الله فقد صورته إنسانا يحاول أن يمسك كافة الخيوط كي يكون مسيطرا، ولكن بطريقة لينة،رجل دبلوماسي يرضي جميع الأطراف " هو ما زال المدير الكفّ الذي يتمكن من فضّ الخلافات بين الأطراف حين تتأزم الأمور. وحين تهتز ميزانية المجلة، فيدعمها

---

(1) خليفة، سحر، **عباد الشمس**، 127.

(2) **السابق**، 173.

برأس المال من الداخل والخارج،و الذي استطاع رغم كل الظروف،وكل التيارات الحفاظ على خط المجلة الديمقراطي "[1].

وترى الدارسة أنّ هذه الصورة لرئيس تحرير، يحاول أن يحافظ على منصبه الذي تربع عليه، فهو يخاف أن يصدر ملحقا بلغتين لأسباب تافهة، يخاف من لقاء إسرائيليين علنا مع أنه التفاهم سرا، هذا الموقف المتضارب في شخصية الأستاذ عطا الله إنما يعكس صورا لأناس عاشوا الواقع نفسه، وعكسوا الصورة نفسها، في الباطن يفعلون شيئا وفي العلن يفعلون أشياء أخرى، ولعلها بهذا تلمح إلى القيادة الفلسطينية، الرافضة في تلك الفترة لمشاريع معينة المؤيدة والداعمة في الخفاء لمشاريع مماثلة. " هذا الموقف لم نتوقعة والمسؤول عنه كما يعرف الجميع، عادل فلتشهد الهيئة وليشهد الله، ولتشهد الصحافة العربية كلها أني بريء من هذا الـ... ولم يعرف كيف يكمل جملته، فعاد يردد وهو يطفئ سيجارته في الورقة المدعوكة، إني بريء من هذا " [2].

---

(1) خليفة، سحر، **عباد الشمس**، 172.

(2) **السابق**، 243.

صورة الأخ :

تبدو صورة الأخ في الرواية النسوية هامشية، بمعنى ندرة وجودها بصفتها شخصية رئيسة في النصوص الروائية، ونتيجة لذلك فهي صورة ضعيفة التأثير على شخصية البطلة الأخت وربما يعود ذلك إلى مركزية دور الأب والزوج، في حياة المرأة ويليها في الاهتمام وجود الابن ثم الأخ[1].

أما في رواية (الميراث) فقد رصدت خليفة صورة الرجل الأخ فجاءت الصورة قاتمة، لا حنان فيها، مليئة بالقسوة خاصة الأخ الأكبر،فالقسوة في الأخ الأكبر سمة لازمة لشخصية الأخ، لا تتغير بتغير موقف الكاتبة[2]، وعلى الرغم من أن " سعيد " الأخ الأكبر لنهلة إلا أنه كان دائم الاعتماد عليها ماديا، يستجدي ويستعطف، دائم التشكي، ودائم الطلب من نهلة، لا يكل ولا يمل " أختي حبيبتي، أختي نهلة محتاج قرشين "[3].

ولزوم عبارة حبيبتي التي كان يبدأ حديثه بها عندما تتضارب مصالحه، حيث يتحول إلى ثور هائج، يتصرف دون إنسانية " دفع سعيد الباب فارتطم بضجيج. وقف في الباب بضع لحظات ليتبين معالم المكان ونظره المتأرجح بسبب الضعف وسطوع النور في الخارج، جعله في وضع مهزوز. صرخت نهلة وشهقت أنا "[4].

أما سوسن ناجي فترى أن الأخ حين يشك في خطيئة أخته مع رجل غريب، فإنه لا يتورع عن محاولة التخلص منها [5]، بدي أدبحها وبتشوفي، واندفع نحو أحد الجوارير وبدأ ينعف ما فيه

(1) ينظر : ناجي، سوسن، **صورة الرجل في القصص النسائي**، 269.
(2) **السابق**، 270.
(3) خليفة، سحر، **الميراث**، 117.
(4) **السابق**، 163.
(5) **صورة الرجل في القصص النسائي**، 270.

ويرمي المحتويات على الأرض حتى وجد أكبر سكينة، فأمسكها بيده وقال وهو يلوح بها كما لو كان يجربها : بهذي، بهذي، شايفة هذي ؟ شو مفكرة حالها بدون رجال "[1].

أما كمال فقد كانت علاقته بنهلة علاقة فاترة أيضا، رغم أنه كان مسافرا إلا أن الجدار الجليدي بينه وبين نهلة لا زال قائما " لكن أخاها المهندس لا يبدو سعيدا لرؤيتها، فماذا دهاه ؟ هل عرف بقصتها مع السمسار ؟ هل علم بحصولها على تعويض، وجاء ليقول كما قال سعيد وكما قالوا دوما طول العمر : أختي حبيبتي محتاج قرشين " [2].

ترى الدارسة أن العلاقة بين الأخ وأخته، علاقة تعكس نظرة المجتمع للأخ الذكر، فهو المفضل عند العائلة، ويحصل على ما يريد ويفعل ما يريد، دون أن يعترض عليه أحد، فمازن مثلا سمح لنفسه أن يزور فيوليت في منزلها، ويقيم علاقة معها، في حين يرفض ويستهجن العلاقة القائمة بين السمسار ونهلة. " وفجأة انفتح باب الممر ورأى مازن ذاك المشهد، وبدون تفكير أو تقدير للنتائج، امتدت يده إلى السمسار ونزعته عن مقفى أخته، وبحركة خبيثة ذات تأثير، لف السمسار على نفسه ضربه ضربة أطاحت به مثل الكرة، وسط الحفلة، وأمام الناس المدعوين" [3].

رغم القسوة إلا أنهم لا زالوا يتمتعون بإنسانية بحتة، فها هي نهلة تتعرض للاختطاف من أبناء السمسار، فنجد إخوتها قد التفوا حولها دعما لها. " سعيد كان هون جاي عشانك، أوعى تفكري، كلنا معاك "[4].

---

(1) خليفة، سحر، **الميراث**، 163.
(2) **السابق**، 119.
(3) **السابق**، 151.
(4) **السابق**، 195.

أما كمال فإنه يشعر بالألم فيبكي وتفاجأ نهلة بدموعه، التي لم تتوقعها. " أنت بتبكي؟ معقول يا كمال أنت بتبكي! عمري ما حلمت ولا تخيلت رح ييجي يوم وأشوفك فيه إنت يا كمال أنت بالذات و أنت تبكي "[1].

يئس سعيد مما دار بينه وبين نهلة من صدامات سابقة، فالدم لا يصبح ماء، فهي دمه ولهذا فقد وضع الخلافات جانبا وفكر فقط في أخته التي لم تصدق ما سمعت " معقول يا سعيد بيبجي عشاني، أنت تبكي ؟

§ وليش مش معقول ؟
§ بس يعني سعيد، وأنا وسعيد يوم ما لحقني، مش متذكر ؟ "[2].

تقع الكاتبة في تناقضات عدة في أثناء تصويرها للأخ في رواية الميراث، فمرة تصوره قاسيا عديم الإحساس،ثم تصوره متعاطفا مع أخته وأحيانا أخرى تصوره منفعلا " نظر سعيد إلى نهلة،وكانت المرة الأولى التي يراها فيها بعد الرصاصة في كتفه، وأحس ّ بمزيج من الانفعالات، فهي أخته، وهي من دافع عنها أمام الله،وأمام الجميع قبل أيام،وهي من خاض الأخطار لينقذها، ولو لا ستر الله ورحمته لكان الآن مشبوحا في هذا المكان أو غيره من أجل عمل لا يرضى عنه،وأحس ّ بقرف واشمئزاز. وبشيء من الحقد والتشفي "[3].

ترى الدارسة أن خليفة صورت " سعيدا " أخا تحمل العبء بمفرده كأن المسؤولية ألقيت على عاتقه مع أنه كان عالة على نهلة،يطلب منها الأموال مستغلا بين الحين والآخر. " أنا إيش

---

(1) خليفة، سحر، **الميراث**، 195.
(2) **السابق**، 197.
(3) **السابق**، 208.

عملت ؟ مش هيك بدك ؟ جابر مش هون،وكمال صاير زي الألمان،ومازن داير زيها وأكثر،وأنت صرت كبير إذن مين ظل ؟ قولي مين ظل ؟ "[1].

"ومع امتداد الزمن وتطور الحياة وتفتح الوعي،تأخذ العلاقة الأخوية طابعا أكثر ديمقراطية وتحررا "[2]، ففي روايتها (الصبار) ترصد صورة الأخ وعلاقته بأخته، هذه العلاقة التي تطورت في ظل بيئة غير متطورة، وسبب ذلك يرجع إلى المفاهيم الثورية، التي تبناها الأخ في هذه الرواية، وحين يحاول والد عادل إرغام ابنته نوار على الزواج من الدكتور عزت، وهي رافضة لهذا الزواج ؛ لأنها على علاقة بسجين يدعى " صالح " نرى أن عادل وباسل يدعمان موقفهما بكل صراحة." دع الفتاة تدافع عن حقها في الحياة، دعها تتعلم كيف تجابه الأمور بحزم "[3].

ترى الدارسة أن خليفة بالغت في تصوير التعاطف الأخوي القائم بين عادل وباسل من جهةونو ّار من جهة أخرى، فعادل الذي صورته في الصبار عاجزا عن الوقوف في وجه أبيه في أمور مصيرية تخصهبصفته رجلاً ،يقف داعما مؤيدا لحقوق المرأة مظهرا احترامه الكبير لأخته بل لسائر النساء، فعلى المرأة أن تدافع عن حقوقها في الحياة، فهذا الموقف إنما يعكس حلم الكاتبة، في تحول النظرة إلى المرأة من سلبية إلى إيجابية، ورؤية الدعم لهذا الإنسان الذي عانى كثيرا خاصة وأن الفكر الاشتراكي قد غزا عقول المثقفين الشباب في ذلك الوقت، لهذا فهي تعكس هذا التأثر الذي تراه الدارسة مبالغا فيه " أرجو أن تدافع الفتاة عن كرامتهاوا ٕذا لم تفعل فهي لا تستحق الكرامة، ولتدخل عالم الحريم غير مأسوف عليها "[4].

---

(1) خليفة، سحر، **الميراث**، 168

(2) الشامي، حسان رشاد، **المرأة في الرواية الفلسطينية1965–1985**، رسالة دكتوراه، 34.

(3) خليفة، سحر، **الصبار**، 207.

(4) **السابق**، 208.

يقرر باسل الأخ الأصغر أن يساعد أخته لتعلن حبها لصالح جهراً ، فلم يعد في وسعه مداراة الموقف، فالجميع يعرف هذه القصة لكن نوّارة لم تكن تعرف أن أمرها مكشوف، فقد بارك باسل العلاقة لأن نوّارة أخته وصالح صديقه، الذي التصق به في السجن، ومهما يكن الأمر فقد بالغت خليفة في رصدها لصورة باسل." أتظنين أني لا أعرف قصتكما، الجميع يعرفون فكيف لا أعرف أنا ؟ ولا تنسيِ بأن لا أسرار في مدينتنا، طأطأت ولم تعلق، قال مشجعا : صالح رجل لا كأي رجل، وهو جدير بكل التضحيات، لكن هل ستواظبي على الكتابة إليه، وزيارته بالرغم من كل الاحتمالات "[1].

يعلن باسل أمام الجميع أن نوارة على علاقة بصالح، وكأنه بذلك يدعم موقفها، فهو يتصرف بثورية، فالثورة ليست ضد الاحتلال فقط، بل ثورة ضد الموروثات البائسة ضد القمع والقهر الاجتماعي. "تؤدي ثورة الأهلين في الأرض المحتلة إلى تثوير العلاقات الاجتماعية"[2].

يحاول باسل المندفع أن يشجع أخته لتحدي الموقف، ويفجر الموقف بإعلانه أمام الجميع عن طبيعة العلاقة القائمة بين أخته وصديقه " وفجأة بدون مقدمات سمع نفسه يقول بصوت تقريري كمن يقرأ نشرة الأخبار : نوار الكرمي تحب صالح الصفدي، لكنها لا تعترف بهذا، وقد وعدته بانتظاره طوال مدة سجنه، هذا إذا استمر الاحتلال، أما إذا لم يستمر فستتزوجه بالرغم من كل واحد فيكم وبالرغم من والدها قبل الجميع... نوار الكرمي تحب صالح الصفدي، ولا ترغب في الزواج من أي رجل آخر. ولكنها جبانة،أجبن من أن تو اجه الآخرين بذلك "[3].

أما في رواية (باب الساحة) فقد صورت خليفة " أحمد " شقيق نزهة بصورة غريبة نوعا ما إذ يساهم هذا الشقيق الذي يصغر شقيقته بعشر سنوات في قتل أمه، التي اتهمت بالتعاون

---

(1) خليفة، سحر، **الصبار**، 200.

(2) شعبان، بثينة، **سحر خليفة وامرأة غير واقعية، الموقف الأدبي**، ع 212–213، 83.

(3) خليفة، سحر، **الصبار**، 214.

والعمالة، وفتح بيتها لليهود و يقتل والدته على مرأى من شقيقته، بل ويحاول قتلها أيضا ليثبت للجميع أنه غسل عاره بيده، كيف يمكن لإنسانة مثل نزهة أن تنسى هذا الموقف من أحمد ومع هذا تظل نزهة تحن لشقيقها، وتتمنى رؤيته، وتنتظر عودته إلى المنزل ليأخذها بعيدا ليعوضها غربتها، وقسوة الجليد التي تحياه. " أول ما دخل بيتي حسيت أنه أحمد رجع يأخذني ويروح بعيد، بعيد عن الحارة، بعيد عن الدار، بعيد عن الناس، وبلاويهم، بس الظاهر أنا غلطانة، أنا دايما هيك، بصدق عقلي وبتخيل. [1]ويراها ذات يوم في الخان في أثناء عرض من عروض الانتفاضة، لم تتأكد من شخصيته؛ لأنه كان ملثما، إلا أنه عرفها، فتمنى محادثتها، ليطلب عفوها عنه، فيبدو أنه ندم على ما فعل " تعالي يا نزهة وسامحيني. أنا مسامحك"[2].

تصور خليفة خروج نزهة من البيت، والحارة كأنه قدر ساقها لترى أحمد للمرة الأخيرة، فقد ذهبت مع الرعيان والفلاحات لتجد الزيتونر ّ على مقربة منها ملثم وناداها باسمها " زيحوا يا بنات و زيحي يا نزهة أنت وهي[3]،يصاب أحمد في المواجهة،لكن ّه قبل أن يلتقط أنفاسه الأخيرة، يطلب منها مسامحته، طلب تمناه سابقا فتحقق " رفع عينيه. وهمس ببطء : سامحيني يا نزهة أنا مسامحك "[4].

غالبا ما كان الأخ الأكبر يعتدي على أخته بالضرب، ويمارس رجولته عليها ويستعرض قواه. كان يفعل ما يحلو له، حلال عليه،أما هي فحرام عليها مجر د التفكير في الأمر، بس أخوي الكبير كان دايما يضربني.

- أخوك اللي بأمريكا ؟

---

(1) خليفة، سحر، **باب الساحة**، 200.
(2) **السابق**، 206.
(3) **السابق**، 200.
(4) **السابق**، 208.

- هوه، ما غيره.
- وليش كان بضربك ؟

كان يقول عني وقحة وقليلة تربابة " [1].

"وفجأة تلاقي أخوي الكبير طلع من تحت الأرض ونزل في ّ ضرب. ويصير يصيح زي المجنون وقحة وداشرة وكاسرة ومن هالكلام... يا ريته هو الثاني كان منظوم ! كان داير وداشر وبشتغل بإسرائيل وبجيب معاه بنات،ويقعدوا في الحاكورة يحششوا لحد الصبح، يعني كان يعمل السبعة وذمتها ويرجع يتشاطر علينا " [2].

مشهد آخر ترصده خليفة لأخ يضرب أخته ابنة الجامعة، لا يوجد لغة حوار يمكن أن تستخدم سوى لغة الحوار العنيف، حوار الضرب، "وأخذ يلطمها دون وعي على وجهها. وعلى رأسها، وعلى ظهرها. وكان ينفخ ويتفتف يابنت العرص و بدك تصيري مثل نزهة ؟ ! والله لأشرب من دمك "[3].

والأخ الأصغر لا كلمة له في حضرة الأخ الأكبر، " أخوها الأصغر يتفرج، وأخوها الأكبر يتصارع مع عضلاته، وحين تركها كانت حطاما"[4].

مع كل القوة التي كان يتغنى بها " صادق " الأخ الأكبر لسمر في رواية (باب الساحة) الذي اعتاد أن ينهال عليها ضربا، على الرغم من ذلك فهو أضعف من أن يقف أمام جندي في دور ية، وقد صورته خليفة، رجلا منهزما خائفا يطلب العون من أخته بعد أن كان يحاورها سابقا بالضرب فقط. " مرت دورية، ووقف الجنود يتحرشون بكل المرور، التفت صادق، تحسس جيبه.

---

(1) خليفة، سحر، **باب الساحة**، 94.
(2) **السابق**، 95.
(3) **السابق**، 136.
(4) **السابق**، 136.

أين الهوية ؟ في الجيب الأعلى ؟ في الأسفل ؟ في البنطلون، أو السترة ؟. نظرت إليه، سبحان الله! ما عادت نظرته شرسة، ما عاد يعبأ بالوقفة في وسط السوق، ما عاد فحلا يتمايل، ما عاد ينشد غير السلامة، نظرت إليه ثانية فسأل بلهفة :

- أختي سمر، شفت هويتي ؟

ابتسمت بشماتة، ثم الحزن، ثم الرقة، وقالت بأناة :

- ولا يهمك بوقف جنبك، بوقف قدامك وما بشوفوك.

ووقفت فعلا، ومر الجنود ولم يلحظوه "[1].

أما في روايتها (مذكرات امرأة غير واقعية)، فقد صورت الاخ صورة واقعية جدا إذ لا علاقات تربط الأخ بأخته سوى، اسم الوالد، اسم العائلة، ولا يحق للأنثى أن تطالب بميراثها، فالميراث من حق الذكر فقط، فهي في كنف رجل من واجبه أن يهتم بها، أما هم فلا واجب عليهم " كان لي أخوة أشاوس، يعرفون من أين وكيف تفرى مرارة المرأة. ولكنهم للحق والحقيقة رجال محترمون، ولو أنهم حين مات الوالد تخاطفوا ميراثه قبل أن يبرد حمام دفنه. ولم يبقوا لنا نحن البنات من الميراث إلا الميراث إلا اسم العيلة، ووجاهة الأصل الطيب، فقلت لأخواتي استحثهن : ونصيبنا ؟ فرددن معا بصوت واحد " نصيبنا " [2].

صورة أخرى لأخ من نوع آخر، أخ يبدي قلقا على أخته لمجرد أنها ستتزوج من رجل لم تره في حياتها، يحاول إقناعها بالعزوف عن الأمر، لكنها تقنعه برأيها، فلا مفر " تأملتها وشعرت بحزن، خفت عليها من غدر الزمن، خفت عليها من غدر الرجل، خفت عليها من مثل أبي، فماذا

---

(1) خليفة، سحر، **باب الساحة**، 183.

(2) خليفة، سحر، **مذكرات امرأة غير واقعية**، 66.

تفعل لو طلقها؟ ماذا تفعل لو لم تعجبه؟ ماذا تفعل لو وجدت أولاده كالعفاريت ؟ هي لا تعرفه! على الصورة! أية زيجة! أي تفاهم! كل ما رأته من ذاك الزوج كان صورة "[1].

أما أخوة مريم في روايتها (صورة وأيقونة وعهد قديم)، فقد كانوا أخوة من نوع آخر شباب عاشوا في مجتمع منفتح، عاشوا في البرازيل إلا أنهم يقررون غسل عارهم بالقتل، فقد حملت مريم من ابراهيم المسلم ولهذا فالعار عاران، ولا شيء ينقذ ماء الوجه إلا القتل " جاء الأخوة قبل بدء الحرب بثوان. هرعوا إلى القرية ليجدوا الحل للفضيحة. تركوا الأعمال في البرازيل رغم إعلان حالة الطوارئ في الموانئ والمطارات، جاءوا لإنقاذ ماء الوجه وكرامتهم في قرية تقف وتتفرج وتنتظر القتل، قتل المرأة في هذا الوضع هو القانون والتقليد، ولا شيء يغسل عار البنت إلا دمها "[2].

تعكس سحر خليفة من خلال هذه الصورة سلوكاً شرقياً لا يزال قائماً حتى الآن، فإقدام اخوة مريم على قتلها يعود إلى منطق الشرف الذي يؤمنون به ويحاولون الدفاع عنه؛ فلا بأس –في نظرهم– من قتل الفتاة بدافع منه، بل لا بد من ذلك في عقلية الإنسان الشرقي الذي تحكمه العادات والتقاليد وتتربص به، وإن هاجر أو ابتعد عن وطنه.

---

(1) خليفة، سحر، **صورة وأيقونة وعهد قديم**، 33.

(2) **السابق**، 94.

صورة رجل الدين :

لم تسلط خليفة الضوء في روايتها على رجل الدين ودوره وعلى الرغم من أهمية دور ه في الحياة، وتأثيرهم على مجريات الحوادث خاصة في سنوات الانتفاضة إلا أنها همشت هذه الشخصية ودورها، وتكاد رواياتها تخلو من ذكرهم إلا ما جاء عفو الخاطر، ولغاية في نفسها، وقد يكون السبب وراء هذا التهميش بعد خليفة عن الدين من جهة، وتصورها أن الدين قيد وضع على عنق المرأة، وفي مقابلة لها مع مجلة عبير التي كانت تصدر في سنوات مضت اعتبرت خليفة أن المرأة " تحجبت فتحجمت ولكي يحجموها حجبوها"[1].

رد عليها الشيخ محمد الكفراوي خطيب المسجد الأقصى في ذلك الوقت قائلا : " إن ما أثار الاستياء والغضب لدى المسلمين هو التهجم الواضح على الشريعة الإسلامية والمرأة المحجبة حسب تعاليم الإسلام "[2].

وفي روايتها (صورة وأيقونة وعهد قديم) تصور رجل الدين المسلم يجلس في ساحة المسجد الأقصى، ومن حوله رجال يستمعون إليه، ظروفهم مختلفة يعتلي مصطبة والناس حوله على الأرض تحت الشمس يحوقل دائما ويذكرهم بأصل الإنسان أنه مخلوق من ماء وطين فيرددون لفظة آمين وكأنها سجع يتكرر ليس إلا " ودخلت الأقصى لثوان ثم تقهقرت. رأيت شيخا في الساحة يجلس في ظل الحرم وحوله مجموعة رجال بحطط وعمائم وطرابيش، بعضهم سافر ويغطي الرأس بجريدة ويسمع الشيخ وهو مغمض أو ينوس جفنه من ضوء الشمس. الشيخ الجليل على مصطبة وهم على الأرض تحت الشمس. وكان يقول لا حول ولا قوة إلا بالله، نحن خلقنا من ماء وطين. الله يحيي والله يميت ولا تدري أي نفس بأي أرض تموت. هو العالم وهو القادر وهو القيوم. لا

---

(1) ينظر: الجريري، علي، **لقاء مع الروائية الفلسطينية سحر خليفة.** مجلة عبير، العدد 33، عام 1990 –32.

(2) ينظر: **رد على الروائية الفلسطينية سحر خليفة**، الشيخ محمد الكفراوي مجلة عبير،العدد 34،عام 1990–8.

يخرج شيء عن علمه، قولوا آمين، فيقول الرجال بخشوع شديد، آمين، آمين ويهدر الشيخ ويهلل من ماء وطين آمين، آمين ونار ونور، آمين آمين ولا يخرج شيء عن علمه آمين آمين"(1).

سؤال قد يطرح هنا ألم تجد خليفة سوى هذه الصورة المشرقة لرجل الدين لتتحدث عنها؟ أين خطباء المساجد؟ أين معاناتهم؟ اعتقالاتهم دورهم السياسي؟ خاصة وأنها تتحدث عن مدينة القدس، المدينة التي ناضل أهلها للحفاظ على قدسيتها، لماذا أهملت هذا الدور؟ ألأنه يتعارض مع ما تؤمن به من أفكار ومعتقدات؟ أم لأنها لا تعي أهمية دور رجال الدين في حماية المقدسات؟

وفي الرواية نفسها تعرض صورة لرجل دين مسيحي، قسيس صورته رجلا متواضعا يتجاذب الحديث مع من حوله، يجلس معهم، يأكل معهم إنسان متواضع " في عيد ما دعانا القسيس إلى الغذاء وكان هناك، كنا ثلاثة أو أربعة أشخاص نجلس حول الطاولة يتصدرها القسيس وتنتهي بزوجته ايفون "(2).

رجل الدين المسيحي رجل ملم بالأدب والفن والموسيقا، يناقش ويعي حقيقة ما يدور حوله، رجل منفتح يؤمن بالمرأة وحريتها " ابتسم القسيس، وكان معجبا بالأدب الروسي حتى الإدمان، وقال بلطف :

§ أقرأت دستويفسكي وشيخوف ؟ أقرأت الحرب والسلم ؟ أقرأت الأخوة كراما زوف؟"(3).

تتابع تصويرها لرجل الدين المسيحي، الذي يظهر مقاومته لغرائزه وشهواته لكنه عندما تسنح له الظروف والفرص نراه ينهال على الأنثى ليشبع رغباته " أمسكت برأسه بين يدي وقبلت عينه وخديه ثم شفتيه، فاحتواني بين ذراعيه وقبلني. لم يكن تقبيلا بل نهشا، بل وحشية. كان يريد أن يكرهني، وأن يلقي بي في جهنم، لكني كنت بين ذراعيه وذاب مثل الشمعة ثم انفرط مثل

---

(1) خليفة، سحر، **صورة وأيقونة وعهد قديم**، 21–22.
(2) **السابق**، 18.
(3) **السابق**، 21 – 22.

العنقود. انهار بكاء مثل الطفل وأخذ يرتجف كالعصفور" [1] وصورة أخرى لرجل الدين المسيحي ترصدها، صورة المطران الذي يؤمن بالشعوذة، وكشف المستور، والمستقبل " هناك رجل مثل الراهب لديه قدرات عجيبة يقرأ الأفكار والمستقبل ويعرف أشياء لا نعرفها مثل التنويم والتناسخ والتخاطر وما إلى ذلك من أشياء " [2].

يستهجن إبراهيم الأمر لكن المطران يشجعه على ذلك وهنا أرى أنها بالغت في وصف الأمر إذ أن أصل الديانات السماوية واحد. وما حرم في الإسلام يفترض أن يكون محرما في المسيحية واليهودية " أمعقول هذا يا مطران ؟ أذهب لدجال بحثا عنها ؟ أهذا معقول ؟.

§ ليس دجالا، لا أعتقد. هو فعلا غريب، أثار فضولي فتتبعته وعرفت أشياء مثيرة، تربى في الدير لدى الرهبان، وهناك بالطبع تعلم صنعة وأتقن تدبيج الأيقونات ونحت تماثيل القديسين. ثم اتجه نحو التصوير فالموسيقا، ثم اللاهوت "[3].

تتابع تصوير رجل الدين المسيحي الذي استغل جهل الناس وحاجتهم فيبتزهم من أجل الحصول على الأموال وكأن ما كان في العصور الوسطى من صكوك الغفران وغيرها يعود من جديد ولكن بشكل وحلة جديدة " هو يترعرع على جهل الناس، يعمل على فقر الفلاحين، يستنزف بؤس المحتاجين، وهؤلاء ذوي حاجات، فهذا مريض وذاك محبوس وتلك عاقر، وهو يحقنهم بالأفيون " [4].

أما في روايتها (الميراث) فقد صورت خليفة رجل الدين المسيحي صورة متكررة، صورته جميلا، محبا للموسيقا تتبعه الفتيات من مكان إلى آخر لم يستطع السيطرة على رغبته وشهوته، يهرب تاركا وراءه طفلا في أحشاء أمه، لقد فر هاربا من الفضيحة فلم يواجه الموقف " كان جميلا،

---

(1) خليفة، سحر، **صورة وأيقونة وعهد قديم**، 52.
(2) **السابق**، 104.
(3) **السابق**، 105.
(4) **السابق**، 120.

كان رقيقا، كان حنونا ويعزف على الأرغن والبيانو .وكانت تتلصص على جوه. تمشي على رؤوس أصابعها وتجلس في الظل بلا حركة وهو يعزف، وهو يسبح في ملكوته وشعره الناعم يسيل حريرا فوق الجبين ونصف العينين، كان يتلألأ كان ملاكا "[1].

"اختفى فجأة لا لأنه خاف على نفسه من فتنتها ؛ بل لأن الفتاة حملت منه وهرب منها، هرب بنفسه، ويقال رأوه في باريس. أما الفتاة فقد هربت أيضا إلى بيروت واندمجت بأجواء الثورة ومارست الفعل وصارت ثورية كما الثوار "[2].

---

(1) خليفة، سحر، **الميراث**، 226

(2) **السابق**، 226.

الفصل الرابع

صورة الرجل الآخر

من هو الآخر ؟! :

عند الحديث عن الآخر نجد أنّ هذه اللفظة، استعملت بعدة معان، فقد جاء في لسان العرب أن الآخر بمعنى غيره[1]، لقوله تعالى " فآخران يقومان مقامهما "[2]، وقد فسر ثعلب الآية السابقة فقال : فمسلمان يقومان مقام النصرانيين فحلفنا أنهما أختانا ثم رجع النصرانيين[3]. أما الفراء فقال : أو آخران من غير دينكم من النصارى واليهود وهذا للسفر أو الضرورة؛ لأنه " لا يجوز شهادة كافر على مسلم في غير هذا "[4].

أما أرسطو فيرى أن الآخر المستبعد هو الغريب الذي لم يتمكن من استخدام وفهم اللغة المشتركة[5].

والآخر هو العدو الذي يتخذ صورا مختلفة، بحسب التجارب التي عرفتها المجتمعات ؛ لأن كل ثقافة تنطوي على تاريخ عداوة ولذا فقد اقترح الباحث الفنلندي " هارلي " بعض المحطات التاريخية لفكرة العدو في الثقافة الأوروبية،وأبرزها أن النزعة الأوروبية الدافعة لبناء المجموعات الأوروبية،لا تقوم على (هوية أوروبية) فهذه لم توجد إلا في صيغتها المسيحيةوا ٕنما تقوم على استعادة عداوات تقليدية ومنها عداوة الشرق [6].

---

(1) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة أ.خ. ر.
(2) المائدة : 107.
(3) ينظر : لبيب، الطاهر، **صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه**، 21.
(4) **السابق**، 22.
(5) **نفسه**، 54.
(6) **نفسه**، 21.

وعندما يكون الخطاب حول الآخر، فإنما يدل أساسا على من يقف في مقابل الأنا، ذلك أن الخطاب لا يقيم علاقة بين حدين متقابلين،وإنما علاقة بين الأنا والآخر، بحيث تبرز صورة كل منهما عند مقابله [1].

ونتيجة العلاقة الجدلية ما بين الأنا والآخر، فإن الآخر هو جزء من الذات، والآخر هو بتر للذات،بمعنى أنه قطع لجزء منها هو الجزء المعلن من هذا رغم أنه ضروري لاكتشافها إذ تصور الذات لا ينفصل عن تصور الآخر[2].

أما الآخر فيبقى عدوانيا بدرجة أولى؛ لأنه لا توجد علاقة بين الأنا والآخر إلا على قاعدة غالب ومغلوب، وبدون هذه القاعدة ينتهي الآخر ويصبح عدما، والعلاقة القائمة ما بين الشرق والغرب علاقة قائمة على مبدأ الأنا والآخر[3]، والآخر يختلف عن الذات اختلافا دينيا أو ثقافيا، إلا أنه يشكل أفقا للذات، وأحيانا جزءا من النظرة إلى الذات، سواء أكان مسالما أو كان غازيا محتلا متغطرسا، مهادنا أو معارضا أو تقدم إلى مساحة الوعي كاختلاف جسدي أو ثقافي[4].

ويشكل الآخر مصدر قلق يجب أن تؤخذ الحيطة والحذر منه؛ لأنه لا يؤمن من جانبه، ويرى حميد الحمداني، أن هذه هي "إشكالية الآخر سواء كانت مظهرا من مظاهر الانقسام الذاتي

---

(1) ينظر: عبيدات، حسن، **رؤية الآخر في الرواية الفلسطينية المعاصرة**، 1973– 2000، 15.

(2) ينظر: لبيب، الطاهر، **صورة الآخر العربي ناظرا ومنظرا إليه**، 22.

(3) **السابق**، 23.

(4) ينظر: أفاية محمد نور، **الغرب المتخيل، صورة الآخر في الفكر العربي والإسلامي الوسيط**، 53.

في جسم الأمة العربية، على المستوى الديني، أو على المستوى العرقي، أو مظهر من مظاهر التعارف مع الآخر الأجنبي الذي يتحدث بالقوة والعلم "[1].

أما بالنسبة للفلسطينيين، فقد كان الآخر يمثل بالدرجة الأولى الصهيوني المحتل، لذلك فهو " لم يَقدُم من مركز محدد، بل كم مراكز عديدة، وهي المواطن التي هاجر منها اليهود إلى فلسطين، إن الآخر هنا هو مُستَعمِرُ مستوطن، يتلبس الحضارة، والصراع مصيري بالمعنى الملموس للحياة والموت "[2].

إنّ مفهوم الآخر (العدو) يطرح أسباب الصراع بين العدو والأنا، ولهذا فإن العدو دائما هو الآخر، إلا أنه لا يمكن تصنيف جميع الآخرين على أنهم أعداء؛ لأن أدبيات البحث النقدي العربي استقرت، على أن الآخر بالنسبة لأي عربي ومن ضمنه الفلسطيني، هو كل من يختلف معه في الهوية القومية، والآخر ليس أكثر من أجنبي أو خارجي أو محتل[3].

ترى الدارسة أنه بالنسبة للفلسطيني، يمكن أن نعتبر أن كل من يمتلك وطنا هو الآخر؛ لأن الفلسطيني شرد عن وطنه وسلبت أرضه، في حين يتمتع العرب ولو ظاهراً في أوطانهم التي تلقي بظلال الغربة عليهم لما ينتشر فيها من كبت وقمع للحريات، وترى الدارسة ضرورة اعتبار العربي الآخر بالنسبة للفلسطيني، حتى وإن كان مناضلا مساندا للقضية الفلسطينية[4].

وخلاصة القول يمكن اعتبار العدو الصهيوني اليهودي العادي الداعي للسلام، العربي من جنسيات مختلفة، يمكن اعتبارهم الآخر بالنسبة للفلسطيني.

---

(1) **الرواية المغاربية بين الأنا والآخر والبحث عن الهوية**، 281.

(2) سليمان، نبيل، **وعي الذات والعالم دراسات في الرواية العربية**، 71.

(3) ينظر: عبيدات، حسن. **رؤية الآخر في الرواية الفلسطينية المعاصرة**، 5.

(4) **السابق**، 5.

إنّ خليفة مثلها مثل الروائيين الفلسطينيين، تطرقت إلى رسم صورة الآخر " العدو " في رواياتها فمنذ صدور وعد بلفور عام 1917 بدأ اليهود بشكل علني يشكلون طرفا أساسيا من أطراف الصراع على أرض فلسطين، إذ كان الوعد إشارة علنية للحركة الصهيونية كي تنسق خطاها مع الحكومة البريطانية، صاحبة الوعد تحقيقا للوطن القومي اليهودي في فلسطين[1]، ونفذ الوعد وعاشت خليفة كسائر الفلسطينيين، الاحتلال وآلامه، من قمع وقتل وتشريد وتعذيب،وا ٍن كانت بعيدة في فترة من الفترات عن الوطن إلا أن المعاناة كانت معاشة.

صورت خليفة الآخر الجبان، الذي يشعر بالخوف، الذي يختار الهرب أو اللجوء إلى المراوغة والمكر لحل مشكلاته، ففي رواية (الصبار) تظهر خليفة ملامح الجبن من خلال مواجهة بين زهدي العامل في المصنع الإسرائيلي، وبين شلومو الخواجة اليهودي " دمدم شلومو وهو يتجه نحو مكان عمله :

- مخربين مخربين عرافيم ملوخلاخيم.

استدار زهدي و صاح هادرا :

- ماذا قلت يا شلومو؟

- التفت إليه شلومو وقد بدت على وجهه علامات الدهشة والمفاجأة ورأى المفك بيد الرجل الضخم فبلع ريقه.

- ماذا قلت يا شلومو ؟ قلها مرة أخرى إن كنت شاطرا.

قال شلومو متراجعا :

- أنا لم أتكلم عنك.

- وماذا قلت ؟

---

(1) ينظر : أبو مطر، أحمد عطية، **الرواية في الأدب الفلسطيني**، 1950-1975، 404.

- لم أقل " [1].

ويعرّف القلق بأنه حالة من التوتر، الذي ينشأ خلال صراعات الدوافع ومحاولات الفرد للتكيف ويقول الدكتور مصطفى فهمي: إن القلق ما هو إلا مظهر للعمليات الانفعالية المتداخلة التي تحدث خلال الإحباط والصراع[2]،والقلق كغيره من العمليات الانفعالية، له جانب شعوري وآخر لا شعوري، فأما الجانب الشعوري للقلق فيتمثل في نواحي الخوف، والفزع، والشعور بالجزع والإحساس بالذنب ومشاعر التهديد [3].

إنّ الخوف انفعال شائع عند اليهود تثيره مواقف عديدة، وله أشكال متعددة قد تصل إلى الهلع والرعب، ويعتبر الخوف إحدى القوى التي تعمل على الهدم في تكوين الشخصية، وغالبا ما يكون المرء بين واقعين، حرصه على حياته، وخوفه من الموت، ويهرب من أحدهما ويضطر لمواجهة الآخر[4]. وأروع مشهد يصور الجبن الإسرائيلي حين وصفته خليفة مواجهة بين جنود الاحتلال وأطفال الحجارة، سلاح غير متكافئ ولكن النتيجة كانت هروب الجندي منهزما أمام مقاليع الأطفال الصغار.

"شوارع مليئة بالحجارة والزجاج، والتنك متراس ضخم وسط الشارع العريض يتقافز وراءه الأولاد. وتتابع خليفة تصويرها الدقيق فترسم صورة عدوانية لليهودي، لم تقتصر على هدم البيوت وا إتلاف ممتلكات غيرهم ولكن يأتي الأمر " رغبة في الانتقام وبث الرعب واليأس، في نفوس أبناء

---

(1) خليفة، سحر، **الصبار**، 121.

(2) ينظر : **الصحة النفسية**، 183 – 184.

(3) **السابق**، 189.

(4) **السابق**، 252.

الشعب الفلسطيني، بل كان التركيز في الوقت نفسه على سلب إرادتهم الوطنية وقتل روحهم المعنوية "[1].

أما في رواية (الصبار) فقد صورت المشهد الذي يهدم فيه بيت الكرمي دون مراعاة الظروف الإنسانية لرب العائلة المريض بالفشل الكلوي والذي قد يفقد حياته نتيجة هذا الفعل، لم يفكروا في شيء سوى إذلال الشعب وكسر شوكته فقط ؛ فالعدوان لم يطل الإنسان فقط، بل تعداه أيضا إلى الممتلكات، والهدف من ذلك يكمن في رغبة الانتقام، وبث الرعب واليأس في نفوس أبناء الشعب الفلسطيني، وسلب إرادتهم "كان مهندسو جيش " الدفاع " يقيسون ارتفاع وانخفاض أحد البيوت البالية في طرف الشارع، والرجال يحملون الفراش على ظهورهم والنسوة تتراكض بين الدار المحكوم عليها بالإعدام وبيوت الجيران، والجيران يتلقفون المتاع ويحفظونه في بيوتهم، وساد الصمت، واختبأ السكان في زوايا الدور، فتحوا النوافذ، وأغلقوا آذانهم، وانفجر اللغم"[2].

صورت خليفة الصراع غير المتكافئ بين قوتين : الأولى هي الشخصية الفلسطينية التي تناضل من أجل حقوقها الوطنية على أرضها، أما القوة الثانية فهي العدو الصهيوني الذي يعارض حق القوة الأولى، ونتيجة لهذا الصراع تظهر مواقف هزلية مضحكة، إلا أنها لا تنسينا المأساة فهي تقفز عنها ولا تتجاوزها، ولكنها تؤكد أن الشرط الذي ينتج أحزانا كثيرة قادرا في الوقت نفسه على إنتاج ضحكات كثيرة، تنطلق منه لترتب سهاما إلى نحره والضحكة صرخة، رأي يقال ومواجهة "[3].

---

(1) ينظر : زعرب، صبحة، **الشخصية اليهودية الإسرائيلية في الخطاب الروائي الفلسطيني، 1967–1997**، 200.

(2) خليفة، سحر، **الصبار**، 113.

(3) وادي، فاروق، **ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية**، 123.

"وخرج الأولاد من كل بيت. ووقفوا في الزوايا المعتمة كالفئران، يتطلعون نحو الجنود يتغامزون ويضحكون، والجنود يحملون الرشاشات ويلبسون الخوذات وركض أحد الصبية من بيت لآخر، فانتهره جندي وناوله شتيمة، فترددت أصداء ضحكات الأولاد، ورددوا الشتيمة بنغمات مختلفة، وربط أحدهم علبة البندورة بذنب قطة وأطلقها، واستدار الجندي شاهرا سلاحه، وترددت ضحكات الأولاد وقد أعجبتهم اللعبة، وركض الجنود خلف الصبية فاختبأوا في بيوتهم وأغلقوا الأبواب، ثم عادوا وفتحوها. فاندفع جندي نحو أحدهم وأعمل فيه ضربا، والأمهات يستنزلن اللعنات على كل من ساهم في بناء الدولة. والأزواج يسمعون السباب ويرمشون "[1].

ترى الدراسة أن خليفة أرادت أن تصور صراعا غير متوازن، لتبطل مفعول قوته، ولتبين زيف ادعاءاته، وعند انكشاف أمره يتعرى فيفقد هيبته أمام الآخرين، فيشعر أنه مستهزئ به من قبل من هم أضعف منه قوة حسب اعتقاده[2].

صورة جديدة للمستعمر الغاصب، الذي يحاول أن يظهر بمظهر المهاب في هيئته وسلوكه، " لا يعطينا الانطباع بقوة شخصيته وصلابتها، بقدر ما يفاقم في وضعه كمحتل غاصب للحقوق، يظل بحاجة دائمة لممارسة العنف والإرهاب للمحافظة على وجوده "[3].

- قف !

قال الجندي الجالس على الكرسي أمام الممر الخشبي. فوقف وبدأ قلبه ينقر ببطء.

- افتح الشنطة.

ومد الإسرائيلي يده وأخذ يعبث بمحتوياتها.

- ما هذا ؟.

---

(1) خليفة، سحر، **الصبار**، 112.

(2) ينظر : عبد الله، عبد البديع، **الذاتية والغيرية**، 121.

(3) البحراوي حسن، **بنية الشمل الروائي**، 299.

- ليبريوم[1].
- آه، أنتم مغرمون بهذا.

تململ القلب بكآبة، وابتدأ صفير الآلة الكهربائية، اشتدت عضلات جسمه تلقائيا، وابتدأت أولى عمليات الدفاع عن النفس اللاإرادية.

- قف هنا، اجلس هنا، قف أمام شباك لم الشمل.

من، شملك؟أمك ؟ حسنا. اقترب. ادخل هنا.

اخلع ثيابك. اشلح، اشلح، اشلح كله، كله، والحذاء [2].

صورة جندي حاقد، يحاول أن يبسط أفكاره أمام من هم أضعف منه، جندي حاقد يسعى إلى بث أفكاره التي طالما حلم بها كل صهيوني، دولة من النيل إلى الفرات، وتخلو فلسطين من أهلها لتكون لهم أرض بلا شعب لشعب بلا أرض " تصلون آبار البترول وتعودون هنا ؟ ماذا يعجبكم هنا ؟ أنتم لا تقدرون النعمة، لكننا نقدرها، سنوات قليلة ونكون هناك وتدخلون الكعبة بتصريح "[3].

أما في رواية (باب الساحة) فقد سلطت خليفة الأضواء على صورة مستوطن جاء إلى فلسطين غازيا، اقتلع أهلها وحل مكانهم، حاقد على كل شيء يذكره بوجود الفلسطينيين، يخاف من أبسط الأمور التي قد تعيد إلى ذهنه حقيقة الأرض المسلوبة،وا ٍن سلبت الأرض فلم تسلب إرادة الشعب، ورغم محاولات طمس معالم الهوية الفلسطينية إلا أن الكوفية، والخارطة، والأرض، والدم، وحبات الزيتون،وشجرة تصيح وتصرخ أن فلسطين مغتصبة ولا بدّ أن تعود " اندفع جندي مستوطن

---

(1) نوع من أنواع العقاقير.
(2) خليفة، سحر، **الصبار**، 1 2
(3) **السابق**، 13.

بلحية كثة وسوالف، دفع نزهة، وقعت على الأرض،ولطم سمر وشدّ الجثة، وخلع القميص والرسمة. أمسكها ونفضها بجنون.

- شوفوا، شوفوا، قتلته بأيدي، أنا قتلته.

ودار ينط من صخرة لصخرة، من قطان لقطان، ووصل إلى نزهة وهي على الأرض، ونفض القميص وأشار للثقب المفتوح كما الفوهة، والدم القاني على الرسمة. حملق بجنون: شوفي، شوفي، هاي فلسطين"[1].

ويرى محمد جلاء إدريس أنّ "سمة الجبن متأصلة في الشخصية اليهودية الإسرائيلية ومتجذرة في نفسيته"[2].

ابتسمت : يخافون كل شيء حتى الحقن ويتوجسون من كل مخلوق حتى القطط "[3].

يرى حمود زلوم "أن وجود شخصية يهودية طيبة في الأدب الفلسطيني ما هو إلا تحل كاذب بحب الإنسانية، وإذا كان هذا قد حدث فهو اعتقاد خاطئ لرفض الموقف العنصري، والتعصب من قبل بعض الكتاب الذين يتخيلون أنهم ذوو ضمائر محايدة فقد سقطوا من حيث لا يدرون"[4].

ومهما يكن من أمر اليهود فإن الفلسطيني ليس عدواً لجميع اليهود في شتى أنحاء العالم، فهم أصحاب كتاب، والعلاقة العدائية تكمن بين الفلسطينيين أصحاب الأرض والصهاينة من اليهود الذين احتلوا وطنهم وبغير وجه حق.

---

(1) خليفة، سحر، **باب الساحة**، 208.
(2) **الشخصية اليهودية**، 164.
(3) خليفة، سحر، **باب الساحة**، 13 .
(4) **الشخصية اليهودية في الأدب الفلسطيني الحديث** ، 107-106.

أما خليفة فقد كانت ترى أن هناك عربا قد خدعهم زيف الواقع اليهودي ، وأن هناك أفرادا يهودا يتعاطفون مع القضية العربية الفلسطينية ففي روايتها (عبّاد الشمس) ناقشت هذا الواقع المتعلق بصورة اليهود " عندما أحس بحميمية هذا العالم الممتد يحتوي ألوفا بل الملايين، ممن يستطيعون منحي إحساسا بالسلام والأمان حتى بين الإسرائيليين أنفسهم، هناك الألوف لماذا لا ألقاهم" [1].

إن الشخصية اليهودية ، شخصية معقدة ، يدخل في تركيبها عناصر شتى، تجمعت في ظروف شديدة التنوع والتباين ، عبر مسافات شاسعة بعيدة من الزمان والمكان، حتى أصبح من أصعب الأمور أن يصف الدارس الحدود الخارجية لهذه الشخصية[2].

وقد صوّر الأديب الفلسطيني الشخصية اليهودية تعيش في الأراضي الفلسطينية التي احتلتها، متمتعة بخيراتها، بينما أهلها مشردون، لهذا قرروا النضال لأن قضيتهم عادلة، ففي رواية الصبّار يحاول أسامة أن يتعايش مع الواقع بعد عودته من الأردن ، ليبدأ رحلة النضال فيرى أن اليهود قد أكلوا الخير كله ، فيرى ضابطا إسرائيليا يجوب شوارع نابلس ، يشتري الفاكهة التي حرم الصغار من أهل البلد شراءها لارتفاع سعرها، يطعنه طعنات قاتلة ويفر هاربا من المكان .

" خليها علينا يا أدون . البلد بلدكم والخير خيركم والدفع ليش ؟

تضحكوا علينا؟ الدنيا كلها تضحك علينا فكيف لا تضحك أنت! وباخت الضحكة في وجه الضابط حين التقت عيناه بعيني أم صابر الحاقدتين. ودمدم كلاما عبريا موجها لزوجته... وفجأة

---

(1)**عبّاد الشمس**، 18.

(2) ينظر : ظاظا، حسن، **الشخصية الإسرائيلية**، آفاق المعرفة، مجلد (10) ج4.

انشقت الأرض عنه فقفز شابٌّ ملثم الرأس بكوفية بيضاء. رفع يده اللامعة كالبرق وهوى بها على مؤخرة رأس الضابط فغاص الخنجر في العنق حتى النصاب"[1].

أما إبراهيم البحراوي فيرى أن اليهودي بات مضطرب الأعصاب متوترا، حيث الإثارة والقلق المستمران اللذان يشعران الشخصية بالعجز ، وعدم القدرة على الوصول إلى أي حل، وهكذا نجد أن الشخصية اليهودية هي شخصية محبطة منهارة من الداخل[2]، ونتيجة لهذا الإحباط والإنهيار في الشخصية، نرى الجنود يتصرفون بوحشية وهمجية ، فالخوف يسيطر عليهم والحقد يملأ قلوبهم ، فلا يراعون كبيرا ولا صغيرا ،حتى النساء كنّ عرضة لإيذائهم.

" وقفت أم أحمد تسد باب غرفة نوم الأولاد . فقال الجندي وهو يحاول أن يزيحها جانبا :

"روخ".

" مش رايحة ".

"زيخ ".

" مش زايخة ".

دفعها في صدرها فتشبثت بالباب وصاحت" عيب عليك تمد إيدك عالنسوان "مطّ شفتيه وبانت كل أسنانه: انتو مش نسوان. انتو مش ناس "ودفعها ثانية فألقت بجسدها عليه وتشبثت. بدأ يضربها فقفزت ابنتاها من خلفها وهجمتا عليه.

اندفع جنديان آخران والتحم الجميع "[3].

---

(1) خليفة ، سحر **الصبّار** ، 171.

(2) ينظر: **أضواء على الأدب الصهيوني المعاصر** ، 57.

(3) خليفة ، سحر، **باب الساحة** ، 60.

ويقول البروفيسور يعقوب لوخ " إننا مجتمع هستيري يعمل في ظروف وضغوط قاسية، ومن الصعب عليه موازنة الأمور ورؤيتها بمنظار عريض ببعد زمني وثقافي، وبمعرفة التحديات وبإحساس الاتزان "[1].

" ومن العتمة انبثق جنديان وأعملا في المرأتين ضربا. أمسك أحدهما بشعر سمر وكمشه فأصبح رأسها في قبضته كالبرتقالة، هجمت عليه أم الصادق ورمت بثقلها على ظهره . ركلها الثاني . فلم تتحرك وظلّت ملتصقة بالأول تشدّ عنقه حتى تراخت يداه . ومن السطح هرولت أم محمد وراءها ثلاث نسوة وفي يد كل واحدة خشبة . سقط احد الجنديين في الفضاية ، وقبل أن يصحو من غيبوبته ،التقطته أيدي الشباب وقتلوه خنقا "[2].

الشخصية اليهودية شخصية لا تعرف الشفقة ، ولا تملك حسا أخلاقيا أو إنسانيا ، لذلك فهي تمتاز بالعدوانية ، محبّة لسفك الدماء ، تتخذ من الإرهاب سبيلا لإثبات وجودها[3].

" ارفع إيدك لفوق .لفوق .

ودفعه ببوز سلاحه وأوقفه قريبا من سعاد وحركهما بعيدا عن الباب . نظر إلى الجدة ونظرت إليه وقالت بخوف :

يا أدون ابني ، ابني و بنتي "[4].

" يا أدون ، أنا ختيارة . عجوز كبيرة وختيارة . صاح : شيكت ! وعاد ينظر في الخلفية بين البراميل، اقتربت سعاد وقالت : تسمح ؟ فالتفت الكبير وصاح بعربية مفهومة : هس ولا كلمة ، وحدج الصغير يزجره بنظرات آمره تدعوه لأن يكون أكثر حزما، لكنّ الصغير نظر إليها

(1) أبو خضور، محمد، **النكتة الإسرائيلية** ، 90.
(2) خليفة ، سحر، **باب الساحة** ، 61.
(3) ينظر : الراهب ، هاني، **الشخصية اليهودية في الأدب الإنجليزي** ، 110.
(4) خليفة ، سحر، **باب الساحة**، 105.

ونظرت إليه وقالت بلطف : تسمح ؟ فنظر إلى الكبير ولم يقم بأية حركة،اقترب الكبير ونظر إليها، ورأت في وجهه معنى الشؤم، كان كبيرا، جثة ضخمة .وجه أسمر. شارب أسود. وثنيات في وجهه وتجاعيد، سحنته شرقية عربية أو أوروبية ؟ شرق أوروبا ؟لم تعرف بعد ولن تعرف "[1].

والسؤال الذي يُطرح هنا ؛ ما الذي تريد سحر خليفة إظهاره عند رصد مثل هذه الصورة هل تريد أن تبين أن اليهودي الشرقي أشد قسوة من اليهودي الغربي الأوروبي ؟! مخطئ من يعتقد ذلك لأنهما وجهان لعملة واحدة ، لا فرق بينهما في العقيدة والمبدأ فكلاهما نهلا من النبع نفسه الذي بثّ الحقد والكره للعرب .

هل كانت سحر خليفة مخدوعة باليهود ؟! فصورت اليهودي إنسانا له إحساس ومشاعر صادقة ، أم أنها كانت متخبطة في طروحاتها لا تعي حقيقة الموقف القائم، لأنها لم تعشه ؟مهما كان الأمر فالشخصية اليهودية شخصية عدوانية حاقدة لا ترعى عهدا ولا تراعي حق جوار ، ولم يعرف التاريخ قلوبا أقسى من قلوب اليهود[2].

" ألقاه عن الحافة فهبط على الأرض عند رجليه . رفعه بيد واحدة كشوال طحين واقترب به من الجندي الصغير وكان ملقى على الأرض . ضربه بطرف البسطار وصاح به كي يتحرك . التفت الصغير وكان يبكي وكانت الدموع في عينيه وعلى وجهه وحتى ذقنه . ورآه أحمد على الأرض مكورا مثل كلب جريح، ووجهه الناعم محفوف مثل: وجه فتاة . كانت لمحة ، لمحة واحدة كالتصوير ، لقطة سريعة ، صورة مكبرة بالأنوار ، وبلا ألوان ، فقط الأنوار ، وبرق ورعود وشظايا وريح الخماسين . ألقاه فوقه فالتحما وأحس بجسده يتشنج مثل الزجاج،أية مأساة ، بل مهزلة ! قبل لحظات كان فوق أخيه وها هو الآن فوق هذا،وأراد أن يدق بخناقه ويفرغ ما في صدره من أحقاد ،

(1) خليفة، سحر، **باب الساحة**، 106.
(2) **الشخصية اليهودية في الأدب الفلسطيني الحديث**، 106.

ولكن الآخر كان يهز ويخفق مثل البنات ، أحس بقلبه يتشنت ودموعه تسيل باردة مثل السكين، فغمر وجهه في ظهر الجندي وشد عليه فاستكان الآخر واستسلم في انتظار الموت أو الرحمة .

وجد الاثنان نفسيهما في وضع غريب ، الواحد منهما يشد بالآخر بشكل محموم متشنج ويبكيان بلا تحفظ مثل البنات "[1].

صورة أخرى رسمتها سحر خليفة لرجل أمن إسرائيلي في أحد سجون الاحتلال ، يتعاطف مع طفل صغير جاء لزيارة والده المعتقل السوري في أحد سجون الاحتلال . صورة تبدو وكأنها غريبة ، غير مطابقة للواقع المر المعاش ، " وتأمل زهدي الجنديين الواقفين على الباب بحيرة. تبكيان! أنتما تبكيان! كل ما ترونه من وحشية وتعذيب داخل جدران الزنزانات لا يبكيكما. ويبكيكما طفل لا يتجاوز الخامسة "[2]، فالدارسة ترى أن هذه الصورة بعيدة عن الواقع حيث جاءت نتيجة بعد الكاتبة عن الحياة المعاشة ، فلو عاشت تجربة زيارة السجون وما يحدث فيها لما رسمتها.

إذ أنهم يعملون على تربية صغارهم على الحقد والكره للعرب " ولا يختلف اثنان أن المعايير الصهيونية تعتمد أساسا على العنصرية ، والنظرة الذاتية الفوقية ، وهذه المعايير أوجدت المجال الخصب، لنمو العقدة السادية بمساعدة مجمل معطيات استقيت من البيئة والتعاليم النوداتية، بعيدا عن المنطق الموضوعي "[3] .

وهناك موقف إنساني آخر ترسمه سحر خليفة لجندي إسرائيلي تعاطف مع أم أسامة إحدى شخصيات رواية (الصبار) ، والتي أصابها ألم حاد من شدة الحزن على ولدها أسامة ، فسألها أحد الجنود متعاطفا : " هل تشكين من شيء يا ست ؟

(1) خليفة، سحر، **ربيع حار** ، 109.
(2) خليفة، سحر، **الصبار** ، 160.
(3) السعد، جودت، **الأدب الصهيوني بين الارث والواقع** ، 119.

سقطت السبحة من يدها : أمسكت بحافة السرير ورأسها يتمايل . وقف الجندي قبالتها وسأل:

ألديك دواء ما ؟ هل أساعدك ؟ " [1].

ويرى عادل الأسطة أنه " ليس غريبا والحال هذه أن تعثر على شخصيات يهودية طيبة، كانت في بعض مواقفها ضحية كذب السلطة وخداعها ، ونادرا ما صور الكاتب في هذه الفترة شخصيات تحلل من خلالها شخصية اليهودي نفسيا أو اجتماعيا أو دينيا "[2].

وفي الرواية نفسها تصور خليفة جنديا إسرائيليا يشعر بالقلق ويخشى موت أم أسامة بين يديه ، لأنها مريضة .

"انسحب من الغرفة وهو يلقي على المرأة نظرات قلقة، فماذا لو ماتت السيدة؟ سيشيعون في المدينة أن الجنود قتلوا امرأة في السبعين بدون سبب"[3].

سؤال يطرح نفسه منذ متى يخشى الجنود موت الفلسطينيين بين أيديهم ؟ هذا العطف الذي أبداه الجندي عطفا مصطنعا ومفتعلا يخدم أغراضا بعيدة كل البعد عن النزعة الإنسانية[4].

" إشاعات وعرائض وشكاوي من رئيس البلدية والصليب الأحمر ، وسمعت إسرائيل المسالمة ستتعرض للتشويه والنهش "[5].

---

(1) خليفة، سحر، **الصبار** ، 143.
(2) الأسطة عادل، **صورة اليهودي في الأدب الفلسطيني**، عام 1982-1967 ، 73.
(3) خليفة، سحر، **الصبار**، 143.
(4) **السابق**، 183.
(5) **السابق**، 143.

وفي رواية (عباد الشمس) تصور سحر خليفة " خضرون " المستوطن الإسرائيلي الذي ولد لأم مصرية ،وأب ألماني يؤمن بأحقيته في أرض الميعاد مولدا وموطنا ، ويستغل وجده كقوة ظاهرة عينية، للاستيلاء على أرض الفلاحين مقابل تعويض لا يذكر[(1)].

" خضرون يقف على أرض عربية ، ويسكن بيتا عربيا ، ويستظل بعلم دولة استيطانية توسعية ، وحين تقوم الحرب يحمل أسلحة أمريكية ويحصد رقابا "[(2)].

وفي الرواية نفسها ترصد خليفة صورة لخضرون السادي الحاقد على السلطة التي لا تعيره قيمة مع أنه يهودي ، وتعتبر السادية من أكثر السمات التي تجرد الإنسان من إنسانيته وتعكس كيفية تعامله مع الآخرين ، فالسادية تعني " رغبة عنيفة في القسوة ، وتطبق بمعنى واسع على الإلتذاذ بإحداث الألم للآخرين[(3)]وهذا الأمر يعطي لليهودي الإسرائيلي رؤية ذاتية يحبها باعتباره نموذجا مثاليا يرتبط بأرض الميعاد ويمنحه ذلك القدرة على أن يقتل ويسجن ويعذب دون تأنيب ضمير وهذا يفسر استخدام العنف ضد الفلسطينيين إستراتيجية ثابتة "[(4)].

" أحس بالعجز والانفصام، أريد ولا أريد، أريد أن أمد يدي وأخاف أن يلتقطها الغرباء فتهتز، أريد أن أرى وأن أسمع وأن أظل أحس الحواس ، لكن العذاب بالمرصاد "[(5)].

إن اللافت للنظر أن هذا الطرح يخالف الفكرة الأساسية للمقولات الصهيونية ، والتي تعتبر العنصر الإسرائيلي المتحضر مقابل العربي المتخلف ، فكيف يمكن أن يلتقي المتحضر والمتخلف في آن واحد ويكون هناك تبادلا ثقافيا ؟ . مع أن التبادل الثقافي الذي زعموه، لم يتطرق إلى

---

(1) ينظر : زعرب ، صبحية عودة، **الشخصية اليهودية الإسرائيلية في الخطاب الروائي الفلسطيني** ، 35.
(2) خليفة، سحر ، **عباد الشمس** ، 244.
(3) علوش، سعيد، **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**، 109.
(4) زعرب، صبحية، **الشخصية اليهودية الإسرائيلية في الخطاب الروائي الفلسطيني** ، 164.
(5) خليفة ، سحر، **عباد الشمس** ، 272.

الصراع الحقيقي بين الفلسطينيين والإسرائيليين ، ولم يتحدث عن حق الفلسطينيين في العيش على أرضهم الأمر الذي يرفضه اليهود الإسرائيليون جملة وتفصيلا .

وفي رواية (عباد الشمس) ظهرت ملامح الانطوائية في الصراع الاجتماعي، والاقتصادي، وما يتمخض عن هذا الصراع من حاجز نفسي كثيف، بين اليهود أنفسهم الأشكنازم والسفارديم، وتمردهم على الطبقة الحاكمة المتمثلة في حزب الليكود .

"اكتشفنا أن الليكود يمثل ذوي المصالح ، وأنه غير معني بتغير الأوضاع الطبقية وبدأت البوصلة تتجه نحو اليسار وقبل خوض الحرب وجهنا كتابا إلى جولدا مائير قلنا فيه : الوطن معناه أن يكون لنا بيت ، وعمل ، وضمان اجتماعي ، ونحن محرمون من كل شيء، لا بيوت، لا رزق، ولا أمان، ولهذا فنحن غير ملزمين بالدفاع عن وطن ليس لنا وهكذا امتنعنا عن تأدية الخدمة العسكرية، فقاموا بتسديد ضربة، ترشوا بعضنا واضطهدوا بعضنا، ولاحقوا البعض الآخر " [1].

إذ كان الصراع قائما بين الإسرائيليين أنفسهم، فكيف يمكن أن يجروا مصالحة من الآخرين؟ وا ٍذا كانوا يعتبرون اليهود الشرقيين في مرتبة متدنية فكيف الحال بالنسبة للعربي، وهذا ما صورته سحر خليفة في رواية (عباد الشمس) على لسان اليهودي الشرقي خضرون : " الدعاية الرسمية وغير الرسمية كانت تقول ليهودي الشرق ، صحيح أنك في أسفل السلم ، إلا أن هناك من هو أسفل منك وأحط منك وهو العربي ، والنتيجة أن يهود الشرق كانوا وما زالوا أكثر عنصرية وتعصبا من الأوروبيون أنفسهم ، وهذا يفسر اعتماد الليكود اعتمادا كليا على أصوات يهود الشرق، وأول مبادرة سياسية قام بها الفهود السود كانت بانضمامهم لليكود " [2].

---

(1) خليفة ، سحر ، **عباد الشمس**، 240.

(2) **السابق**، 237.

وتظهر صورة اليهودي العدواني في الرواية الفلسطينية ، وقد اتخذ العدوان أشكالا متعددة منها : الضرب ، والركل ، والقذف؛ لأن اليهودي حين يمارس العنف ويعتدي على الآخرين يتخلص من مخاوفه فيصبح جديرا بالحياة[1].

وفي رواية (عباد الشمس) يعتدي الجنود على خضرة، المرأة دون رحمة تذكر "وابتدأت المعركة ، وصراخ خضرة وسباب الجنود ، وشد الشعر، ووقوع خضرة على الأرض، وسحبها لساق أحدهم، فركلة في بطنها، لكن خضرة تشبثت بالباب وهي تصرخ نحو الزاوية ، وأعمل فيها الثلاث ضربا وهي تجأر"[2].

وفي الرواية نفسها تتابع خليفة رصد الصورة عينها، لجندي يضرب سعدية دون رحمة ، لكنه رغم هذه القسوة يظهر عدم إيمانه بوجود الخالق ، وهو بذلك يظهر صورة العلماني الذي يعتقد أنه سيد الأرض ومن عليها . " وتقدم أحدهم من سعدية وفي عينيه بريق ، وأمسك بشعرها فصاحت : من شان الله هز رأسها في يده وجأر أي الله ؟ أي الله ؟ مفيش الله ، وأحست بصفعات ولطمات فترنحت وارتمت على الأرض "[3].

وفي صورة أخرى رصدتها رواية عباد الشمس ، مشهد عدواني لجنود لا يعرفون الرحمة اعتدوا على الناس ضربا ويرى محمد ربيع أن استعمال الضرب بصفته لوناً من ألوان العداء ما هو إلا وسيلة لإثبات الذات لإقناع الآخرين بأنهم تحرروا فأصبحوا قادرين على إلحاق الأذى، والضرر بغيرهم والعرب خاصة ، انتقاما عما لحق بهم من إذلال واضطهاد طيلة قرون طويلة[4].

---

(1) ينظر : الشامي ، رشاد، **الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية**، 212.

(2) خليفة، سحر، **عباد الشمس**، 81.

(3) **السابق**، 81.

(4) **أزمة الفكر الصهيوني المعاصر** ، 168.

" واصطف الرجال في ساحة المدرسة الكبيرة صفوفا مرصوصة ، داروا بينهم يستفزون هذا، ويصفعون ذاك ، وأمك ، وأختك ودينك ، وعرافيم ملوخلاخيم ، والسادات باس صرمتنا وصرمنا، انتو يا فلسطينيين بتطلعوا راس! خذ، خذ، خذ، وقست نظرات الرجال وتحجرت ملامحهم، ونفذوا الأمر دون نقاش وقرفصوا ،ورنت أصداء البساطير على إسمنت الساحة تدوي ، وطارت معها أفئدة الفلاحين "[1].

الجندي الإسرائيلي شخصية لا إنسانية ، شخصية لا تحترم أحدا ، لا تفرق بين طفل وبالغ ، بين حامل للسلاح وأعزل ، حتى الأطفال نالهم البطش والقمع . " خلال لحظات كان الشارع قد خلا إلا من جوقه أولاد يتقافزون كالعفاريت ، وكل يحمل على الكتف خشبة ويمشي بخطوات العساكر ورددوا في فراغ الشارع وحملت رشاشي وقبل أن يقولوا " إلا آ آ " وجدوا أنفسهم في سيارة جيش محاطين بوجوه ضخمة وبساطير، وتأكد كل واحد علامات الرضوض وآثار الأصابع على وجه رفيقه وتحسس خده وحاول بعضهم الهرب ، فتلقى الضرب حتى نزف ، وبكى أحد الأولاد ، وقست نظرات الآخرين واصطكت أسنانهم بفزع ونقمة "[2].

صورت سحر خليفة الآخر الإسرائيلي إرهابياً عدوانياً يشعر بالخوف والقلق وردة الفعل هذه جاءت نتيجة إخفاقهم في إيجاد حق أخلاقي أو ملكية صحيحة لفلسطين " ورد الفعل اليهودي على هذا الإخفاق إما الإرهابـوسفك الدماء وا إما أحلام اليقظة"[3].

" لماذا طلبت منها أن تلم شملك ؟ ألا تعجبك دول البترول ؟

- لأ .

- ولا أمراء البترول ؟

---

(1) خليفة ، سحر ، **عباد الشمس**، 244-243.

(2) **السابق** ، 43.

(3) الراهب ، هاني، **الشخصية اليهودية في الأدب الإنجليزي** ، 169.

- لأ .
- ومن يعجبك إذن ؟ عرفات ؟ حبش ؟ .
- من يعجبك ؟
- موش ديان .

ابتسامة هادئة .

- يعجبك موش ديان ؟ لماذا يعجبك موشي ديان ؟
- لأنه رجل حرب .
- وهل تحب الحرب ؟
- وهل تحبها أنت ؟
- أجب أسئلتي ولا تخرج عن الموضوع "[1]

صورة أخرى جديدة ترصدها سحر خليفة، لجنود على أحد الحواجز العسكرية وغالبا ما يستخدم الجنود، آلية تهدف إلى إذلال الناس عن طريق التفتيش الدقيق للمركبات، ليشعروهم بالعجز أمام غطرسة الاحتلال ، فها هي فتنة تزهق روحها إلى باريها وهي في انتظار العبور إلى المستشفى، وفي الوقت نفسه يعتدي الجنود على مازن ويضربونه. " فالجبن سمة متأصلة بالشخصية اليهودية الإسرائيلية متجذرة في نفسيته "[2] .

"هجم مازن على مؤخرة السيارة وفتح الباب لكن فتنة – في أثناء النقاش – كانت قد ارتحلت إلى باريها.

---

(1) خليفة، سحر، **الصبار** ، 19.

(2) إدريس ، محمد جلاء، **الشخصية اليهودية** ، 164.

هجم جنديان على مازن وسيارة الإسعاف وهما يصوبان السلاح ويصيحان : "وقف، وقف". وضربه أحدهما بخشبة الرشاش على رأسه فسقط على الأرض، وهجم الآخر، ثم اثنان يصيحان بوحشية " وقف، وقف "[(1)].

أبو نضال مناضل سوري، يشارك في عملية الكفاح الوطني الفلسطيني فيحكم عليه بالسجن، ويقضي محكوميته بعيدا عن وطنه وزوجته التي حملت في أحشائها طفلا خرج إلى النور دون أن يراه، فبدأ يتخيل صورته من خلال الرسائل التي كانت تصل إليه. " قال السوري حالما :

- § أرى وجه طفل لا أعرفه. يقولون بأن ابني اسمه نضال. وأتخيل خده موشوما بشهوة حمراء بحجم التوتة "[(2)].

وينفتح هذا الرجل أمام رفاقه في المعتقل و فيتخيل لحظة لقائه الأولى بزوجته، وترى الدارسة أنها بالغت في جعله ينفتح أمام زهدي الذي لم يعرفه إلا من فترة يسيرة، الأمر الذي يجعلنا نشك في مصداقية الصورة المطروحة" رفعت رأسي إلى أعلى فرأيت فخذين مضيئين كالبلور. كانت تحمل مكنسة القش بيدها وا إبريق ماء باليد الأخرى، تربط شعرها بمنديل أحمر، وفي جانب فمها سن ذهبي يلمع. وقالت بصوت كهديل الحمام : لا تؤاخذني أخي بس فتح عينيك منيح مرة ثانية. وقلت وأنا أفتح عيني جيدا وأتأمل بياض الفخذين :مفتح وشايف بس إنت شوفي حالي.

ترى الدارسة أن هذه الصورة صورة مبتذلة، إذ لا يعقل أن تقف المرأة شبه عارية، وتجري حوارا مع مارّ بالطريق دون أن تكون محتشمة، كما وترى أن خليفة ترمي من وراء هذا الطرح التأكيد أن نظرة الرجل الشرقي للمرأة نظرة جنسية، فهي جسد ليس إلا، وهل يعقل أن يصف الرجل

---

(1) خليفة، سحر، **الميراث**، 316.

(2) خليفة، سحر، **الصبار**، 152.

زوجته أمام رجال يتعطشون إلى الحديث عن المرأة التي حرموا منها بسبب سجنهم ليعيشوا معها بخيالاتهم (1).

وفي مشهد آخر ترصد فيه الآخر السوري أيضا، حين أتت عائلته لزيارته "واندفع السوري من المخيطة راكضا. تنازل الطفل من ذراعي زهدي والتحم به وبكى، ومسيرة البكاء طويلة. أطول من عمر النضال. وازدهار تقف وراء الطفل تمسح دموعها. والجدة المتلفعة بالسواد كادت أن تتهاوى على الأرض فتلقفتها أيدي الرجال، وصاح واحد بصوت هادر :

§ الله أكبر يا رجال. عاشت فلسطين حرة عربية "(2).

حاولت خليفة أن ترسم صورة مؤثرة للقاء جمع طفل بأبيه، لكنها أخطأت في التصوير، فغاب عنها أن الزائرين لا يسمح لهم بدخول ساحة السجن، وأن المساجين لا يخرجون من أماكن عملهم،أو من غرفهم، إلا بإذن وتصريح وفق لوائح معروفة بما يسمى " الفورة ".

وكيف استطاع المساجين أن يهتفوا لفلسطين، دون أن يتدخل أحد لقمعهم ؟ أرى أنها بالغت في رصد هذه الصورة فهي لم تصور واقعا وإنما صورت ما تمنته بصفتها كاتبة.

أما في روايتها (صورة وأيقونة وعهد قديم) فتصور خليفة الآخر العربي الذي يخطب فتاة فلسطينية مجرد أن رأى صورتها، دون أن يعرفها، فقد تعرف إلى والدها في إحدى الرحلات، وتتزوج الفتاة من هذا الرجل الذي لم تعرف عنه شيئا سوى أنه يعيش في الصحراء، فقد يكون ليبيا أو سعوديا أو كويتيا، أهم ما في الأمر أنه رجل ثري، أرمل أو مطلق، له أولاد ويحتاج إلى خادمة باسم زوجة لرعايتهم هكذا كان الهدف. " أبي دبر الموضوع عن طريقه وعلى طريقته وأسلوبه. قابله في إحدى الرحلات، وتغدى معه وسأله ماذا وكيف وأين وعرف منه أنه بثلاثة أولاد وبلا زوجة.

---

(1) خليفة، سحر، **الصبار**، 153.

(2) **السابق**، 160.

أرمل أم مطلق، لا أذكر، لكنه بدون زوجة. سأله " أزوجك " قال الآخر " ألديك عروس ؟ " قال الوالد " بنت مليحة، كبيرة شوية، 35، لكن ناضجة وتنفع أولادك وتقوم بك؛ لأنها ما شاء الله من جميعه، حلوة وبنت ناس ومحترمة، ست بيت وخياطة وطباخة على كيف كيفك ". قال الآخر " وبتاخذني؟ عندي أولاد زي العفاريت " قال الوالد وهو يبتسم " وهي عفريتة على كيف كيفك ". حملق الآخر وسأل " نعم ؟! " قال الوالد " ذكية ومقتدرة وفنانة. اسمع مني بتشوف الخير " وصار النصيب على الصورة "[1]، وترى الدارسة أن هذه الصورة ما هي إلا تأكيد على أن المرأة في المجتمع العربي الفلسطيني مستضعفة، مستعبدة ومهانة ولا دور ولا رأي لها أمام جبروت الرجل.

و في الرواية نفسها، صورت خليفة اليهود الروس القادمين من روسيا مهاجرين إلى أرض اللبن والعسل، حملوا معهم أفكارا يؤمنون بها، تمثل الفكر الماركسي وطبقوا الشيوعية منهج حياة لهم. " أنا يا سيدي اشتغلت في كيبوتس[2] أحمر يعني شيوعي أو اشتراكي، أو شو تسميه زي ما بدك، يعني المهم كانوا أوادم. بس اوعى تقول هدول أوادم مع بعضيهم، لكن معنا اوعى تصدق، بس المظبوط كنت آخذ معاشي عالليرة وعمرهم ما فرطوا ولا مليم وصاروا ينادوني لناديهم ويقولولوا تعال تثقف معانا"[3].

الجدير بالذكر أن خليفة أرادت بمثل هذه الصور الإشارة إلى هجرة اليهود السوفييت إلى فلسطين وفق المخطط الإسرائيلي، الذي يهدف إلى تغيير ديمغرافيا السكان في فلسطين المحتلة عام 48 ليصبح عدد اليهود فيها أكثر من عدد العرب، نرى أن هؤلاء تركوا بلادهم التي ولدوا فيها

---

(1) خليفة، سحر، **صورة وأيقونة وعهد قديم**، 32 – 33.

(2) جمع سكني تعاوني تضم جماعة من المزارعين أو العمال اليهود الذين يعيشون ويعملون سوياً، ويبلغ عددهم ما بين 40 و1500 عضو.

(3) خليفة، سحر، **صورة وأيقونة وعهد قديم**، 203.

وترعرعوا وجاءوا إلى فلسطين ليطردوا أهلها ويستوطنوا فيها بدلا منهم ونراهم من جهة ينادون بحقوق العمال، ويدوسون الفلاحين الفلسطينيين ويعتدون على ممتلكاتهم من جهة أخرى.

"يا الله نهاق، اركب اوتومبيل الرهاص وادخل من هون. ادخل على فين؟ قال مش مهم، إنت بس أدخل. أدخل من فين ؟ فيه سور وسياج وأرض الجيران والفلاحين وبكرة يقوموا وينزلوا فينا ! قالوا : " عرافيم " سمعتها بأذني مع أنه اللي قالها كان يوشوش. بس أنا سمعت. قال بس أدخل، أدخل اتومبيل الرهاص فوق الحديد وسياج الشوك "[1].

لم يهاجر إلى إسرائيل أبناء الطبقة الكادحة في روسيا فقط، بل هاجر المثقفون أيضا إليها، فبعد أن أفلست الدولة ولم يعد بالإمكان الاهتمام بمواطنيها كما كان الأمر، قرر المثقفون الهجرة، فهاجر جزء منهم إلى بلاد اللبن والعسل التي وعدوا بها، وطالما حلموا بها، ولكنهم عندما وصلوا إلى أرض الميعاد اصطدموا بالواقع المرير المعاش فاستيقظوا من نومهم على بقايا كابوس مزعج.

" وكان الرحيل إلى إسرائيل، بديلا مطروحا فلحقت بالكرب ولحق بها. لكن نينا اندمجت في السوق؛ لأن السوق في حاجة لشباب ودماء الشباب ورقص وعري في الحانات، أما ايلاي فماذا لديه سوى قلمه ؟ وماذا يكتب عن جو يجهله وبأية لغة؟ والدولة الجديدة لا تدعم ولا تتبنى، بل تدعك لشأنك وطلبات السوق، والسوق تقرر ما المطلوب "[2].

ايلاي هو فنان روسي من موسكو، كان يعمل في أحد المسارح الهمة في بلاده، لكنه لم يعد بإمكانه العمل في موسكو فهاجر إلى إسرائيل بحثا عن فتاة أحبها تدعى نينا و وبهذا أصبح لا يملك حق العودة إلى موسكو؛ لأنه خرج منها مهاجرا، ولم يعثر على نينا التي تركته ولحقت بركب جديد، أعطاها مجدا وشهرة.

---

(1) خليفة، سحر، **صورة وأيقونة وعهد قديم**، 203.

(2) **السابق**، 209.

" وبما أن ايلاي ليس سلعة أو فلنقل سلعة قديمة لا تناسب مع روح الجو، فقد لجأ إلى نزل صغير بسعر رخيص بانتظار العودة إلى بلده، أي إلى موسكو، لكن موسكو لا ترضى به "[1].

ولعلها بهذا تشير إلى الغزو النسوي الروسي لأسواق العمل المختلفة في إسرائيل، مما أحدث تغيرات في القيم السائدة في المجتمع اليهودي الإسرائيلي، صورت خليفة ايلاي اليهودي الروسي وقد ذهب إلى مدينة القدس برفقة صديقه العربي " أبو يوسف " في يوم جمعة مليئة بالأحداث السياسية، حيث المظاهرات احتجاجا على سياسات الاحتلال المختلفة، ويموت ايلاي دهكا ويبكيه صديقه، والسؤال الذي تطرحه الدارسة هنا : ما الذي ترمي إليه خليفة من خلال هذا الطرح الغريب ؟ علما أن اليهود على شاكلتهم لا يجازفون بأرواحهم ولا يعيشون مع العرب فرادى كما فعل ايلاي، فالقادمون الجدد حالهم كحال أي يهودي لا بد أن يتعلم في معاهد خاصة وأن يطبق تعاليم معينة، ولا يترك هكذا وا ٍنما يتابع مدة من الزمن حتى تترسخ لديه قواعد كره العرب حسب الكتاب المقدس " أنتم أيها الإسرائيليون يجب أن تكونوا رؤوفين عندما تقتلون عدوك، عليكم أن تشفقوا عليهم ما دمنا لم نقض بعد على الحضارة العربية التي سنبني على أنقاضها حضارتنا"[2].

وبما أنهم يحذرونهم من العدد الأكبر و هم العرب، فكيف يمكن أن يبني أواصر صداقة مع العرب، ويذهب برفقتهم إلى أكثر مكان يتصارعون مع العرب عليه.

"وبعد دقائق انفرج الجو من ناحيتي ورأيت إيلاي يسبح بالدم، ركع أبو يوسف بجواره وأخذ يهزه " إيلاي، إيلاي ! قوم يالله نروح " لكن إيلاي كان عجينة مثل الخرقة، جسد بلا روح ولا معالم، فصاح أبو يوسف من خوفه ورؤيته معالم مشوهة، بقايا إنسان، وأخذ يولول " وله يا إيلاي،

(1) خليفة، سحر، **صورة وأيقونة وعهد قديم**، 209.

(2) ايفانوف يوري، **احذروا الصهيونية**، 113.

ليش رحت بعيد ؟ " أمسكت به وقلت أصحيه " يا أبو يوسف، هذا مفارق ! " دفعني وقال " لأ مش ممكن، مش ممكن يموت. " " يا أبو يوسف هذا مفارق." التفت إلي وقال بحدة، " أنت من القدس ومش حاسس، بس أنا حاسس، ايش بدي أقول إذا سألوني وين راح إيلاي ؟ أقولهم راح تحت الرجلين ؟ كيف بدي أرجع للناصرة من غير رفيق قل لي شو أعمل؟ ايش بدي أقول " قول المرحوم فارق في القدس"[1].

ترى الدارسة أن هذا الموقف قد يكون إشارة من الكاتبة بموت الدور السوفييتي، بالنسبة للشعب الفلسطيني وقضيته في ظل المتغيرات الجديدة التي طرأت في العالم عامة.

وفي الأول من تشرين الأول عام 1948 انعقد مؤتمر فلسطيني في عمان دعا فيه المؤتمرون إلى وحدة فلسطينية أردنية، في أعقاب حرب 1948 واحتلال إسرائيل فلسطين وطرد أهلها منها، وفي الأول من كانون الأول من العام نفسه عقد المؤتمر الفلسطيني الثاني في أريحا وقرر المؤتمرون الدخول في وحدة مع الأردن "[2].

وحين أعلن قيام منظمة التحرير الفلسطينية، في الثامن والعشرين من أيار عام 1964 دخل الأردن مرحلة صراع حاد مع المنظمة ورئيسها أحمد الشقيري، إذ قامت منظمة فتح بأول عملياتها في الأول من كانون الثاني عام 1965، واتخذت من الأردن طريقا تسلكها للنفاذ إلى أهداف العدو، وقامت إسرائيل بعدها بغارات انتقامية كان أهمها غارتها على السموع عام 1966 حيث قتل واحد وعشرون شخصا وجرح سبعة وثلاثون، اتهم الأردن على أثرها بعجزه عن الدفاع عن الشعب الفلسطيني [3].

---

(1) خليفة، سحر، **صورة وأيقونة وعهد قديم**، 257.

(2) عبد الهادي، مهدي، **المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية** ، 178–186.

(3) ينظر: طملية، فخري أحمد، **البطل في الرواية الفلسطينية والأردنية 1948–1976**، إطروحة دكتوراه، 74–73.

هوجم الملك حسين، الذي شعر أن الفلسطينيين تخطوه بصفته ملكاً حين استخدموا الأراضي الأردنية ممراً لهم في أولى عملياتهم ضد الكيان الصهيوني، وثاروا؛ لأنه لم يتمكن من حمايتهم" انقلبوا علي يهاجمونني؛ لأني عارضت أن يقوم رجال أحمد الشقيري، زعيم منظمة التحرير وقتئذ بشن عملياته من الأردن" (1).

وبهذا بدأت سياسة القمع ضد فلسطيني الضفة الغربية، فأغلقت على أثرها المؤسسات الثقافية، ومنعت التجمعات، وممارسة النشاطات المختلفة، وخضع كل من يشتبه فيه للمساءلة القانونية.

" تتساءلين أين المثقفون في هذا البلد ؟ كنت أود لو أنك عاصرت النادي وزواره. عبد الرحمن الميثلوني كان أحد مؤسسيه طبعا، عندما اعتقل عبد الرحمن وكان ذلك منذ مدة طويلة استمر النادي في القيام بنشاطاته، ولكن عملية التصفية كانت ما تزال على قدم وساق، وبالتدريج انتقلت إدارة النادي إلى الجفر "(2).

ترى الدارسة أن خليفة تحدثت عن اعتقال عبد الرحمن لنضاله السياسي، في فترة مهمة في تاريخ الشعب الفلسطيني، لكنها لم تشر إلى نوع النضال، ولم تتحدث عن كيفية الاعتقال والمصير الذي آل إليه هناك، وفي نهاية الرواية أعادت خليفة الأمور إلى بدايتها،فها هو ذا عبد الرحمن يعود مجددا إلى السجن في قضية لا علاقة له بها وهنا يمكن أن نرى صورة الآخر رجل المخابرات، أو الضابط الأردني، الذي يتعامل مع عبد الرحمن الفنان المثقف بطريقة قاسية.

"وعندما مر الجميع أمام مخفر الشرطة المتواضع، أوقفهم رجال البوليس وطلبوا شهودا للحادث، فدخل عبد الرحمن، ومعه علاء الدين وأحد الفلاحين، وأجريت اتصالات. وتبودلت

(1) طلال، الملك حسين، **مهنتي كملك**، 213

(2) خليفة، سحر، **لم نعد جواري لكم**، 112.

الأوامر والإشارات. ووجد عبد الرحمن نفسه بعد ساعات في غرفة ضيقة من سجن نابلس الكبير وأحد الضباط المرتزقة يقول له وعلى وجهه ابتسامة ساخرة لئيمة : " حيث يكون الميثلوني تكون المشكلات ! "[1].

وترصد خليفة في الرواية نفسها،المعاملة القاسية التي يتعرض لها السجين الأمني في العالم العربي خاصة، حيث الضغوطات النفسية، وسوء المعاملة، وقلة النظافة، والإذلال في الطعام ونوعه، كلها أمور تهدف إلى تحطيم نفسية المعتقل وتحضيره لما ينتظره من رحلة عذاب مجهولة.

"في الليل نام في السجن مع اللصوص وقطاع الطرق، وفي الصباح اقتيد إلى عمان. وابتدأ التحقيق معه حول موت الطفلة، ثم انتهى بالتحقيق في تهم لا أول لها ولا آخر : فهو متآمر، وخطير، ويهدد الأمن وسلامة العرش والدولة، وهو عميل للشيوعية، كما أنه مجرم سياسي، ودجال وطني !، وفي الليلة التالية، أركب في سيارة مغلقة الجوانب، وأخذ إلى معسكر مجهول في الصحراء، حيث أجلس في سيارة في غرفة ضيقة لساعات طويلة، يجيب عن أسئلة المحققين.وبعد التحقيق اقتيد إلى زنزانة مظلمة حيث قدمت له وجبة من الخبز والماء، ونام على الأرض بدون غطاء "[2].

ترصد خليفة صورة الآخر العربي في رواية (باب الساحة)، حيث تركت نزهة زوجها وطفلها الرضيع من أجل حلاق في عمان، جل اهتمامها تركز على الجانب الخارجي من شخصية فوصفته بأنه جميل ويتحدث بنعومة ويتابع صيحات الموضة.

" هربت مع واحد حلاق طلع هو الثاني حيوان ورماني بعد شهرين.

- هون في نابلس ؟.

---

(1) خليفة، سحر، **لم نعد جواري لكم**، 177.

(2) **السابق**، 177

- لأ في عمان. كنت مجوزة في عمان. ولما الحلاق رماني ولقيت حالي لا طلعت من هون ولا من هون رجعت لفلسطين المحتلة.

- وليش هربت معه ؟.

- في هداك الوقت فكرت حالي بحبه. حلاق وعيوق ومزنطر وبحكي لبناني ويلبس إسوارة. وأنا كنت لسة صغيرة ومشتهية أحب وأنحب. حبيته أو فكرت حالي بحبه. ومع جوزي كان بهيم وحمار. وقعت وما حدى سمى علي. ورميت ابني ورميت جوزي وحملت اللي خف حمله وغلي ثمنه وهربت[1].

أما في رواية (مذكرات امرأة غير واقعية) فتتحدث خليفة عن الآخر العربي الفلسطيني الذي يعيش في الأردن بعد أن كان يعيش في الضفة، تلتقيه في عمان في أثناء عودتها إلى فلسطين المحتلة وتجدد علاقة الصبا معه، فتبقى فترة من الزمن غير آبه بالعادات، والتقاليد التي طالما حوصرت بها ولا بواقعها الجديد كونها امرأة متزوجة، جلّ اهتمامها إشباع غرائزها المكبوتة فقط.

"أيام مرت وأنا ما زلت أدور معه. لم ندع ناديا لم ندخله. لم ندع معرضا للرسوم لم نتفرج عليه، لم ندع قهوة لم ننغص هدوءها. وأصبحت لنا ذكريات جديدة معا،في ذلك المقهى على طرف الشارع شربنا البيرة وداعبنا صبيا يدخن قمعة سيجارة.

وعند ذاك الصديق تغذينا،وسمعنا أغنيات قديمة لعبد الوهاب،وجلسنا على السجادة وتربعنا وتبادلنا القبل اختلاسا. وفي ذاك المكان والموسيقى الهادئة تموج في أعلى طابق وأضواء عمان تلمع خلف الزجاج، سالت دموعنا ونحن نتشبث باليدين خوفا من الإفلات والفرقة ثانية. كان يعرف

(1) خليفة، سحر، **باب الساحة**، 90.

أننا سنفترق وما كنت أعرف، كنت أحس لكني كنت أهدئ الروع بقولي : غددا أتحرر وأكون له، غدا يتحرر ويكون لي "[1].

والملاحظ أن الكاتبة التقت في أثناء عودتها إلى فلسطين المحتلة صدفة " حين التقينا كانت الدنيا مساء. وجدته أمامي فجأة "[2].

هذه الشخصية لم تكن واضحة المعالم عندما تحدثت عن حبها الذي عاشته وكان سبب زواجها " كنا اثنين وثالثنا القمر. هكذا بدأ الحب وانتهى..... قلت بجرأة : لأول مرة أمر بموقف كهذا، أسير مع ولد في الشارع وقت المغرب. قال عابسا : لست ولدا أنا رجل. تأملت حافة وجهه وقد بدا شاحب الظل في الضوء الشاحب. وضحكت بخفة. وأحسست أني أكبره رغم أني أصغره. وأحببته بشفافية فتاة صغيرة وعمق امرأة كبيرة ورومانسية فتانة هاوية. وبت أحلم في أننا سننام يوما على سرير خشبي صنع من فروع الشجر، ونستظل سقفا قرميديا والعصافير تزقزق. هكذا عرفت الحب، من خلال رسالة ساذجة ومشوار ناعم على شرفات الغروب وبكاء محترق على نغمات أغنية عاطفية لعبد الحليم "[3].

---

(1) خليفة، سحر، **مذكرات امرأة غير واقعية**، 105.

(2) **السابق**، 101.

(3) **السابق**، 22.

الخاتمة :

بعد أن أمضت الدارسة وقتاً طويلاً مع روايات الكاتبة سحر خليفة ، وجدت أن الكاتبة تأثرت بالحياة البرجوازية التي عاشتها في المجتمع النابلسي الذي يميز بين شرائح المجتمع. فتنظر إلى الشريحة البرجوازية بأنها تمتاز عن بقية الشرائح، حيث أهملت المخيمات في نابلس، مع أن أبناء المخيمات قدموا الكثير للشعب من الشهداء والأسرى والمبعدين. فهم نواة المجتمع الفلسطيني الذي هجر سنة 1948.

فقد صورت الكاتبة سحر خليفة المجتمع الفلسطيني صوراً حيةً نابضةً تنطق بتحولات القضية الفلسطينية وانعكاساتها على الشعب الفلسطيني بعامة والرجل بخاصة.

كما تعد روايات سحر خليفة سجلاً تاريخياً لتحولات القضية الفلسطينية يعين الدارسين في حقلي التاريخ والاجتماع؛ بما يوثقه من أحداث ومشاهدات في المراحل المفصلية في تاريخ الشعب الفلسطيني.

وترى الدراسة أن بعض صور الرجل في روايات سحر خليفة قد وردت باهتةً على الرغم من أهميتها في الحقبة التاريخية التي ترصدها، كما في شخصية المختار التي وردت فاترة غير واضحة المعالم وسطحية التأثير.

لقد صورت الكاتبة المثقف في قالب التحرر والانفلات من قيم المجتمع الفلسطيني وعاداته. فجعلته مكبا على شرب الخمر، وعلى العلاقات غير الشرعية والتخلق بأخلاق لا يرتضيها المجتمع الفلسطيني.

عملت الكاتبة على تجسيد الاختلافات الجغرافية بين فئات المجتمع الفلسطيني جميعها، فقد كان عليها أن تمحو كل اختلاف يؤدي إلى تعميق فكرة التمييز، والتحيز لمنطقة جغرافية على حساب مناطق أخرى.

فقد سلطت الكاتبة الضوء في رواياتها على ابن المدينة مهملة ابن القرية، وابن المخيم. وكأن أبناء القرى والمخيمات لا يفعلون شيئاو لا قيمة لهم.

كما أنها التفتت إلىابن الضفة وبينت أنه أفضل بكثير من ابن غز ة فهل ابن الضفة فلسطيني وابن غزة غير فلسطيني ؟!.

كما أن الدارسة لاحظت أن الكاتبة تجاهلت القيادات في فلسطين، فلم تسلط الضوء على أي قائد قدم الكثير لأبناء أمته، فقد ركزت على الفئات المهمشة والكادحة في المجتمع؛ إيماناً منها بأن الأديب الحقيقي ليس بالضوورة أن يكون زماراً للسلطان.

صورت الكاتبة الرجل في فلسطين بأنه سلبي، عاشق ولهان، يحب، يكره، يزني، يدخل البيوت سرا حتى لا يفضح أمره.يسمح لنفسه أن يفعل حسب شهواته ورغباته ولا يسمح لأخته، فالذكر مسموح له أن يقيم علاقات عشق، حب، أما أخته لا يجوز لها أن تقيم علاقات مع أي شخص. فهو مجتمع ذكوري.

ربما جاءت هذه الصورة عند الكاتبة؛ لأنها عاشت مع مجتمع يميز الذكر عن الأنثى. فبعد زواج والدها من امرأة ثانية حتى تنجب له الذكور انعكس الأمر وكأنها أسقطت ما تشعر وتحس به على كتاباتها. فجاءت الصورة الذكورية سلبية.

ويمكن القول أن الكاتبة سحر خليفة قد انطلقت في تصويرها الرجل من زاوية الأنثى؛ فالضد بالضد يعرف، وا ٕن رسم صورة للمرأة في المجتمع الفلسطيني وما تعانيه من قهر وحرمان لتبدو واضحةً من خلال صورة الرجل وما يمارسه في المجتمع من سلوكيات بحق هذه المرأة.

أما أهم التوصيات التي تقدمها الدراسة فتتمثل في:

- دراسة صورة الرجل في الرواية الفلسطينية في الأدب النسوي.

- § إجراء دراسة مقارنة لصورة الرجل في النتاج الروائي لسحر خليفة وأحد الروائيين الفلسطينيين.
- § إجراء دراسة مقارنة لصورة الرجل في الرواية النسوية الفلسطينية عند سحر خليفة وروائية فلسطينية أخرى.
- § تسليط الضوء على إحدى صور الرجل الواردة في الرواية النسوية الفلسطينية ودراستها دراسة تحليلية.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

- § القرآن الكريم
- § خليفة، سحر:

لم نعد جواري لكم، دار الآداب، بيروت، الطبعة الثانية، 1999.

الصبار، منشورات جاليليو، مطبعة الشرق التعاونية، 1976.

عبّاد الشمس، القدس، 1980.

مذكرات امرأة غير واقعية، دار الآداب، الطبعة الثانية، 1992

باب الساحة، دار الآداب، بيروت، الطبعة الأولى، 1990.

الميراث، دار الآداب، بيروت، الطبعة الأولى، 1997.

صورة وأيقونة وعهد قديم، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 2006.

ربيع حار، منشورات مركز أوغاريت الثقافي للنشر والترجمة، رام الله، فلسطين، الطبعة الأولى، 2004.

المراجع

- § ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق علي شبري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1988.
- § أبو بكر وليد، **الواقع والتحدي في رواية الأرض المحتلة.** دار الثقافة في م. ت. ف، الطبعة الأولى، 1995.
- § أبو خضور، محمد، **النكتة الاسرائيلية**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، الطبعة الثانية، 1980.
- § أبو مطر، أحمد عطية، **الرواية في الأدب الفلسطيني 1950-1995**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1985.
- § الأسطة، عادل، **صورة اليهودي في الأدب الفلسطيني الحديث**، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، 1982.
- § أفاية، محمد نور، **الطرب المتخيل: صورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، د. ط، 2000.

§ إيفانوف يوري، **احذروا الصهيونية**. منشورات وكالة أبناء توفوستي، موسكو، 1969.

§ إدريس، محمد جلاء، **الشخصية اليهودية**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1993.

§ البحراوي، إبراهيم، **أضواء على الأدب الصهيوني المعاصر**، دار الهلال، القاهرة، 1972.

§ البحراوي، حسن، **بنية الشكل الروائي**، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، الدار البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، 1985.

§ حجازي، مصطفى، **التخلف الاجتماعي سيكولوجية الإنسان المقهور**، الدار البيضاء المركز الثقافي العربي، الطبعة الثامنة، 2001.

§ الحمداني، حميد، **الرواية المغاربية بين الأنا والآخر والبحث عن الهوية**، معهد البحوث والدراسات العربية، الطبعة الأولى، 1999.

§ خليفة، سحر، أنا **وحياتي والكلمة أفق التحولات في الرواية العربية دراسات وشهادات**، دار الفنون، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان الأردن، الطبعة الأولى، 1999.

§ الراعي، علي، **الرواية في الوطن العربي**، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1992.

§ الراهب، هاني، **الشخصية اليهودية في الأدب الانجليزي**، مركز الأبحاث الفلسطينية، بيروت، الطبعة الثانية، 1980.

§ ربيع، محمد، **أزمة الفكر الصهيوني المعاصر**، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، الطبعة الثانية، 1999.

§ الزراد، فيصل، محمد خير، **الأمراض العصابية والذهانية والاضطرابات السلوكية**، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، 1984.

§ زعرب، صبحة، **الشخصية اليهودية الإسرائيلية في الخطاب الروائي الفلسطيني 1967-1997**، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 1979.

§ زلوم، حمودة، **الشخصية اليهودية في الأدب الفلسطيني الحديث**، منشورات رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، 1962.

§ سمارة، عادل، **مثقف ثوري، أم مثقف كامبي، قضايا وشهادات**، مؤسسة عيبال الثقافية، قبرص، 1991.

§ سليمان نبيل، **وعي الذات والعالم: دراسات في الرواية العربية**، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، الطبعة الأولى، 1985.

§ السعد، جودات، **الأدب الصهيوني بين الإرث والواقع**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، الطبعة الثانية، 1985.

§ الشامي، رشاد، **الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية**، دار الزهراء، القاهرة، الطبعة الثانية، 1999.

§ طلال، الملك حسين، **مهنتي كملك**، ترجمة غالب طوقان، عمان، الأردن، د.م، 1976.

§ عبد الله، عبد البديع، **الذاتية والغيرية**، مكتبة الآداب، القاهرة، 1995.

§ عبد الهادي، مهدي، **المسألة الفلسطينية، مشاريع الحلول السياسية 1974- 1934**، المكتبة العصرية، صيدا، 1947.

§ علوش، سعيد، **الرواية والأيديولوجيا في المغرب العربي**، دار ابن رشد، بيروت، الطبعة الأولى، 1987.

§ فهمي، مصطفى، **الصحة النفسية**، دار الثقافة، مصر، الطبعة الثانية، 1967.

§ الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، المطبعة الحسينية، مصر، 1330/ الجزء الثالث.

§ القاسم، نبيه، **مراودة النص: دراسات في الأدب الفلسطيني الرواية، القصة القصيرة، النقد.** مطبعة المشرق، شفا عمرو، الطبعة الأولى، 2007.

§ لبيب، الطاهر، **صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1999.

§ الماضي، شكري عزيز، **الرواية العربية في فلسطين والأردن في القرن العشرين**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2003.

§ **المثقفون والتقدم الاجتماعي**، مجموعة من الباحثين، ترجمة شوكت يوسف، وزارة الثقافة، دمشق، 1984.

§ مناصرة، حسين، **المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية**، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2002.

§ ناجي، سوسن، **صورة الرجل في القصص النسائي**، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2006.

- § نجيب، محمود زكي، **هموم المثقفين**. دار الشروق، بيروت، الطبعة الأولى، 1981.
- § وادي، فاروق، **ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981.

الرسائل الجامعية

- § أبو هدروس، محمد أيوب، محمد عبد الله، **الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة الغربية وقطاع غزة 1967-1993**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 1996.
- § الشامي حسان، رشاد، **المرأة في الرواية الفلسطينية 1965–1985**، رسالة دكتوراه جامعة تشرين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، 1997.
- § طميلة، فخري أحمد، **البطل في الرواية الفلسطينية والأردنية من 1976 -1948**، أطروحة دكتوراة، حلقة ثالثة، جامعة القديس يوسف، بيروت، 1981.
- § عبيدات، حسن، **رؤية الآخر في الرواية الفلسطينية المعاصرة 1973-2000**، رسالة دكتوراةمعهد البحوث والدر اسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، 2002.
- § العيلة، زكي، **المرأة في الرواية الفلسطينية المعاصرة1973 – 2000**، رسالة دكتوراة، جامعة الدول العربية، القاهرة، 2002.
- § القاضي، إيمان، **البطل في الرواية الفلسطينية 1965– 1990**، رسالة دكتوراة، جامعة دمشق، 1995.

الدوريات

- § ابن عبد الحي، محمد، **المثقف، المنزلة والدور**، مجلة المعرفة، العدد 372-1992.
- § بركات، حليم، **الاغتراب والثورة في الحياة العربية**، مجلة مواقف، العدد الثاني 1969.
- § الجريري، علي، **لقاء مع الروائية الفلسطينية سحر خليفة**، مجلة عبير، العدد الثالث والثلاثون، كانون أول، 1990.
- § ظاظا، حسن، **الشخصية الإسرائيلية**، مجلة آفاق المعرفة، المجلد العاشر، العدد الرابع، 1980.

§ دراج، فيصل، **دراسة في رواية سحر خليفة: قول الرواية وأقوال الواقع**، شؤون فلسطينية، العدد 1981،112 .

§ زهران، جمال علي، **تأثير الأوضاع المجتمعية على دور المثقف العربي**، مجلة الوحدة، العدد40، 1998.

§ سلامة، يوسف، **من الثقافة المركزية إلى الثقافة الوطنية: قضايا وشهادات**، مؤسسة عيبال، قبرص، العدد الرابع، 1991.

§ شعبان، بثينة، **سحر خليفة وامرأة غير واقعية**، الموثق الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 213 – 212، 1998– 1989، مجلة عالم المعرفة الكويتية، المجلد العاشر، العدد الرابع.

§ الكفراوي، محمد، **المرأة تحجبت فتحجمت ولكي يحجموها حجبوها: رد على الروائية الفلسطينية سحر خليفة**، مجلة عبير، العدد الرابع والثلاثون، 1991.

§ مكسيمنكوف، **نشأة الأنتلجنسيا الأفروآسيوية**، ترجمة شوكت يوسف، مجلة المعرفة، العدد 262، 1983.

المواقع الالكترونية:

§ جبر يحيى، **قدري طوقان** ، blogs.najah.edu/staff/**yahya**-jaber/**article**/**article**-61

§ نشوان، حسين، **الفردوس المفقود والحب الضائع** / مقال انترنت / http://www.worldcelebrities.net

فهرس الموضوعات

The picture of the man in the Palestinian Females' novel

Preparing by: Majdoleen Swetty
Supervision: Dr.Nader Qasim

The Summary

This research takes the subject of "The picture of the man in the Palestinian Females' novel".
The novel deal with the different sides of life and its wide fields, and give a live pictures for the living situation, beside giving the listener a chance for entering the papers and interact with it, the thing that make it objected from readers, critic, and researchers, not for any thing except for their observing the art of novel as they travel in a show of the human active phenomena and the fields of human life.
As for the purpose of this research its focus on an angle which were the least considered by the researchers by itself that is the look of the woman to the man through the art of novel, as this research was a trial for observing the picture of the man in the novel of Palestinian writer; Sahar Khalifa whose consider as a photographer show for the man in his structure, dimension and different impression, so Sahar Khalifa novel production consists of the minute period in the Palestinian history strugglr, case and fight, which make it historical and documented file for the transportation of the Palestinian case and the Israeli acts towards Palestinian and what came from it as circumstances and transportations in the Palestinian society where the man never be absent as it's a males society, all in all male even from the outside.
As for the method of study it was represented by describtion and analysis beside make use of the psychological method, while showing the picture of the man and drawing its dimensions the study was taking the first method and using the help of the second in taking depth and measure some pictures and analysis them a psychological side.

The first chapter reveal of a positive picture of the man as struggler pursuit, lover, martyer and prisoner with a clear picture of every man of these.

The second chapter came to earmark the opposite of which came in the first chapter, since it reveal the negative picture of the man like the hireling, the caring and the time serving.
The third chapter reveal the typical picture of the man as in character of the father, educated husband, brother and man of god, which is almost the same type in all societies.
Then came the fourth chapter of the research to talk about the picture of the "other" in shars Khalifa novels from tow angles: "The other Jewish" who was always presence the occupation circumstances like a Zionist, a settler, a man of the peace and a soldier… etc, 'the other Arabic "who was rare presence for blockade of Palestine like a secret service Jordanian man and a Syrian prisoner… etc.

The most important results of study:

- § Sahar Khalifas novels didn't represented the Palestinian society different sections, and this was when she concentrated the talking on city people in general and Nablus resident in particular and neglected the talking about village people, camps and disapora.
- § The writer "Sahar Khalifa" neglected talking about the Palestinian platoons and her patriot part in the Palestinian struggler, which was obvious when she take same faint and cold political attitude without depth.
- § Sahar Khalifa framed the picture of the educated person to make him liberal from the Palestinian society values and traditions as he was just drink beer and make all forbidden relations and take weird morals from the Palestinian society.
- § Sahar Khalifa was bold in her referring to some negative pictures for man as it appear in her talking about the craving man and his unacceptable moral acts.
- §

An in the light of previous results the researcher recommended the following:

- § Study the picture of the woman in the Palestinian novel in females literature.

- Make a comparative study for the mans picture in the Palestinian novel for one of the famous Palestinian novelist.
- Make a comparative study for the women picture in the Palestinian female novels for sahar Khalifa and another Palestinian female novelist.
- Focus on one of the main picture in the Palestinian female novel and studied in a comparative and analysis way of study.

Hebron University

Dean ship of graduate studies

The Arabic language and literature program

The picture of the man in the Palestinian Females' novel

Prepared by:

Majdoleen Majed Abdlhadi Swaity

Supervised by:

Dr. Nader Qassem

This thesis was preseuted in partial ful fillment for the degreeof ma in Arabic language and literature, at the dean ship ofgraduate studies at Hebron university

2012